أس س س أس ج أس س ج ج أس س س ج ج ج ج ج أ ج ج ج

تحسين:

مكتبة

أدب أمريكي حديث

بليك كراوتش

1272

ترجمة: عبدالرحيم يوسف

رواية

المحروسة

إهداء لـ ..

«نورا»[2]

تحسين

UPGRADE

عنوان الكتاب: تحسين UPGRADE
المؤلف: بليك كراوتش Blake Crouch
ترجمة: عبد الرحيم يوسف
مراجعة لغوية: شيرين يونس
إخراج داخلي: رشا عبدالله

23 7 23

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 28432157 02 002

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١٩٠٩٥ / ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: 6-921-313-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2022

مكتبة

UPGRADE by Blake Crouch © 2022

"All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher."

رواية

تحسين
UPGRADE

بليك كراوتش

ترجمة

عبد الرحيم يوسف

مكتبة 1272

الطبعة الأولى 2022

مكتبة
t.me/soramnqraa

23 7 23

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كراوتش، بليك

تحسين رواية/ بليك كراوتش؛ ترجمة/ عبد الرحيم يوسف.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2022

457 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 978-977-313-921-6

1 - القصص الانجليزية

أ- يوسف، عبد الرحيم (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2022/19095

إلى مايكل ماكلاكلن

جندي البحرية، والمحامي، والصديق العزيز

(2021-1946)

الجزء الأول

"يمكنكم التوقُّف عن شطر الذرَّة، يمكنكم التوقُّف عن زيارة القمر،
يمكنكم التوقُّف عن استخدام بخاخات المعطر، يمكنكم حتى أن
تقرِّروا ألَّا تقتلوا تجمعات كاملة باستخدام بضع قنابل،
لكن لا يمكنكم استرداد شكلٍ جديدٍ من الحياة."

ـ إروين تشارجاف

1

مكتبة
t.me/soramnqraa

وجدنا هنريك سورين في حانة للنبيذ في البوابة الدولية، قبل ثلاثين دقيقة من الصعود إلى متن طائرة نفاثة فائقة السرعة متجهة إلى طوكيو.

قبل الليلة لم أكن قد رأيته إلَّا في صور الإنتربول الفوتوغرافية ولقطات أنظمة المراقبة. على الحقيقة، كان أقل مهابة؛ طوله ما يقرب من 167 سنتيمترًا ويرتدي حذاء رياضيًّا بالغ البؤس ماركة سان لوران وكنزة رياضية تغطي قلنسوتها معظم وجهه. كان جالسًا في آخر الحانة ومعه كتاب وزجاجة شامبانيا (كروج).

احتللتُ المقعد المستدير إلى جواره ووضعتُ شارتي بيننا (حملتْ وسم نسر أصلع أحاط جناحاه بالتركيب اللولبي المزدوج لجزيء الحمض النووي). لهنيهة لم يحدث شيء، لم أكن حتى واثقًا إن كان قد

رأى شـارتي وهـي تلتمـع أسـفل المصابيـح الكرويـة المتدليـة، لكنـه عندئـذٍ أدار رأسـه ونظـر إليَّ.

ابتسمتُ ابتسامة سريعة.

أغلـق كتابـه. لـو كان متوتـرًا، فهـو لم يبـدِ ذلـك، فقـط حـدَّق إليَّ بعينين زرقاوين اسـكندنافيتين.

قلـتُ: "أهـلًا هنريـك، أنـا العميـل رامـزي، أعمـل لصالـح وكالـة الحماية الجينيـة: الجـي بي إيه".

- وماذا تراني فعلت؟

وُلِـد قبـل ثلاثـة وثلاثـين عامًـا في أوسـلو لكنـه تلقَّـى تعليمـه في لنـدن، حيـث عملـت أمـه في السـلك الدبلومـاسي، سـمعت لكنـة هـذه المدينـة تحـوم حـول صوتـه.

- لِمَ لا نتكلم عن ذلك في مكان آخر؟

كان السـاقي يراقبنـا الآن، بعـد أن ميَّـز شـارتي؛ ربمـا كان قلقًـا عـلى دفـع الفاتـورة.

قال سورين: "رحلتي على وشك الإقلاع".

- لن تذهب إلى طوكيو، ليس الليلة.

انشـدَّت عضـلات فكِّـه وومـض شيء مـا في عينيـه. سـاوى شـعره الأشـقر المتهـدل حتـى ذقنـه ودسَّـه وراء أذنيـه، وألقـى نظـرة حـول حانـة النبيـذ، وبعـد ذلـك نظـر خارجهـا، إلى المسـافرين المتحركـين عـبر القاعـة الكبـيرة.

سـألته: "أتـرى المـرأة الجالسـة إلى الطاولـة العاليـة خلفنـا؟ شـعر أشـقر طويـل. سـترة مطـر زرقـاء، إنهـا شريكتـي، العميلـة نيتـمان، وشرطـة المطـار تنتظـر في الردهـات. انظـر، يمكننـي أن أجـرك إلى الخـارج مـن هنـا أو يمكنـك أن تسـير خارجًـا وحـدك، الأمـر لـك، لكـن عليـك أن تقـرر الآن".

لم أعتقـد أنـه سـيجري، كان لا بُـدَّ لسـورين أن يعـرف الاحتـمالات المسـتحيلة للهـروب مـن عمليـة القبـض عليـه في مطـار يعـجُّ بالأمـن ونظـم المراقبـة، لكـن اليائسـين يفعلـون أشـياء يائسـة.

نظـر حولـه مـرة أخـرى، ثـم نظـر إليَّ مـن جديـدٍ، تنهَّـد ثـم شرب مـا تبقـى في كأسـه مـن الشـمبانيا ورفـع حقيبتـه مـن الأرض.

***

عدنـا بالسـيارة إلى المدينـة، وقـد جلسـتناديـن نيتـمان خلـف عجلـة قيـادة سـيارة شركـة إديسـون المعدلـة وطريـق آي 70 السريـع خـالٍ فعليًّـا في هـذه السـاعة مـن الليـل.

أجلسـنا سـورين خلـف مقعـد الراكـب الأمامـي ورسـغاه مربوطـان خلـف ظهـره. كنـت قـد فتشـت حقيبتـه -حقيبـة كتـف ماركـة جوتـشي- لكـن الـشيء الوحيـد المهـم كان جهـاز حاسـوب محمـول، سـنحتاج إلى إذن فيـدرالي لفتحـه.

"أنـت لوجـان رامـزي، أليـس كذلـك؟" تسـاءل سـورين ناطقًـا بكلماتـه الأولى منـذ اصطحبنـاه خـارج المطـار.

- هذا صحيح.

- ابن ميريام رامزي؟

"نعـم" حاولـت أن أُبقـي نـبرتي حياديـة، لم تكـن المـرة الأولى التـي يقـوم مشـتبه فيـه بهـذا الربـط. لم يقـل شـيئًا آخـر، شـعرت بناديـن تنظـر إليَّ.

حدقـتُ خـارج النافـذة. كنَّـا عـلى أطـراف وسـط المدينـة، نسـير بسرعـة 120 ميـلًا في السـاعة، كانـت المحـركات الكهربائيـة المزدوجـة شـبه صامتـة. مـن خـلال زجـاج الرؤيـة الليليـة المحيـط، رأيـت واحـدة مـن لوحـات جـي بي إيـه الإعلانيـة الجديـدة تمـر بسرعـة - جـزء مـن أحـدث حملـة لرفـع الوعـي العـام.

بحروف سوداء على خلفية بيضاء:

التعديل الجيني جريمة فيدرالية.

#جي بي إيه

لاح وسط مدينة دنفر من بعيدٍ.

ارتفع برج هاف-مايل العملاق محلقًا في السماء... سهم من الضياء.

كانـت السـاعة الواحـدة صباحًـا هنـا، وهـو مـا يعنـي أنهـا الثالثـة هنـاك في واشـنطن العاصمـة.

فكرت في أسرتي وهي تنام في سلام ببيتنا في مدينة أرلينجتون.

زوجتي، بِث.

ابنتنا المراهقة، آقا.

لـو سـار كل شيء بسلاسـة الليلـة، سـأعود قـرب وقـت العشـاء مسـاء الغـد. كنَّـا نخطـط لرحلـة في عطلـة نهايـة الأسـبوع إلى وادي شـيناندواه لـنرى ألـوان الشـلال مـن طريـق سـكاي لايـن درايـف.

مررنا بلوحة إعلانية أخرى:

خطأ واحد تسبَّب

في المجاعة الكبرى

#جي بي إيه #لن ننسى أبدًا

لقـد رأيـت هـذه اللوحـة مـن قبـل، وباغتنـي الألم، وجـع في مؤخـرة حلقـي؛ لم يفشـل قـطُّ الشـعور بالذنـب مـما اقترفنـاه في أن يـترك أثـره.

لم أنكره ولا حاولت أن أدفعه بعيدًا.

فلأدعه فقط إلى أن يمر.

***

يقع مكتب دنفر الميداني لوكالة الحماية الجينية في مجمع مكاتب لا شيء يميزه في مدينة ليكوود، وتسميته بالمكتب الميداني كرمٌ زائدٌ.

كان مبنى من طابقٍ واحدٍ، به وحدة تحكُّم في الإضاءة وزنزانة حجز وغرفة للمقابلات ومختبر بيولوجيا جزيئية ومستودع أسلحة. لم تكن لدى وكالة الحماية الجينية مكاتب ميدانية في أغلب المدن الكبرى، لكن بما أن دنفر هي المركز الأساسي لنظم الهايبرلوب[1] عالية السرعة في الغرب، كان من المنطقي أن تكون للوكالة قاعدة مخصَّصة للعمليات هنا.

كنَّا وكالة شابة لكنها تنمو سريعًا، بها خمسمائة موظف مقارنة بجيش مكتب التحقيق الفيدرالي المكوَّن من أربعين ألفًا. لم يكن هناك إلا خمسون عميلًا خاصًّا مثلي أنا ونادين، وكنَّا جميعًا متمركزين في منطقة العاصمة، مستعدين للقفز بالباراشوت حيثما ارتاب قسمنا الخاص بالاستخبارات في وجود مختبر جينات أسود.

دارت نادين خلف المبنى القصير وأبطأت سرعتها وهي تعبر بوابة الدخول إلى المصاعد. أوقفت السيارة خلف مركبة مصفَّحة، حيث نشر أربعة ضباط من قوات التدخل البيولوجي السريع معداتهم على الأرض الخرسانية، ليقوموا بفحص أسلحة أخيرٍ استعدادًا لِمَا يمكن أن تكون غارة مأمولة قبل الفجر بناء على المعلومات التي كنَّا على وشك أن ننتزعها من سورين.

ساعدتُ مشبوهنا على الخروج من السيارة، وصعد ثلاثتنا إلى الطابق الثالث.

---

(1) مفهومٌ لنظام نقل عالي السرعة وهو عبارة عن دمج أنابيب منخفضة الضغط خالية من الهواء تربط بين محطتين، وداخل هذا الأنبوب كبسولات ركاب تندفع بسرعاتٍ عالية على وسادة هوائية مضغوطة ولا تحتك بجدران الأنبوب بفعل حقل مغناطيسي يولِّده مُحركٌ كهربائي يستمدُّ قوته من الطاقة الشمسية.

ما إن دخلنا غرفة المقابلات، حتى قطعتُ الشريط اللاصق الذي قيَّد يديه وأجلستُ سورين إلى طاولة معدنية بها مزلاجٌ ملحومٌ في سطحها من أجل المشبوهين الأقل انصياعًا.

ذهبت نادين لتأتي بالقهوة.

اتخذتُ مقعدًا في مواجهته.

تساءل: "أليس من المفترض أن تقرأ عليَّ حقوقي أو ما شابه؟".

- في ظل قانون الحماية الجينية، يمكننا احتجازك لمدة اثنتين وسبعين ساعة فقط لأننا نريد ذلك.

- فاشيون.

هززتُ كتفي؛ لم يكن مخطئًا تمامًا.

وضعت كتاب سورين على الطاولة، على أمل أن أحظى برد فعلٍ.

سألته: "هل أنت معجبٌ كبير بكامو؟".

- نعم، أجمع طبعات نادرة من أعماله.

كانت نسخة قديمة بغلافٍ مقوًّى من رواية (الغريب)، تصفحّت الكتاب بحذرٍ.

قال سورين: "إنه نظيف".

كنت أبحث عن تيبس في الصفحات، عن آثار لابتلالها في موضعٍ ما، عن بقعٍ دائرية متناهية الصغر، يمكن أن تُخبَّأ كمياتٌ كبيرة من الحمض النووي، أو البلازميدات، في صفحات كتابٍ عادي؛ تُقطر بمقادير ميكرولترية وتُترك لتجفَّ على الصفحات، فقط ليُعاد ترطيبها واستخدامها في مكان آخر. حتى رواية قصيرة مثل (الغريب) يمكن أن تضم مقدارًا شبه لا نهائي من المعلومات الجينية، حيث تخفي كل صفحة تسلسل الجينوم الخاص بحيوان ثديي مختلف، أو مرض

مريـع، أو أنـواع اصطناعيـة، يمكـن تفعيـل أي منهـا في مختـبر جينـي أسـود جيـد التجهيـز.

قلت: "سنضع كل صفحة تحت مصباح الضوء الأسود".

- عظيم.

- هم يجلبون أمتعتك إلى هنا أيضًا، كما تعرف، سنمزقها أشلاء.

- فلتفعلوها يا مجانين.

- لأنك قمت بالتسليم فعلًا.

لم يقل سورين شيئًا.

سألته: "ماذا كان؟ أجنَّة مُعدَّلة؟".

نظـر إليَّ وهـو يـكاد لا يخفـي اشـمئزازه، وقـال: "هـل لديـك أي فكـرة كـم عـدد الرحـلات التـي فاتتنـي بسـبب ليـالٍ مثـل هـذه؟ يظهـر أحـد رجـال الجينـات عنـد بوابتـي، ويجـرني للتحقيـق؟ لقـد حـدث ذلـك مـع هيئـة سـلامة الجينـوم الأوروبي، في فرنسـا، البرازيـل، والآن أنتـم أيهـا الحمقـى تدمِّـرون رحلتـي. ورغـم كل هـذه المضايقـات، لم أُتَّهـم بجريمـة واحـدة".

قلـتُ: "هـذا ليـس صحيحًـا تمامًـا. مـما أسـمعه، سـتود الحكومـة الصينيـة بشـدة أن تتبـادل الحديـث معـك".

اعترى سورين سكونٌ رهيب.

انفتـح البـاب مـن خلفـي، شـممتُ الرائحـة اللاذعـة والمحترقـة لقهـوة الأمـس. دخلـت ناديـن مسرعـة، وركلـت البـاب خلفهـا لتغلقه، جلسـت إلى جـواري ووضعـت كوبـين مـن القهـوة عـلى الطاولـة. مـدَّ سـورين يـده إلى أحدهـما، لكنهـا صفعـت يـده.

- القهوة للأولاد المهذبين.

بـدت رائحـة السـائل الأسـود منفِّـرة كأنهـا بـول الشـيطان، لكـن الوقـت كان متأخـرًا ولم يكـن هنـاك نـومٌ في مسـتقبلي القريـب، أخـذت رشـفة جعلتنـي أجفـل.

قلـت: "سـأدخل في الموضـوع مبـاشرة، نحـن نعـرف أنـك ذهبـت إلى المدينـة بالأمـس في سـيارة دفـع رباعـي مسـتأجرة طـراز ليكسـوس آخـر موديـل".

مالت رأس سورين على غير إرادته، لكنه أبقى فمه مغلقًا.

أجبـت السـؤال الـذي لم ينطـق بـه: "لـدى الجـي بي إيـه القـدرة الكاملة عـلى الوصـول إلى آليـة التعـرف عـلى الوجـوه بالـذكاء الاصطناعـي والتابعـة لـوزارة العـدل، وهـي آليـة تمسـح كل كامـيرات المراقبـة وقواعـد بيانـات أنظمـة المراقبـة الأخـرى. ثمـة كامـيرا التقطـتْ وجهـك مـن وراء زجـاج السـيارة عنـد منحـدر طريـق آي 25 وطريـق ألاميـدا في السـاعة 9:17 صبـاح أمـس. قطعنـا كل الطريـق مـن واشـنطن العاصمـة إلى هنـا ظهـر اليـوم. مـن أيـن كنـت قادمًـا؟".

- أنـا متأكـد أنكـم تعرفـون بالفعـل أني اسـتأجرت تلـك السـيارة في مدينـة ألباكـركي.

كان على حق. كنَّا نعرف.

مكتبة
t.me/soramnqraa

سألته نادين: "وماذا كنت تفعل في ألباكركي؟".

- مجرد زيارة.

دارت نادين بحدقتيهـا في عينيهـا: "لا أحـد يقـوم بمجـرد زيـارة لألباكـركي".

تناولـتُ قلـمًا ودفـترًا صغـيرًا مـن جيبـي ووضعتهـما عـلى الطاولـة، "اكتـب أسـماء وعناويـن كل مـن رأيتـه، كل مـكان أقمـتَ فيـه".

اكتفى سورين بالابتسام.

سألته نادين: "ماذا تفعل في دنفر يا هنريك؟".

"ألحق رحلة إلى طوكيو، **أحاول** أن ألحق رحلة إلى طوكيو".

قلـت: "سـمعنا كلامًـا عـن مختـبر جينـي في دنفـر، عمليـات معقـدة لهندسـة منتجـات بيولوجيـة مدفوعـة الثمـن؛ لا أعتقـد أن وجـودك في المدينـة محـض صدفـة".

- لا أعرف عمّا تتحدث.

قالـتناديـن: "نحـن نعـرف، والـكل يعـرف، أنـك تتاجـر في العنـاصر الجينيـة الراقيـة، شـبكات وتسلسـلات جينيـة، (سـايث)".

كان (سـايث) هـو نظـام تعديـل الحمـض النـووي البيولوجـي الثـوري، الـذي صـار الآن غـير قانـوني تمامًـا، والـذي اكتشـفته ونالـت بـراءة اختراعـه أمـي، ميريـام رامـزي. كان بمثابـة قفـزة مزلزلـة إلى الأمـام تركـت الأجيـال السـابقة مـن التكنولوجيـات -إنزيمـات التقييـد الاصطناعيـة، وإنزيمـات المسـتجيب، والتكـرارات العنقوديـة المتناظـرة- تلهـث في الـتراب. لقـد دشـن سـايث عـصرًا جديـدًا مـن تعديـل وتوزيـع الجينـات، عـصرًا جلـب معـه نتائـج كارثيـة، لهـذا صـار القبـض عـلى أحدهـم يسـتخدمه أو يبيعـه لتعديـل الخـط الجرثومـي -أي صناعـة كائـن جديـد- يسـتوجب حكـمًا إلزاميًـا بالسـجن لمـدة ثلاثـين عامًـا.

قـال سـورين: "أعتقـد أني أود الاتصـال بمحامـيّ الآن. مـا زال لـديَّ هـذا الحـق في أمريـكا، أليـس كذلـك؟".

كنّا نتوقع هذا، بصراحة، اندهشت لأنه استغرق كل هذا الوقت.

قلـت: "يمكنـك بالقطـع أن تتصـل بمحاميـك. لكـن أولًا ينبغـي لـك أن تعـرف مـاذا سـيحدث لـو سرتَ في هـذا الطريـق".

قالـت ناديـن: "نحـن مسـتعدون لتسـليمك إلى مكتـب الجينـات الصينـي".

قال سورين: "لا تملك أمريكا معاهدة لتسليم المجرمين مع الصين".

مالـتناديـن إلى الأمـام، مسـتندة بكوعيهـا إلى الطاولـة، وبخـار القهـوة السـوداء يتصاعـد إلى وجههـا.

قالـت: "بالنسـبة إليـك، سـنقدِّم اسـتثناء، الأوراق تُجهَّـز بينـما نتحـدث الآن".

- لا يملكون شيئًا ضدي.

قالـت: "لا أعتقـد أن الأدلـة وسـير الأمـور وفقًـا للقانـون أشـياء لهـا نفـس المعنـى هنـاك".

- تعرفون أن لديَّ جنسية مزدوجة نرويجية وأمريكية.

قلت: "لا أبالي"، نظرتُ إلى نادين: "هل تبالين؟".

تظاهرتْ بالتفكير في الأمر. ثم قالت: "لا، أعتقد أني أبالي".

في الحقيقـة، كنـت أبـالي؛ لم نكـن لنسـلِّم مواطنًـا أمريكيًـا إلى الصـين أبـدًا، لكـن خـداع المجرمـين جـزءٌ مـن اللعبـة.

تراخـى سـورين عائـدًا بظهـره في مقعـده. "هـل يمكننـا إجـراء حـوارٍ افـتراضي".

قلت: "نحن نحب الحوارات الافتراضية".

- ماذا لو أني كتبت عنوانًا في هذا الدفتر؟

- عنوان لماذا؟

- لمـكان ربمـا جـرت فيـه عمليـة تسـليم افتراضيـة في وقـتٍ سـابقٍ اليـوم.

- ماذا تم تسليمه؟ افتراضيًا.

- بكتيريا تعدين.

تبادلنا أنا ونادين النظر.

سـألته: "هـل قمـت بالتسـليم للمختـبر نفسـه؟ وليـس لمـكان تسـليم عشـوائي؟"

قال سورين: "لم أقم بأي تسليم، هذا كله افتراضي".

- طبعًا.

- لكن لو فعلت، ولو تشاركت العنوان معكم، ماذا سيحدث؟

- يتوقف الأمر على ما سنجده افتراضيًّا في هذا العنوان.

- لـو فرضنـا أنـك سـتجد هـذا المختـبر الجينـي الـذي تسـمعون بـه، مـاذا سـيحدث لي؟

قالت نادين: "ستكون في الرحلة التالية إلى طوكيو".

- ومكتب الجينات الصيني؟

قلت: "كما أشرتَ أنت، لا نملك معاهدة تسليم مجرمين مع الصين".

جذب سورين القلم والدفتر إلى جانبه من الطاولة.

***

تبعنـا مركبـة قـوات التدخـل السريـع المنسـلّة في وضـع التعتيـم عـبر شـوارع مهجـورة. كان العنـوان الـذي شـخبطه سـورين عـلى طـرف حـي فايـف بوينتـس في دنفـر، ذلـك الحـي الـذي تعـرض للإحـلال العمـراني الطبقـي، والـذي لم يكـن مفتوحًـا فيـه في هـذه السـاعة مـن الليـل إلا بضـع حانـات لتدخـين الحشـيش.

أنزلتُ زجاج النافذة.

كان هـواء أكتوبـر المتدفـق في وجهـي أكـثر إنعاشًـا مـن القهـوة التـي جرعناهـا هنـاك في المكتـب.

كنّا في أواخر الخريف في منطقة جبال روكي.

فاح الهواء برائحة الأوراق الميتة والفاكهة العطنة.

تربّع قمر الحصاد أعلى خط الأفق المسنن بسلسلة جبال فرونت - قمر أصفر كبير.

كان يجب أن يظهر الثلج على أعلى القمم قبيل الآن، لكنها كانت كلها جافة، صخور يضيئها القمر أعلى خط الأشجار.

وباغتني مرة أخرى الوعي بأني حي في أوقات غريبة، كان هناك إحساسٌ ملموسٌ بانهيار الأشياء.

إفريقيا وحدها لديها أربعة مليارات نسمة، أغلبهم يفتقدون الأمن الغذائي وما هو أكثر. حتى هنا في أمريكا، كنّا ما زلنا مشلولين أمام موجات النقص في الغذاء، واضطرابات سلسلة التوريد، وندرة العمالة. ومع صعود سعر اللحم بسرعة الصاروخ، فإن أغلب المطاعم التي أغلقت أبوابها خلال المجاعة الكبرى لم تفتحها مرة أخرى قطُّ.

عشنا في دولة رقابة حقيقية، مرتبطين بالشاشات أكثر من ارتباطنا بأحبائنا، وصارت الخوارزميات تعرفنا أكثر مما نعرف أنفسنا.

ومع كل عام يمر، نخسر المزيد من الوظائف لصالح الأتمتة والذكاء الاصطناعي.

صارت أجزاء من مدينة نيويورك وأغلب ميامي تحت الماء، وثمة جزيرة من البلاستيك في حجم أيسلندا تطفو في المحيط الهندي.

لكن لم يكن البشر فقط هم من تأثَّروا؛ لم يعد هناك أي حيوان وحيد قرن أبيض شمالي أو نمر من جنوب الصين، انقرضت الذئاب الحمراء، إلى جانب ما لا يُحصى من الأنواع الأخرى.

لم تعُد هناك أي أنهار جليدية في الحديقة الوطنية الجليدية.

أصبحنا على حق في أمورٍ كثيرة صحيحة.

وعلى خطأ في أمورٍ أكثر بكثيرٍ.

كان المستقبل هنا، ولم يكن إلا فوضى لعينة.

تساءلت نادين: "هل أنت بخيرٍ؟".

- تمامًا.

- يمكنني أن أتوقف جانبًا إذا كنتَ...

- ليس بعد.

لقـد عملنـا أنـا ونادين معًـا لمـدة ثلاثـة أعـوام تقريبًـا، كانـت عالِمـة بيئيـة لـدى اليونسـكو قبـل الانضـمام إلى الجـي بي إيـه.

أخرجتُ هاتفي وفتحت سلسلة رسائلي النصية مع بِث، كتبتُ لها:

أهـلًا بِـث. أقـود الغـارة. فقـط أردت أن أقـول أحبـك. احضنـي آڤـا مـن أجـلي، واجعليـه حضنًـا جيـدًا. سـأتصل بـك في الصبـاح.

ضغطتُ زر الإرسال، وطقطق جهاز اللا سلكي الخاص بنا.

قـال الضابـط هـارت، قائـد فريـق التدخـل السريـع: "أمامنـا ثـلاث دقائـق".

شـعرتُ بـشيء يفـور في أحشـائي، كانـت الاندفاعـة الأولى مـن الأدرينالين بادئـة في تشـغيل منظومتـي اسـتعدادًا لما هـو آتٍ.

ثمـة أشـخاص مهيَّـأون لمثـل هـذه النوعيـة مـن الأمـور. هـؤلاء الذيـن ترعرعـوا عـلى الاندفـاع في اجتيـاح أي مسـتودعٍ مرتديـن الـدروع الواقيـة للجسـد في منتصـف الليـل، ولا فكـرة لديهـم عـن الدمـار الـذي يتوجهـون إليـه.

لم أكـن واحـدًا منهـم، أنـا عالِـم، أو -عـلى الأقـل- حلمـت ذات مـرة بـأن أكـون عالِـمًا.

قلتُ: "توقفي جانبًا..".

دفعــت ناديــن الســيارة الإديســون إلى جانــب الطريــق، ونظامهــا الأتوماتيــكي يــدق ويتذمــر.

دفعتُ الباب لأفتحه، ومِلتُ خارجًا، وقذفت ما بجوفي في الشارع.

جـاء صـوت هـارت عـبر الـلا سـلكي مـرة أخـرى: «هـل كل شيء بخـيرٍ هنـاك في الخلـف؟ لقـد فقدناكـم».

سمعتُ نادين تقول: «كل شيء بخيرٍ، سنلحق بكم حالًا».

مسـحتُ فمـي، وبصقـت عـدة مـرات، وجذبـت البـاب لأغلقـه مـرة أخـرى.

لم تقـلناديـن شـيئًا، لم تكـن مضطـرة إلى قـول شيء. كان تقيـؤي لتوتري أقـرب مـا يكـون لدينـا لطقـس مـا قبـل الهجوم.

كان يعني أنه بمقدورنا الذهاب إلى العمل الآن.

ضغطت نادين بدال السرعة.

اقتربنا من مؤخرة مركبة التدخل السريع.

بقـدر مـا كنـت أكـره الذهـاب إلى الهجـمات، كنـت أُذكِّـر نفـسي دائمًـا أن الخـوف جـزءٌ ضروري مـن توبتـي.

أغلــب العلــماء الخارجــين عــلى القانــون الذيــن نســتهدفهم كانــوا مجرمـين، هكـذا بوضـوحٍ وببسـاطة. مـع تزايـد طلب السـوق السـوداء على المنتجـات الحيويـة المركبـة أضعافًـا مضاعفـة مـع كل عـامٍ يمـر، صـار هنـاك الكثـير مـن المـال الـذي يمكـن اكتسـابه -مـن الحيوانـات الأليفـة الفائقـة المصممــة حســب الطلــب، والملابــس المصنوعــة مــن نســيج العناكــب،

والأطعمـة الغرائبيـة المعدَّلـة وراثيًـا، وحتـى شـكل جديـد تمامًـا مـن الحياة اختُرع في مختـبر بفانكوفـر الكنديـة، يشـبه غوريـلا ورديـة ضئيلـة والتـي صـارت نوعًـا مـا رمـزًا للمكانـة لـدى الأوليجاركيـة الروسـية.

لقد تعززت خدمات ومنتجات السوق السوداء أيضًا.

حشيش وهيروين مقرصنان.

دُمى جنس مغطاة بعضلات وجلد بشري صناعي.

ثمـة مختـبر جينـي أسـود في مكسـيكو سـيتي ضبطـه رجـال المباحـث الفيدراليـة وهـو يصنـع «دبابـير انتقـام» لجماعـات المصالـح. يمكـن لهـذه الأغلفـة الصفـراء أن تسـتهدف أي شـخص بنـاء عـلى بصمتـه الجينيـة. كـما حملـت هـذه الدبابـير نظـام سـايث بدائيـا قـادرا عـلى تعديـل شـبكات جينيـة كاملـة، مؤديًـا إلى تدمـير المـخ، والجنـون، والمـوت الأليـم.

بالنسـبة إلى البعـض، كان العبـث الجينـي يجـري فقـط لإظهـار أن بمقدورهـم أن يفعلـوه، مثـل الطـلاب الجامعيـين الأربعـة الذيـن كانـوا يدرسـون علـم الأحيـاء في جامعـة بـراون والذيـن أرادوا ببسـاطة أن يـروا إن كان بمقدورهـم صنـع ذئـب رهيـب.

لكـن بالنسـبة إلى قلـة منتقـاة، كان المسـعى شـخصيًا عـلى نحـوٍ عميـقٍ، مثـل ذلـك الفتـى ذي السـتة عـشر عامًـا المنعـزل اجتماعيًـا والعبقـري في الوقـت نفسـه، الـذي حـاول أن يُهنـدس بكتيريـا آكلـة للحـم ومقاوِمـة للمضـادات الحيويـة كي يصيـب بهـا مُتنمـرًا في المدرسـة.

أو اختصـاصي الوراثـة الوغـد الـذي قبضنـا عليـه وهـو يحـاول أن يستنسـخ صـورة معدلـة مـن زوجتـه الميتـة باسـتخدام السـوق السـوداء وبيضـات بشريـة ملقَّحـة جـرى اسـتئصالها.

والأبـوان اليائسـان بـلا تأمـينٍ صحـي اللـذان حـاولا القيـام بتعديـلٍ بدني لضمـور العضـلات في الحمـض النـووي لابنهـما. نجحـا بالفعـل في شـفائه،

لكـن الطفـرات غـير المسـتهدفة التـي خلقاهـا مـن دون قصـدٍ غيَّرت شـبكة عمـل الفـص الجبهـي الوسـطى لديـه، أصبـح مريضًـا بالذهـان، وقتلهـما قبـل أن ينتحـر.

ثـم كانـت هنـاك مختـبرات كوابيـسي، حيـث قامـت منظـمات إرهابيـة بهندسـة عوامـل مُمْرضـة وأسـلحة دمـار حيويـة، مثـل تلـك المجموعـة في باريـس التـي كانـت عـلى وشـك إطـلاق توليفـة قريبـة مـن فـيروس جـدري فائـق عندمـا أسـقطت هيئـة سـلامة الجينـوم الأوروبي قنبلـة حراريـة عـلى مستودعهم.

لم يزعج تدمير هذه الأعمال ضميري قطُّ.

أمـا المـرات المؤلمـة فكانـت الهجـمات عـلى علـماء حقيقيـين. هـؤلاء الذيـن كانـوا يقومـون بعمـلٍ رائـدٍ، مـن أجـل الجنـس البـشري كلـه، عندمـا أصيبـت الحكومـات بالذعـر وجعلـت مـن المسـتحيل عمليًّـا عـلى أحـد أن يكـون مهندسًـا جينيًّـا.

أشخاص مثل أنطوني روميرو.

مـا زلـت أتذكـره أحيانًـا. كان قـد بنـى مختـبره في مزرعـة مـواشٍ بغابـة بيجـورن الوطنيـة خـارج مقاطعـة شـيريدان بولايـة وايومنـج.

قبـل أن يقـضي قانـون الحمايـة الجينيـة فعليًّـا عـلى كل الأبحـاث الجينيـة الخاصـة والجامعيـة، كان د. رومـيرو في طليعـة الباحثـين في الأدويـة الجينيـة لعـلاج السرطـان. وأشـيع أنـه في القائمـة القصـيرة لجائـزة نوبـل في الطـب أو علـم وظائـف الأعضـاء. لكـن افتتاحيتـه في جريـدة النيويـورك تايمـز التـي أدان فيهـا بقـوة قانـون الحمايـة الجينيـة بسـبب تجاوزاتـه البالغـة قضـت عـلى أي فرصـة لـه كي يُضـاف إلى قائمـة مختـصي الوراثـة المقبولـين مـن الحكومـة.

قبضنـا عـلى د. رومـيرو بهـدوءٍ في السـاعة الثانيـة والنصـف صباحًـا بينـما كان ثلـجٌ خفيـفٌ يتسـاقط عـلى صـف أشـجار الصنوبـر الأصفـر خـارج كوخـه. شـعرت بإعيـاء جسـدي عندمـا وضعـت يديـه في الأصفـاد وأجلسـته في المقعـد الخلفـي بسـيارتنا. لم أكـن فقـط ألقـي القبـض عـلى بطـلٍ - رجـل كنـت أتطلـع إلى حياتـه ومسـاره المهنـي وأحسـده عليهـما، بـل كنـتُ أحكـم عليـه بالسـجن مـدى الحيـاة، لأني لم يكـن لـديّ شـكٌ في أن وزارة عدلنـا سـتطبق عليـه أقـصى عقوبـة ممكنـة.

ثم أنه -مرة أخرى- قد خرق القانون. أليس كذلك؟

عندمـا سـلّمنا د. رومـيرو إلى المارشـالات الأمريـكان في مطـار مقاطعـة شـيريدان، نظـر العالِـم إليّ وقـال شـيئًا لـن أنسـاه أبـدًا:

"أعـرف أنـك تحـاول أن تفعـل الـشيء الصحيـح، لكنـك لا تسـتطيع أن تعيـد هـذه المعرفـة إلى داخـل العلبـة.".

لم أشـعر قـطُّ بـكل هـذا الإحبـاط بينـما كنـت أشـاهد المارشـالات يأخذونـه إلى الطائـرة بينـما الثلـج يتسـاقط ويـذوب عـلى مـدرج الإقـلاع.

كأني خائن للمستقبل.

***

أبطـأت مركبـة قـوات التدخـل السريـع مـن سـيرها ودخلـت زقاقًـا، ودخلـتناديـن وراءهـا.

تطلّعـت إلى مـا حولنـا عـبر زجـاج السـيارة الرمادي-الأخـضر، متوقعًا أن أرى أبنيـة منطقـة صناعيـة. وبـدلًا مـن ذلـك، رأيـت عـبر الزقـاق سـياجات مائلـة وجراجـات في ظهـر بيـوت فيكتوريـة الطـراز، بـرزت سـطوحها المائلة بحـدة عـلى خلفيـة مـن سـماء مرصّعـة بالنجـوم.

قلت: "هذه منطقة سكنية..".

- غريب، أليس كذلك؟

لقد هاجمنا مختبرات كثيرة كانت مخفية في أقبية أو جراجات بيوت الناس. كانت التكنولوجيا، في أبسط أشكالها الأولى، بهذه السهولة. لكن بالنسبة إلى عمليات على النطاق والتعقيد اللذين كنت أتوقعهما الليلة -مختبر قام بالعمل مع هنريك سورين ذات نفسه- كنت لأراهن بمبلغٍ كبيرٍ من المال أننا سنهاجم مستودعًا، وليس بيتًا فيكتوريًا في منطقة تاريخية.

حوّلت بث جهاز اللا سلكي الخاص بنا من أجهزة الاتصال في لوحة التحكم المركزي بالسيارة إلى سماعات آذاننا. "لوجان معك، هل أنت متأكد أننا عند العنوان الصحيح؟".

- هذا هو ما كتبه مصدر معلوماتك.

في أغلب الأحيان يكون أفراد فريق التدخل السريع أغبياء.

- أي منزل هو؟

- المنزل ذو القبة. سنُطلق الطائرة من دون طيار الآن، استعدوا.

عبر الزجاج، استطعت أن أرى ضباط فريق التدخل السريع الأربعة خارج المركبة بالفعل، وأحدهم يجهز طائرة التصوير الحراري من دون طيار. ستطير في خط محيط حول الموقع المستهدف، محاولة أن تحدد بدقة الإشارات الحرارية حتى تكون لدينا فكرة عن عدد الأشكال الحية بالداخل.

سيدخل فريق التدخل السريع أولًا، متخذين وضع المواجهة، بينما نشكّل أنا ونادين المؤخرة. وما إن يجري تأمين المختبر، سيظلون مطوقين للمكان حتى نتمكّن من الدخول للعمل، حيث نقوم بجرد وفحص المعدات والتحقق مما كان يفعله هؤلاء العلماء الأوغاد بالضبط.

قمت بتثبيت الأحزمة المغناطيسية على درعي الواقي الاستقرائي وأخرجت سلاحي من حقيبة ظهري. كان مسدسًا طراز جلوك 47، به خزانة طلقات عيار 45. كنت قد ضبطت مقبضًا ليمسك كشافًا يدويًا على أجزاء المسدس الجلوك بعد هجماتٍ كثيرة للغاية على مستودعات ضعيفة الكهرباء.

في الوقت نفسه، كانت نادين تغلق قفل خزانة القذائف الأسطوانية على سلاحها المختار: بندقية آلية ماركة أتشيسون. كان يروقني استفزازها بالتهكم على إحضارها مثل هذا الوحش معها بينما كان لدينا في العادة دعم فريق التدخل السريع، لكن كان من الصعب التحايل على حجتها، لقد وجدت نفسها في موقف سيِّئ في مدينة سبوكين بواشنطن، قبل أن نبدأ العمل معًا، كانت قد أفرغت خزانة كاملة من الرصاص عيار 40 في عالِم قام بتجربة علاجٍ جيني بسيط معدَّل ذاتيًا حول مجموعة من الجينات في ممرات الجين الورمي النووي ومنشط جاما لمستقبلات البيروكسيسوم وعامل النمو شبيه الأنسولين 1. ونتيجة لذلك، تعرضت عضلات المشبوه الهيكلية لدورة تضخم هائلة، جعلتها -مع مصوراته الحيوية- ضخمة وكثيفة للغاية. هذا الرجل، الذي وصفته بأنه يبدو مثل شخصية كنج بنج في القصص المصورة- ضربها تقريبًا حتى الموت قبل أن ينزف دماءه كلها في النهاية.

لكن بما أن نادين مغرمة بلفت الانتباه، لم يكن هناك أي حيوان يسير على الأرض لا يمكن لخزانة ذات عشرين طلقة رصاص عيار 12 أن تطرحه أرضًا على الفور.

في سماعة أذني، سمعت الضابط هارت يقول: "لا نلمح أي إشارات حرارية في المبنى".

- عُلم.

لا أحـد في البيـت، وهـذا مـا كان يروقنـا بالضبـط. الآن سنستكشـف المختبر الخـالي، وننتظـر حتـى يظهـر العلـماء. كان مـن الأسـهل بكثـيرٍ أن نطرحهـم أرضًـا في الشـارع عـن أن يحـدث هـذا داخـل غرفـة مليئـة بمـواد كيماويـة متفجـرة ومخاطـر بيولوجيـة.

راجعت الساعة: 2:35 صباحًا.

أمامنا ثلاث ساعات كاملة قبل أن يبزغ أول ضوء.

نظرت إلى نادين: "هيا بنا؟".

كان الجو بالخارج باردًا لدرجة أن أنفاسي خرجت في سحابة بيضاء.

أخرجنـا بدلاتنـا الليليـة المموَّهـة المضـادة للمـواد الخطـرة مـن صندوق السـيارة، وسـاعد أحدنـا الآخـر في إغـلاق سـحَّاباتها. كانـت تحتـوي داخلهـا جهـاز تنفـس وقناعًـا مصنوعًـا بشـكلٍ خـاص ليوفـر مجـالًا أوسـع للرؤيـة مـن أجـل المواقـف القتاليـة.

أخـيرًا، فتحنــا أســطوانات الأكســجين والتحقنــا بالطابــور التكتيــكي لقــوات التدخــل السريــع.

تساءل هارت: "رؤية ليلية أم كشافات يدوية؟".

قلــت: "كشــافات.." كان يحيــط بنــا ضــوء أكــثر مــن الــلازم، وقمــر الحصــاد ذاك كان في مســار صعــوده. عــمَّا قليــل سيســطع عــبر نوافــذ البيــت الفيكتــوري.

كان السـياج الخلفـي أطـول مـن أن نـرى مـن خلالـه، لكننـا اجتزنـا البوابـة المؤديـة إلى داخـل الحديقـة الخلفيـة مـن دون أن نضطـر إلى كسر أي شيء.

لم يرَ العشب ماء أو يلقَ عناية أخرى طوال دهور.

نمت الحشائش بارتفاع الخصر.

تطلَّعت إلى نوافذ البيت الفيكتوري القديم، بعضها كان يفتقر إلى الزجاج تمامًا، وكلها معتمة.

صعدنا فوق منصة من الألواح الخشبية أنَّت تحت أحذيتنا الثقيلة.

ركع الضابط هارت عند الباب الخلفي، وفتح القفل في عشر ثوانٍ.

تبعناهم إلى الداخل في ظلامٍ تامٍّ.

مسحت أضواء بنادقهم القتالية مطبخًا تحت الإنشاء.

تابعنا التحرك إلى داخل غرفة طعام، تقشَّرت جدرانها تمامًا، وامتدت الأسلاك الكهربائية في كل مكان، وتناثرت الأدوات عبر الأرضية.

همستُ عبر قناة الاتصال المفتوحة: "كأنها عملية إعادة بناء".

قال الضابط هارت: "انتظروا هنا".

وقفنا أنا ونادين على الطبقة الأصلية من الأرضية المحفورة فيما كانت غرفة معيشة.

على الرغم من بدلتي، كان بمقدوري أن أشم رائحة نشارة الخشب والبولي يوريثان في الهواء.

تدفق ضوء القمر عبر النوافذ المواجهة للشارع.

تكيَّفت عيناي على الرؤية ببطء.

كان بمقدوري سماع وقع أحذية فريق التدخل السريع الثقيلة وهم يتحركون بطريقة منهجية أعلانا، من غرفة إلى أخرى.

سألتُ: "هل من شيء؟".

قال هارت: "لا شيء. المزيد من الأمر ذاته هنا بالأعلى، كل شيء متجرد حتى النخاع".

نظرت نادين إليّ: "أتعتقد أن سورين تلاعب بنا؟".

- ولماذا يفعل هذا؟ هو ما زال في الحجز، ويعرف أنه لن يخرج إلا إذا أعطينا إشارة الموافقة.

لاحظتُ بابًا أسفل السلالم، كان مؤمَّنًا بقفلٍ رئيسي ينفتح بتوليفة من أربعة أرقام. جذبته بقوة، لا فائدة.

قالت نادين: "تحرك".

عندما التفتُّ ورائي، كانت تمسك في يدها قالبًا من الطوب.

خطوت مبتعدًا عن طريقها بينما كانت تنهال بها على القفل.

انفلق المعدن، وارتطم القفل المكسور بالأرضية.

قلت للفريق: "كنًا نحن ذاك، كسرنا للتوِّ قفلًا من على بابٍ".

قال هارت: "نحن عائدون إليكم، إنها مدينة أشباح هنا بالأعلى".

دفعت الباب لأفتحه.

أصدر صريرًا مزعجًا عندما تحرك على مفصَّلاته الصدئة.

سدَّدتُ مسدسي الجلوك نحو السواد الدامس، وأنار الضوء مجموعة من السلالم القديمة التي تهبط مؤدية إلى قبوٍ.

دقَّ قلبي بشدة.

سألتُ: "أتريدين انتظار فريق التدخل؟".

قالت نادين: "لا توجد إشارات حرارية؛ لا أحد هنا".

أنَّت الدرجة الأولى تحت ثقلي.

ازداد شعوري بالبرودة مع نزولي السلم.

حتى مرشِّح الهواء في بدلتي لم يستطع التخلص من الرائحة الكريهة للعفن الفطري والحجارة الرطبة.

قال ضابط آخر عبر قناة الاتصال: "الطابق الرئيسي خالٍ".

عندما وصلت أسفل السلم وخطوت على أرضية ترابية، انتابني شعورٌ مُقبض بأن نادين على حقٍّ، ربما تلاعب بنا سورين. أما لماذا فعل ذلك، فلم أستطع أن أتبيَّن السبب.

قالت نادين: "أتعرف؟ كل ما أخبرنا به سورين أنه سلَّم عبوَّته إلى شخص ما عند الباب الأمامي، لم يدخل قطُّ".

- ماذا تقصدين؟

- ربما هم يستخدمون هذا المكان كموقع تسليم فقط.

"هذا أكثر منطقية من وجود شخص يدير مختبراً معقدًا في حي هادئ" قلت ذلك وأنا أتساءل في داخلي إن كنَّا قد أهدرنا وقتنا بالمجيء إلى هنا.

بالطبع يمكننا احتجاز سورين لمدة اثنتين وسبعين ساعة، نثير حفيظته أكثر قليلًا، لكن لم يكن لدينا شيء ضده؛ لقد تبيَّن نظافة أمتعته بعد التفتيش.

لوَّحت بمسدسي عبر البراح الأسود للقبو.

تكاثف بخار زفراتي على حواف قناعي.

كانت الجدران هي حجر الأساس الأصلي للبيت.

رأيت غلاَّية صدئة.

أثاثًا صدئًا.

ومكعبًا أسود عجيبًا تبلغ مساحة كل وجه فيه قرابة القدم، يستقر في حوضٍ جافٍّ عتيقٍ.

"لوجان" كان هناك شيء ما في صوت نادين جذب انتباهي على الفور.

التفتُّ إلى اتجاهها.

قالت: "انظر..".

سدَّدتُ مصباحي، ورأيت كاميرا تستقر على حامل ثلاثي.

موجهة إلينا.

ومض ضوء أحمر.

قلتُ: "لقد بدأتْ التسجيل للتوِّ..".

كان فريق التدخل السريع يهبط السلَّم الآن.

تركت مصباحي يمسح القبو ببطء مرة أخرى.

لم أعد قلقًا من أننا أهدرنا الوقت بالمجيء؛ هناك شيء ما غير مضبوط.

في وسط الحجرة، مرَّ مصباحي على المكعب الذي كنت قد رأيته منذ لحظة.

كان قد بدأ ينشق منفتحًا.

قلت: "نادين..".

- أرى ذلك.

عندما سقطت جوانب المكعب، أضاء مصباحي عبر جسم كروي لِمَا بدا أشبه بالثلج، كان تقريبًا في حجم كرة بولينج، وبناء على كمية البخار المتصاعدة من السطح، شككتُ في أنه فائق البرودة، أو ربما مصنوع من شيء آخر غير الماء.

قالت نادين: "يوجد واحد آخر هناك".

التفتُّ، ورأيت أنها كانت تسلط ضوء مصباحها على كرة مطابقة من الثلج بالقرب من السلالم.

تساءلتْ: "ما هذا بحق الجحيم؟".

قلت: "لا يروقني بالفعل الجو هنا...".

قاطعني صوت طنين... كان قادمًا من الحوض الجاف.

تحركتُ نحوه، ورأيت مصدر الذبذبة، وشعرت بذعرٍ هائلٍ.

إلى جوار كرة الثلج، كان هناك هاتف به شاشة لمس مضاءة مع استقباله لمكالمة. امتدَّ سلكان من الهاتف، عبر ثقب في الطاولة، وتحت الثلج.

بدأت كرتا الثلج تتوهجان من ضوء أزرق مستقر في مركزيهما.

صرخت: "اخرجوا!".

كان فريق التدخل السريع يصعد بالفعل قاطعًا نصف السلَّم.

تبعتهم نادين بحميَّة.

رأيت الجميع يختفون في الطابق الرئيسي، وكنت على مبعدة عدة ثوانٍ من الدرجة السفلى عندما استحال القبو إلى البياض.

شعرت بضغطٍ هائلٍ على صدري.

ثم وجدت نفسي راقدًا على ظهري فوق الأرضية، أحدِّق إلى العازل المكشوف أسفل الطابق الرئيسي.

كان قناع غطاء رأسي مشروخًا ومخدوشًا في أماكن عديدة، وكانت هناك شظايا واضحة ضئيلة مغروزة في البلاستيك، لم أفهم ماذا كانت حتى قطَّرت إحدى قطع الشظايا نقطة ماء مثلجة في عيني اليسرى.

تمكَّنتُ من رفع مسدسي وتسليط الضوء على بدلتي، كانت ممزَّقة ومثقوبة في أماكن أكثر مما يمكنني أن أحصيه.

ذعرٌ مؤلم.

ألمٌ متدفق.

ذراعاي وساقاي... كل مساحة من جلدي لم يحمِها درع الجسد... شعرت باحتراقها فجأة كأني لُدغت ألف مرة.

2

عندما أخذتُ نَفَسا، قبض وجعٌ كاسر على صدري.

سمعت صوتي يتألَّم.

فتحت عينيَّ.

كنت راقدًا في سرير بمستشفى.

على حامل بجواري، كانت شاشة مراقبة للعلامات الحيوية تطلق صفيرًا متقطعًا في فواصل منتظمة، وضخَّ كيس محلول شيئًا ما في وريدي عبر إبرة وريدية ملصقة في ذراعي اليسرى الملفوفة بضمادات ثقيلة. أمَّا ذراعي الأخرى وساقاي فكانوا ملفوفين بالشاش. الأكثر إزعاجًا كان الحاجز البلاستيكي غير الشفاف الذي أحاط بي وبالسرير

تمامًـا. مـن خلفـه، لم أسـتطع أن أرى إلا ظـلالًا وأشـكالًا مبهمـة، كانـت الأصـوات التـي سـمعتها نائيـة، مشوَّشـة.

حاولـت أن أسـتعيد آخـر ذكريـات صحـوي، وسـواء كان ذلـك بسـبب المخـدر أم إصابـاتي، تطلَّـب الأمـر منـي بعـض الجهـود كي أعـثر عليهـا.

كنـت راقـدًا عـلى الأرضيـة الترابيـة في قبـو المنـزل الفيكتـوري الـذي هاجمنـاه في دنفـر، كان هنـاك انفجـار، حاولـت أن أنهـض، لكـن الألم في صـدري أصابنـي بالشـلل.

وهكذا رقدتُ هناك في الظلام، متسائلًا أين ذهب بقية الفريق.

متسائلًا إن كنت أحتضر.

الألم يشـوِّه الزمـن، لـذا لم تكـن لـديَّ فكـرة عـمَّا مـرَّ منـه عندمـا سـمعت أخـيرًا هديـر خطـوات تهبـط السـلالم إلى القبـو. أحـاط بي فريـقٌ طبـي في كامـل معـدات الوقايـة مـن الخطـر، وعندمـا رأوا ألمـي البالـغ، حقننـي أحدهـم في رحمـة بمخـدرٍ جميـلٍ.

أبحرتُ بعيدًا في بحرٍ هنيء من الظلام.

إلى أن استيقظت هنا.

أينما كان هنا.

- **أهلًا لوجان، كيف حالك؟**

أتى الصـوت مـن مكـبِّر صـوتٍ صغـيرٍ عـلى الطاولـة إلى جانـب السريـر - صـوت أنثـوي أعمـق مـن المألـوف.

قلت: "التنفُّس مؤلم... جدًّا".

- **كيف تُقدِّر ألمك بمقياس من واحد إلى عشرة؟**

- سبعة، ربما ثمانية.

- **على يمينك، هناك شيء كالعصا به زرٌّ أرجواني. اضغطه بضع مرات وستحصل على بعض المورفين.**

شرعت في مد يدي نحوه لكني توقفت، لقد تناولت المورفين من قبل -في أعقاب هجمة فاشلة في منطقة إنلاند إمباير قضت على حياة شريكتي الأولى وتركتني مصابًا بطلقٍ ناري في البطن، أحببتُ المورفين، لكنه كان يجعلني مسترخيًا للغاية لدرجة أني بالكاد كنت أستطيع متابعة حتى أبسط الحوارات، وفي هذه اللحظة، كنت بحاجة إلى بعض الإجابات.

سألتُ: «أين أنا؟».

- **مركز دنفر الصحي الطبي، اسمي دكتورة سينج. أنا اختصاصية عناية مركزة.**

أخذتُ نَفَسًا آخر مؤلمًا.

- أنا في العناية المركزة؟

- **صحيح.**

واو! مع الفيروسات الجديدة والطفرات في أمراضٍ غير معروفة تجوب الكوكب باستمرارٍ، صار الطلب شديدًا على الأسرَّة في وحدات العناية المركزة، وكثيراً ما كانت غير متاحة. إمَّا أنَّ الجي بي إيه استخدمت نفوذها وعلاقاتها لإدخالي هنا وإما أني كنتُ في حالة سيئة بشكلٍ خطيرٍ.

- هل أنا أموت؟

- **لا، علاماتك الحيوية جيدة الآن.**

- وماذا عن البلاستيك؟

- **هل تذكر ما حدث ليلة الأمس؟**

- كنت في هجوم، انفجر شيء ما.

- **انفجرت عبوة ناسفة مرتجلة في ذلك القبو، ربما تكون قد تعرضت لشيء ما.**

أحاطت بي موجة من الخوف شلّت حركتي.

تساءلتُ: "مثل ماذا؟".

- **أحد العوامل المُمْرضة أو مادة سامة.**

- هل حدث ذلك أم لا؟

- **لا نعرف بعد، نحن نُجري اختبارات، سأقول إنه لا يبدو أنك سُممت؛ وظائفك العضوية جيدة.**

- ماذا عن الآخرين الذين كانوا معي؟ شريكتي نادين، فريق التدخل السريع.

- **هم في الحجر الصحي هنا كذلك، فقط من أجل سلامتهم، لكنهم كانوا خارج القبو عندما انفجرت العبوة؛ لم تُخترق بدلاتهم.**

تحرّكت في السرير بشكلٍ غير مريحٍ.

كان الألم يشتد، والزر الأرجواني يناديني.

سألتها: "ما هي إصاباتي؟".

- **ضلعان مكسوران، ثلاثة ضلوع مشروخة، انهارت رئتك اليسرى، لكن جرى علاج هذا. وذراعاك وساقاك غطّتهم الجروح من شظايا الثلج.**

- كان انفجارًا سيئًا إلى هذا الحد؟

- كنتَ في مكانٍ ضيقٍ، لذلك تسبَّب الاختلاف بين أعضائك الممتلئة بالهواء وموجة الضغط في بعض الدمار. لحسن الحظ، لا شيء يهدد حياتك، لا شيء لن تتعافى منه.

وجدت الألم قد بلغ حدًّا أن يصبح على نفس القدر من التشتيت الذي يمكن أن يجعلني المورفين عليه.

ضغطت الزر الأرجواني عدة مرات.

شعرت بالارتياح على الفور.

على الفور شعرت بالخفة والدفء.

- أرى أنك فعَّلتَ للتوِّ مضخة المورفين، حاول أن تنام قليلًا يا لوجان، سأطمئن عليك بعد بضع ساعات.

***

صحوت مرة أخرى.

كان هناك شيء مختلف هذه المرة.

شيء خاطئ.

كان ما زال هناك ذلك الألم المشع في صدري، لكن الآن كان صدري يؤلمني كذلك، وشعرتُ بسخونة تتجاوز الخيال. كانت الملاءات غارقة في العرق؛ سال العرق ودخل عينيَّ، ولم أكن أتنفَّس بقدر ما كنت ألهث.

أصدرت شاشة مراقبة العلامات الحيوية صفاراتها المتقطعة أسرع مما يجب.

وقف أحدهم إلى جوار سريري، يحقن محتويات إبرة في أنبوبي الوريدي.

تساءلت: "ماذا يحدث؟".

بدا صوتي حالمًا، واندغمت كلماتي في بعضها.

رمقني الطبيب أو الممرض عبر درع الوجه في البدلة الواقية، حاولت أن أقرأ خطورة الموقف في العينين، لكنهما راوغتاني.

أتى الصوت عبر مكبر صوت في درع الوجه. بدا مثل صوت الطبيبة التي تحدثت إليها من قبل، رغم أني لم أستطع تذكر اسمها.

- لقد أُصبتَ بحمى شديدة جدًّا يا لوجان؛ نحن نحاول تخفيض حرارتك.

- كم بلغت درجة حرارتي؟

- أعلى مما يجب.

قلتُ شيئًا بدا هذيانًا، حتى بالنسبة إليَّ.

انفتح سحَّاب باب في الحاجز البلاستيكي ودخل عاملٌ طبي آخر في بدلة وقائية إلى فقاعتي.

- أتيتُ بالكمَّادات الباردة يا دكتورة سينج.

- أشكرك يا جيسيكا.

وضعت د. سينج الإبرة جانبًا وسحبت الأغطية التي كانت تغطيني. كنتُ قد تعرَّقت تمامًا عبر ضماداتي ورداء المستشفى.

رفعت د. سينج رأسي بحرصٍ عن الوسادة بينما لفَّت جيسيكا كمَّادة باردة حول عنقي.

حاولت أن أسأل إن كنت أموت، لكن الكلمات خرجت مندفعة في ألوان زاهية، كان بمقدوري أن أراها فعليًّا وهي تغادر فمي في قطار من الألعاب النارية المتفجرة.

***

تعرَّقت وتأوَّهت خلال أحلام الحمى بما يتجاوز أي شيء مررتُ به من قبل.

شيء خيالي.

متكرر.

مروِّع.

***

عندما صحوتُ، كانت الحمَّى قد انكسرت.

ورغم أن صدري كان ما زال يؤلمني، فإنه لم يكن ذلك الألم الغاشم الذي سبق.

كنت وحيدًا في فقاعتي، وكان صوت د. سينج يأتي عبر مكبر الصوت مرة أخرى.

- **أهلًا لوجان، كيف حالك؟**
- أفضل.
- **أرعبتنا، وصلت إلى درجة حرارة 41.17 مئوية.**
- لم أكن أحاول أن أسجِّل رقمًا قياسيًّا أو أي شيء من هذا القبيل.
- **لا نحب أن نرى حالات حمَّى تصل إلى هذه الدرجة العالية. في تلك المستويات، يصبح من المحتمل حدوث تلفٍ عضوي أو نوبات مرضية أو حتى الموت.**

تساءلتُ: "ماذا كان السبب وراءها؟".

- **ما زلنا نُجري الاختبارات، لكن لا توجد أي مؤشرات على أنها إصابة بكتيرية أو تسبَّبت فيها أي عدوى، لذلك في هذه اللحظة، نعتقد أن أيًّا ما كان يجري ربما يكون شيئًا فيروسيًّا.**

اللعنة.

شخص مجنون ما لديه ثأر مع الجي بي إيه نصب فخًا، بل سجَّل لحظة الانفجار.

الأدهى من فيروس صناعي يغرز منجله في جسدي كان السبب الآخر الذي يجعل الناس يهندسون الفيروسات؛ أنها الماكينات المثالية لحمل المعلومات الجينية الأجنبية إلى الخلايا. بعبارة أخرى، يمكن استخدامها لإصابة الناس بعامل تغييرٍ قادر على إعادة صياغة حمضهم النووي.

بالنسبة إليّ، وأنا راقدٌ هنا في الحجر الصحي، كانت فكرة أن هذا الفيروس ربما أصابني بشيء مثل سايث، مُعدِّل للحمض النووي يعيد صياغة الشفرة التي تجعلني أنا، مرعبة أكثر أضعافًا مضاعفة من احتمالية الإصابة بفيروس بسيطٍ.

- **لديك شخصٌ هنا يود أن يحييك.**

أتى صوتٌ جديدٌ من مكبر الصوت.

- **لوجان؟**

ابتسمتُ ابتسامة واسعة جدًا لدرجة أني شعرت بزاوية شفتي تتشقق: «بِث؟».

- **أنا هنا في الحجرة المجاورة.**

بدا كأنها تبكي.

بدأت أنا أيضًا في البكاء.

لعلَّها ألفة صوتها -هذه المرأة التي أحبَّتني رغم كل شيء- وتذكُّري أني كان يمكن أن أفقدها في ومضة انفجار عبوة ناسفة.

سألتها: «متى وصلتِ إلى دنفر؟».

- **أمس، أخذنا أنا وآڤا الهايبرلوب إلى هنا بمجرد أن سمعنا بما حدث.**

- آقا هنا؟
- **أهلًا بابا.**
- آه يا ربي! أهلًا طفلتي، من الجميل أن أسمع صوتك.
- **وصوتك أيضًا.**

سألتهما: "بمَ أخبراكما؟".

- **ليس كل شيء. قال إدوين إن مختبرًا دخلته انفجر. وأخبرنا الأطباء أنك ربما تعرضت لشيء في الانفجار ولهذا أنت في الحجر الصحي.**
- آسف بشأن رحلتنا في عطلة نهاية الأسبوع، كان يجب أن نكون جميعًا في شيناندواه الآن.

قالت آقا: **"سنذهب بمجرد أن تخرج من هنا".**

- هل تواظبين على المدرسة يا حبيبتي؟
- **نعم.**
- لا أريدك أن ترسبي مرة أخرى، وكوني كدتُ أُنسَف ليس عُذرًا.
- **أعتقد أنه عُذرٌ عظيم. لقد أحضرتُ حاسوبي المحمول، وكنت أعمل في قاعة الانتظار.**

قالت بِث: **"حسنًا، يقولون لنا إن علينا أن نتركك تستريح الآن.**

وستكونين أنت وآقا قريبتين؟

- **لن نذهب إلى أي مكان.**

***

تلك الليلة، عاودتني الحمّى.

حاولتُ أن أنام، لكنَّ أحلامًا وحشية طاردتني. ظللت أهلوس متخيلًا أني داخل جسدي، أراقب الفيروس وهو يغزو خلاياي. ثم أصبحتُ أنا الفيروس، أذيب نفسي وتعليماتي الجينية مخترقًا جدران الخلايا ومختطِفًا أنظمتها لصنع المزيد مني، المزيد من جزيئات الفيروس.

مرة بعد مرة بعد...

***

ارتطمتُ بوعي حارٍّ، مشوش.

ممرضات ببدلات واقية يلففن رقبتي بكمّادات باردة ويصببن الثلج على صدري.

كنت أتوجّع.

أتمتم بهذيانات.

قلت: "أنا الفيروس، أنا الفيروس".

قالت د. سينج: "حقنة إنترفيرون ستمائة ملليجرام".

تطلّعتُ إلى درع وجه طبيبتي، وقلت: "يمكنني أن أشعر به في خلاياي".

تجاهلتني د. سينج ونظرت إلى إحدى ممرضاتها وقالت: "المزيد من الثلج، بسرعة".

بدأت تمطر داخل مملكتي البلاستيكية، فيما عدا أنها لم تكن مثل أي عاصفة رأيتها في حياتي من قبل.

سقطت قطرات المطر مفردة كحروف متوهجة...

أ

ج أ

س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث س ج أ

ث ج ج

ث س

ث

.... أدينـين، جوانـين، سايتوسـين، ثايمـين: القواعـد الكيماويـة الأربـع التـي تشـكِّل الحمـض النـووي الصبغـي.

الدنا.

امتلأ الهواء بالقواعد النووية.

تطايرت منحرفة.

شكَّلت دوَّامات دوَّارة.

سالت على جدران الحاجز البلاستيكي.

تباديل غامضة لا نهائية من مخطط الحياة كلها على الأرض.

استطعت أن أشعر بالحروف تطرطش على وجهي.

استنشقتها.

وابل من الشفرة الحيوية ظلَّ يتغيَّر، يتحوَّر.

اشتعلت رأسي، وفكرت لو استطعت فقط أن أحلَّ الشفرة، سأتمكَّن من فهم ما يفعله الفيروس بي.

***

عندما أفقت، كان هناك شخصٌ ما يرتدي بدلة واقية ويجلس إلى جواري، شعرت أن ضلوعي أفضل حالًا وقد ذهبت الحمَّى، لكني كنت منهكًا حتى النخاع.

التفتَ الشخص ذو البدلة الواقية ليواجهني.

تطلَّعت إلى وجه رئيسي، مدير وكالة الحماية الجينية، إدوين روجرز؛ كنتُ سعيدًا لرؤيته. كنتُ قد قدَّمت طلبًا للعمل في الجي بي إيه من السجن مباشرة. لم أعتقد أنهم سيأخذونني على محمل الجد، لكن إدوين روجرز قابلني بنفسه ووظَّفني على الفور رغم سجلي ذي الإدانات الجنائية العديدة وانعدام خبرتي في تطبيق القانون، لذلك، سيكون ولائي له دائمًا.

قال إدوين: "انظر من عاد للوعي".

قلتُ بضعفٍ: "أهلًا، كيف حال نادين؟".

- ما زالت في الحجر الصحي، بلا أعراضٍ. قد تخرج خلال يوم أو اثنين. أخشى أنك تحملت العبء الأكبر من الأمر.

- وهل نعرف ماذا يكون هذا الأمر الآن؟

تنحنح إدوين وقال: "لقد دخلتَ فخًّا، كما أثق أنك استنتجت. ما زلنا نحتجز هنريك سورين. سنتهمه بمحاولة القتل.".

سألته: "ما هي قصة سورين؟".

"إنكار تام، يُقسم أنه قام فقط بعملية تسليمٍ إلى رجلٍ عند ذلك البيت صباح الخميس".

سألته: "ألا توجد أسماء؟".

- أعطانا وصفًا جسديًّا عامًّا ومدخلًا إلى شبكة الإنترنت السوداء، وهو -كما تعرف-...

"بلا فائدة" جاهدتُ كي أعتدل في جلستي، لكن ضلوعي صرخت من الألم، ساعدني إدوين على ترتيب الوسائد خلفي. "هل ذهبتَ إلى القبو الذي حدث فيه الانفجار؟".

- ذهبتُ، وجدنا بقايا قنبلتين ثلجيتين، بالقطع أغرب عبوتين ناسفتين رأيتهما في حياتي.

- هل كان الثلج من الماء أم...؟

- من الماء، تشكَّل في كرتين صلبتين بطريقة لا تُصدَّق، حوَّل الانفجار الثلج إلى قذائف مدببة، وهذا ما خرق بدلتك، وخرقك.

- هل تمكَّنتم من استعادة أي قدرٍ من الماء الذائب أو شظايا الثلج؟

- نعم، وانتهينا للتوّ من تسلسل عيِّنة. حملت هاتان الكرتان الثلجيتان فيروسًا في حالة سبات فائقة البرودة.

شعرت فجأة أني في كامل إفاقتي.

مضى متابعًا حديثه: "شيء عبقري في الحقيقة. تدخلك الشظايا عبر جروحٍ سطحية وتذوب من دون أي تلفٍ جسدي دائم".

- يا إلهي!

وضع يده المكسوة بالقفاز على كتفي، وقال: "قبل أن تُجن من الفزع، هو ليس واحدًا من عائلة الفيروسات الخيطية التي ربما تنتابك الكوابيس بشأنها، ليس إيبولا ولا ماربورج، ونعرف أنه ليس الجدري. في الحقيقة لديه سمات العائلة المخاطية".

- الأنفلونزا؟

- نعم.

- فيروس مُصنَّع؟

- هذا هو الافتراض.

وعندئذٍ سألته السؤال الذي لم أكن أرغب تقريبًا في إجابة عنه: "هل يحمل شفرة مُركب سايث؟".

أومأ برأسه.

آه، اللعنة! لقد أُصبت بالعدوى، ليس فقط من فيروس مجهول الأصل، لكن بعبوة تحمل شفرة أقوى نظام مُعدِّل للجينوم نشأ من قبل. أكاد أقول إنه من المؤكد أنه صُمِّم لا ليجعلني مريضًا، لكن ليصيب بالعدوى بعض أو كل الخلايا في جسدي، ومن المحتمل أن يُعدِّل ويعيد صياغة أجزاء من حمضي النووي.

سألته: "هل تعرف أي الجينات والمسارات المستهدفة؟".

- ليس بعد، لكننا نُجري اختبارًا وتحليلًا كاملًا لعينة من كرات دمك البيضاء.

حاولتُ أن أتماسك أمام موجة الخوف، لكني لم أستطع أن أصدَّها، لقد ساوتني بالأرض ببساطة. كان هذا أسوأ خبر ممكن، رغم أنه لم يكن مفاجأة بالضبط، لقد رقدت على الأرضية الترابية في القبو بينما كان الثلج يذوب بداخلي، لكنه جعل حقيقة موقفي صلبة بطريقة لم تكن عليها من قبل.

استند إدوين إلى سياجٍ سريري وربت على كتفي، قال: "أريدك أن تسمع هذا مني.. سنجد من فعل هذا ونذيقه العذاب، فقط عليك أن تركز على تحسن صحتك".

- سأحاول يا سيدي.

كان يحاول أن يريحني، لكنَّ القبض على الجاني لن يفيد في الحقيقة إن تبيَّن أن هذه التغييرات في الحمض النووي قاتلة، يمكن لنظام سايث أن يسبِّب كلَّ أنواع الخراب بشريطي الوراثي.

لو كُتبت الشفرة الجينية للمرء في كتاب من الحجم العادي، سيكون هذا الكتاب مجلدًا بطول عشرين طابقًا يتكوَّن من ثلاثة مليارات تنويعة لحروف أ، س، ج، ث، التي تمثِّل القواعد النووية الأربع: أدينين، سايتوسين، جوانين، ثايمين. الترتيب المحدد لهذه القواعد النووية الأربع هو ما يخلق الشفرة المصممة لكل الحياة البيولوجية على كوكب الأرض. هذه الشفرة هي النمط الجيني، والطريقة التي تتجسَّد بها ماديًّا في شكلٍ من أشكال الحياة (لون العين مثلًا) بالاشتراك مع تفاعلاتها مع البيئة المحيطة، تُسمَّى بالنمط الظاهري. لكن فهم العلاقة المتبادلة بين النمط الجيني والنمط الظاهري -التي تبرمج شفرة الحمض النووي أي سمات تكون لها- ما زال يروِّغنا إلى حدٍّ كبيرٍ.

نهض إدوين من مقعده، ثم سار إلى الباب، وفتح سحَّابته، وخطا عبره إلى الجانب الآخر.

بينما كنت أراقبه وهو يغلق عليَّ الباب من جديد في كوني البلاستيكي الموصد، شعرت أني وحيدٌ حقًّا.

ذكَّرني ذلك بزماني في السجن والإحساس المحطِّم بأن الآخرين يستطيعون الذهاب والمجيء.

لكني كنتُ هنا.

محبوسًا مع شريطي الوراثي المتغيِّر.

***

بدؤوا معي خطة علاجية بجرعات من بروتينات إنترفيرون جاما ومجموعة من مضادات الفيروسات الجديدة.

هاجمتني الحمَّى مرة أخرى في الليلة التالية، وبعد ذلك بدأتُ فترة من التحسن السريع؛ عادت طاقتي هادرة، عادت شهيَّتي، بدأتُ النوم خلال الليل.

خلال ثلاثة أيام، أُزيلت عني ضماداتي، وتغطَّت جروحي التي صنعها الثلج بالقشور.

ما زالت ضلوعي تؤلمني، لكني كنت متلهفًا على النهوض من السرير والتمشية في المكان، حتى لو كان المشي فقط جيئة وذهابًا في ممر وحدة العناية المركزة.

تُقتُ إلى حمَّام حقيقي بدلًا من وعائي السريري المُذلّ.

لكنهم لم يسمحوا لي بمغادرة فقاعتي.

لأنهم لم يعرفوا أيَّ شيء تقريبًا عن السلالة المصنَّعة من الأنفلونزا التي أُصبت بها، لم تكن د. سينج لتخاطر بأي احتمالات. ورغم أني

كنتُ خاليًا من الأعراض، فإني كنتُ ما زلت أتخلّص من الفيروس، الأمر الذي يعني أني من الممكن أن أكون مُعديًا للآخرين.

وهكذا أمضيتُ أيامي أُحمِّل الأفلام على حاسوبي اللوحي أو أحاول لملمة ما يكفي من التركيز للقراءة، لكن في أغلب الوقت كنت موسوسًا بالتفكير فيما قد يفعله سايث بي.

قاومت المستشفى فكرة السماح لزوجتي وابنتي بارتداء البدلات الواقية وزيارتي داخل فقاعتي، لكن بعد أسبوع في السرير، أصررت على السماح لي برؤيتهما.

خطت ابنتي ذات الأربعة عشر عامًا عبر الحاجز البلاستيكي في بدلة واقية كاملة ابتلعتها بالكامل، وتدلّت حقيبة قماشية على كتفها.

ضحكتُ عندما رأيتها -ضحكتي الحقيقية الأولى منذ صحوتُ في وحدة العناية المركزية قبل خمسة أيام- لكن مع ضلوعي المشروخة والمكسورة، تحوّل الفرح على الفور إلى عذابٍ.

قالت آڤا: "أهلًا بابا.." خرج صوتها عبر مكبر الصوت المزروع في البدلة. ثم مالت إلى السرير ومنحتني أعظم وأعجب عناقٍ حظيت به في حياتي، ووجهي ينضغط في درع وجهها البلاستيكي. حتى على الرغم من أنه كان عناقًا عبر قفازات مطاطية وبدلة واقية كاملة، جعلتني لمسة شخص أحبه ويحبني أبكي مرة أخرى.

- هل أنت بخيرٍ يا بابا؟

مسحتُ عينيَّ وقلت: "أنا بخيرٍ".

جذبتْ المقعد لتقرِّبه ومدَّت يدها داخل الحقيبة التي أحضرتها معها، وأخرجت منها لوح شطرنج:

- أتريد أن تلعب؟

- يا إلهي، نعم؛ لقد مللت من التحديق إلى الشاشات.

اعتدلتُ في جلستي، متأوِّهًا وأنا أحاول أن أرتِّب الوسائد بشكلٍ مريحٍ ورائي. فتحت آفًا لوح الشطرنج ووضعته على الفراش، وبدأت ترص القطع.

تأثَّرت مشاعري كثيرًا بأن ترتدي آفا هذه البدلة المغلقة وتقضي الوقت معي داخل فقاعتي؛ لو أنك غير معتادٍ عليها، يمكن أن تكون البدلة الواقية تجربة خانقة، رداء يصيبك بالاحترار ومن الصعب تحريكه، وحتمًا سيبدأ وجهك في إثارة رغبتك في هرشه في اللحظة التي تدخل فيها منطقة الحجر الصحي، وبالطبع يلوِّح من خلف كل هذه المتاعب الخطر الحقيقي بأن تتعرض للفتق.

مدَّت يديها مضمومتين وربتُّ أنا على اليد اليمنى، التي فتحتْها لتكشف عن بيدق أبيض.

- سألعبُ أولًا.

علَّمتُ آفا الشطرنج عندما كانت في الخامسة، انجذبت إليه على الفور وسرعان ما طوَّرت فهمًا فطريًّا ليس فقط للكيفية التي تتحرك بها القطع لكن أيضًا للحاجة إلى استراتيجية أوسع للفوز.

حاولنا أن نلعب دورًا كل يوم، جالسين في العادة إلى الطاولة المصنوعة من الحديد المطاوع في الحديقة الخلفية أو -إن كان الجو عاصفًا- أمام النار وقد وضعنا اللوح على الموقد الحجري.

قبل أن تبلغ العاشرة، كانت قد أصبحت لاعبة قوية.

وقبل الثانية عشرة، كنَّا متكافئين في القوة.

قبل الثالثة عشر، تجاوزت مستوى مهارتي بمجموعة هائلة من الألعاب الافتتاحية وإنهاء قوي للعبة؛ لم يعُد باستطاعتي أن أهزمها إلَّا باللعب الذي لا يشوبه الخطأ والانتظار على أمل أن ترتكب خطأ واحدًا على الأقل، لكن هذا المزيج كان نادرًا.

أحيانًا كنت أتساءل إن كانت قد وُهبتْ ذكاء أمي.

قمتُ بحركتي الافتتاحية.

«مرحى يا بابا؟» قالتها وهي ترد بتحريك حصان الوزير إلى المربع F6. «خمسمائة وواحد وستون، أردت فقط أن أتأكد أنك تعرف».

رفعتُ حدقتيَّ ودُرتُ بهما في عينيَّ.

كانت تبتسم ابتسامة عريضة من وراء درع وجهها.

خمسمائة وواحد وستون يومًا هو ما تقصده.

كانت تُذكِّرني بالمدة التي مرَّت منذ قلتُ لها «كش مات» لآخر مرة.

***

لعبنا كل يومٍ طوال الأسبوع التالي.

فازت كل مرة، ولم نتعادل حتى مرة واحدة.

كانت بِث ترتدي البدلة أيضًا كي تأتي لتجلس معي، وبعيدًا عن الأعمال الروتينية وإلهاءات الحياة اليومية في فيرجينيا، تكلمنا أكثر مما فعلنا طوال سنوات.

ذات يومٍ بعد الظهر، رنت إليَّ عبر درع وجهها وأخذت يدي في يديها، وجسدانا مفصولان بطبقة من المطاط.

سألتني: "متى تكتفي؟".

كانت تقصد عملي، كثيرًا ما ثار بيننا هذا الشجار.

- لا أعرف.

- لقد تعرضتَ لإطلاق النار، والآن أضف (كدتَ أن تُنسف) إلى بطاقة أدائك.

- إنها ليست بطاقة أداء.

قالت: "بل هي كذلك بالتأكيد، من فضلك انظر إليَّ، لو كنت أعتقد أنك تحب هذه الوظيفة، فبقدر ما أكره الخطر الذي تضعك فيه دائمًا، لم أكن لأنطق بكلمة عنها. لكني أعرف أنك لا تحبها، إنها ليست حقيقتك. أنت تفعل هذا من منطلق الواجب والشعور بالذنب، وربما كان هذا منطقيًا في البداية، لكن مرَّ خمسة عشر عامًا منذ أن حظيت بالعفو، ربما حان الوقت كي تسامح نفسك وتفعل شيئًا تحبه بالفعل".

ما أحببته حقًّا، ما أردته حقًّا -أردته دومًا- هو أن أكون اختصاصي وراثة، أن أفهم وأسيطر على قوة الشفرة الأصلية للحياة كي أجعل العالم مكانًا أفضل. ألقي بلائمة ذلك على نشأتي في مدار أمي، كانت طاغوتًا، وحمّلني تأثيرها طموحات هائلة.

لكني عشتُ في عالمٍ لم تعد أي من أحلامي ممكنة فيه.

وأصعب حقيقة -الحقيقة التي ظلّت تأكلني من الداخل طوال معظم حياتي كرجلٍ- أنه حتى لو كان هذا العالم صالحًا، فأنا لا أمتلك جزءًا من الذكاء الخام لشخصٍ مثل أنطوني روميرو أو ميريام رامزي.

كانت لديَّ أحلامٌ غير عادية وعقل عادي.

***

بعد أسبوعين بالضبط من دخولي وحدة العناية المركزة في مركز دنفر الطبي، انفتح سحّاب الباب المؤدي إلى فقاعتي، ودخلت د. سينج بابتسامة عريضة على وجهها وشلال من الشعر الأسود ينسدل متجاوزًا كتفيها.

قلت: "لديكِ شَعر..".

- لديَّ، الكثير منه في الحقيقة.

- أين بدلتك؟

- لست بحاجة إليها.

اقتربت وجلست على المقعد إلى جوار سريري، أصغر قليلًا في السن مما خمنتُ بناءً على بحّة صوتها.

"نحن نقول بارتياح أن الفيروس، أيًّا كان، قد مضى إلى حال سبيله. سيظل الألم شهرًا آخر أو نحو ذلك، لكننا سنطردك من هنا. آه، ومعي شخص على هاتفي يريد أن يقول لك شيئًا" أخرجت هاتفها الخلوي من جيبها، وشغّلت مكبِّر الصوت: "سيادة المدير روجرز؟ أنت مع لوجان".

- لوجان، هل تسمعني؟

- نعم يا سيدي.

- أبلغتني طبيبتك للتوِّ بالخبر الطيب، ولديَّ بعض الأخبار الطيبة من جانبي. أتى تحليل الحمض النووي الخاص بك؛ أنت في الأمان.

سألته: "لا تغييرات في شريطي الوراثي؟".

- لا شيء يمكننا أن نراه.

كتمتُ الدموع.

- أشكرك يا سيدي، أشكرك شكرًا جزيلًا.

- أراك عند عودتك إلى واشنطن.

عندما أنهت د. سينج المكالمة، اندفعتْ بِث وآڤا عبر الفتحة في الحاجز البلاستيكي وقفزتا على سريري، صعدت كلتاهما على الحشية الضيقة، معتصرتين إياي بينهما.

تأوّهتُ: "احترسا لضلوعي..".

كنّا جميعًا نضحك ونبكي؛ لقد افتقدتُ المشاعر البسيطة، رائحتهما، نبرة صوتيهما في الهواء الطلق بدلًا من الصوت المفلتر عبر درع الوجه في البدلة الواقية، ملمس الجلد على الجلد بدلًا من المطاط.

بعد أربعة عشر يومًا في العزل، كان الأمر أشبه بدعوة إلى العودة إلى الحياة من جديدٍ.

العودة إلى البيت.

3
بعد شهر

انفتح باب الحمّام محدثًا صريرًا، وأطلّت بِث.

"ماذا تفعل؟" تساءلتْ بعينين غائمتين.

سؤال منطقي؛ كانت الساعة الثالثة صباحًا، وكنت جالسًا في حوض استحمامٍ ساخن قدر احتمالي.

تساءلتُ: "هل أيقظتك؟".

- لا، مددتُ يدي نحوك، لكن لم تكن موجودًا، هل هو الأمر ذاته مثل الأسبوع الماضي؟

- نعم.

تساءلتْ: "أين الألم؟".

- ساقاي، ذراعاي، ظهري، في الواقع كل مكان.

دخلت بِث الحمَّام، وبدأت تنبش في خزانة الأدوية.

قلــت: "لقــد تناولــتُ بالفعــل بعــض الأدفيــل، أنتظــر فقــط أن يبــدأ مفعولــه".

اقتربــت مــن حــوض الاســتحمام ذي القــدم المخلبيــة (المصنــوع مــن الحديـد الزهـر مـع طـلاء بلـون صـدأ النحـاس) كان البخـار المتصاعـد مـن سـطح المـاء قـد مـلأ الحـمَّام بضبـابٍ سـاخنٍ ثقيـلٍ.

تساءلت: "أنت لم تتبوَّل في الحوض، أليس كذلك؟".

ضحكتُ: "لا، لماذا؟".

خلعــت رداءهــا، وتركتــه ينزلــق عــن كتفيهــا ويســقط عــلى الأرضيــة المصنوعــة مــن بــلاط القيشــاني.

أمسكت بجانب الحوض، وأرجحت ساقًا طويلة وصعدت إليه.

"أف! إنــه ســاخن" زفــرت ببــطء مــن بــين أســنانها وهــي تســترخي في المــاء قبالتــي: "لا أعــرف كيــف تتحمَّــل هــذا".

- إلى هذا الحد السيِّئ وصل الألم.
- أي نوعٍ من الألم هو؟
- أتذكرين آلام نمو العظام؟
- بالتأكيد.
- مثلها، في أقصى حالاتها، وجع عميق.
- أم تراك صرتَ طريًّا وواهنًا مع تقدُّمك في السن؟

ابتسمتُ ورفعتُ لها إصبعي الوسطى.

ملــتُ بظهــري مســتندًا إلى طــلاء المينــا الناعــم، وأغلقــت عينــيَّ. عــلى الرغــم مــن المــاء الســاخن، كانــت ســاقاي مــا زالتــا تنبضــان بــالألم، لقــد

تناولت ثلاث حبات من مُسكن الأدفيل، لكني بدأت أشك في أني بحاجة إلى شيء أقوى لو استمر الألم.

- أتمنى أن تتحدث مع دكتور ستراند عن هذا.
- سأراه غدًا.

ما لم أقله لبِث أني تحدثت مع د. ستراند عن هذا الألم المتكرر في فحصٍ للاطمئنان منذ عدة أيام، وانزعج بما يكفي لإرسالي للقيام بمجموعة من أشعات الفحص. سأخبرها بما يجري عندما أتلقّى خبراً مؤكدًا؛ لا جدوى من إزعاجها إذا لم يكن في الأمر شيء.

سألتني: "هل ستتمكّن من الذهاب إلى العمل غدًا؟".

- آمل ذلك.

كانت الوكالة قد منحتني إجازة منذ حادثة دنفر، وغدًا أعود إلى العمل لأول مرة منذ كدت أقتل نفسي قبل ستة أسابيع. كانت ضلوعي تلتئم بشكلٍ جيدٍ، وتلاشت الجروح التي أصابني بها الثلج من دون ندبة واحدة.

سألتها: "ما موعد قطارك؟".

السابعة والربع.

كانت بِث ستستقل القطار إلى نيويورك لحضور مؤتمر في علم الاجتماع بجامعة كولومبيا، ستقدم محاضرة عن الجريمة في حي مانهاتن السفلي، الذي أصبح مخيَّمًا هائلًا للمشردين منذ أن غرق وتلف قبل ثمانية أعوام.

سألتُها: "أما زلت عازمة على البقاء طوال أيام المؤتمر؟".

- بلى، أتمنى لو كان بمقدورك المجيء، يمكننا أن نجعله أسبوعًا رائعًا.

انخرطنا في حوارٍ هادئ بينما كان الماء يبرد. كان الحديث مع بِث واحدًا من المباهج الصافية القليلة في حياتي. في الحقيقة، عندما طلبت منها الزواج منذ كل هذه السنين، صغتُ عرضي بطلب يدها كما يلي: "لا يوجد شخص آخر على هذا الكوكب أُفضِّل أن أتناول العشاء عشرة آلاف مرة معه".

خفَّ الألم في ساقيَّ رويدًا رويدًا.

أخيرًا نهضت بِث وخرجت من الحوض، متنهدة وهي تنظر إلى هاتفها.

سألتها: "ما الخطب؟".

- تجاوزت الساعة الرابعة، ما زال عليَّ أن أحزم حقيبتي وأخرج إلى محطة يونيون قبل السادسة، لا جدوى حتى من محاولة العودة للنوم.

قلت: "آسف لأني أيقظتك".

لبست رداءها، وربطت الحزام، وعادت إلى الحوض.

انحنت وقبَّلتني:

- لا تأسف أبدًا.

***

في الصباح، أنزلتُ آفا عند المدرسة، وصففتُ السيارة في ساحة بالقرب من محطة مقبرة أرلينجتون، وأخذت الخط الأزرق إلى واشنطن.

كان مقر وكالة الحماية الجينية في مركز الدستور، في نفس المكتب الذي كان يؤوي فيما مضى الصندوق الوطني للفنون.

أبرزتُ شارتي للأمن كي أمرَّ وأخذت المصعد إلى جناح مكتبي المدير ونائب المدير، حيث استُدعيت للقاء إدوين روجرز في التاسعة صباحًا.

انتظرتُ خارج حصن سكرتاريته لمدة نصف ساعة، وبعد ذلك خرج إدوين من مكتبه، قائلًا على سبيل التحية: "هل تناولتَ قهوتك بعد؟".

- نعم، لكن يمكنني دائمًا تناول المزيد.

- سِر معي.

كان رجلًا مهيبًا مسيطرًا.

طوله نحو 198 سنتيمترًا، رشيق له كتفان عريضتان، ويرتدي بدلة رائعة التفصيل.

في الستين من عمره، لكنه ما زال خفيف الحركة كما لو كان شابًّا، وكان عليَّ أن أسير بسرعة كي ألاحق خطواته الواسعة الواثقة.

أخذنا المصعد هابطين إلى الحديقة المركزية للمبنى ووقفنا في طابور عند كشك القهوة. كان صباحًا لطيفًا بالنسبة إلى هذا الوقت من العام، أواخر نوفمبر، وأبقانا مبنى مركز الدستور ذو العشر طوابق بواجهته الزجاجية الذي طوّق الساحة البالغة مساحتها فدانًا في مأمن من الريح القادمة من نهر بوتوماك وضوضاء الطريق السريع إلى جنوبنا تمامًا.

أخذنا قهوتينا إلى دكة قريبة.

سألني إدوين: "كيف حال تلك الضلوع المكدومة؟".

- ما زالت واهنة، سأرى طبيبي اليوم بعد الظهر.

رشف إدوين قهوته: "والعلاج النفسي؟ إذا لم يضايقك فضولي...".

- إنه مفيدٌ.

- لا بأس، من المهم التأكد أنك تتعامل مع ما حدث في دنفر، كان يمكن أن يسير الأمر على نحوٍ أسوأ بكثيرٍ.

شربت قهوتي.

أعلانا مباشرة، سمعتُ صوتًا كطلقة المدفع صادرًا عن طائرة نفاثة فائقة تكسر حاجز الصوت في صعودها من مطار ريجان الوطني.

سألته: "إلى أين وصلنا مع سورين؟".

- وجَّهنا إليه تهمًا بمحاولة القتل، ورفض القاضي قبول الكفالة، هو ما زال محتجزًا في دنفر.

- ألا يريد أن يعقد صفقة؟

- لا يتحدث إلينا حتى.

- ماذا لدينا ضده؟

- ليس الكثير؛ كان حاسوبه نظيفًا.

- أخبرنا بمكان ذلك البيت، واعترف بقيامه بعملية تسليم هناك، أدخلنا في الفخ مباشرة.

- وبعد أن طلب محاميًا، كان ردك تهديده بتسليم غير قانوني إلى الصين.

- سيدي، أنا...

- لوجان، أنا في صفك هنا.

- ماذا لو زرعنا فيه رقاقة وأطلقنا سراحه؟

- تقصد واحدة من هذه الأشياء النانو التجريبية التي تصنعها وكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية؟

- لِمَ لا؟ ونرى إلى أين يذهب.

- إنها بالفعل مفيدة فقط مع المخبرين المتعاونين، فهي تذوب بعد ثمانية وأربعين ساعة، وهذا أيضًا -كما تعلم- فيه بعض الانتهاك لحقوقه، مرة أخرى.

- إذن ما سيحدث في المرحلة التالية؟

"هنـاك جلسـة اسـتماع أوليـة خـلال أسـبوعين، سـتكون تلـك لحظـة مواجهتنـا لعواقـب مـا فعلنـا" ألقـى إدويـن نظـرة عـلى سـاعته ونهـض، "عـليَّ أن أذهــب إلى كابيتـول هيـل، أريـدك أن تقـدم تقريـرك لقسـم الاسـتخبارات، هـم يعرفـون أنـك قـادم، سـتجلس إلى مكتـب في قسـم المحللـين حتـى تـبرأ وتصبـح جاهـزاً للعمـل الميـداني".

بينـما كنـت أراقـب إدويـن وهـو يجتـاز السـاحة، نـادى صوتٌ مألـوفٌ اسـمي، التفـتُ لأرى شريكتـي، ناديـن، تتحـرك نحـوي، وقـد انشـق وجههـا عـن ابتسـامة.

قالت وهي تجلس إلى جواري: "أهلًا يا غريب، كيف حالك؟".

- أفضل، كلَّفني المدير بأعمال مكتبية، لذا... أمامي أوقات ممتعة.

- آه، بربـك، هـذا حلمـك؛ أنـت تكـره العمـل الميـداني، إنـه يجعلـك تتقيـأ طـوال الوقـت.

- فعلًا. وأكره أيضًا أن أكون في حظيرة.

ضحكت نادين. "كأنه لا يمكن إسعادك أبدًا".

دُرت بحدقتيَّ في عينيَّ.

تساءلت: "هل لديك خطط للغداء؟".

- لا.

- يوجـد مـكانٌ جديـدٌ يقـدِّم الرامـن[1] في الجهـة المقابلـة مـن الشـارع، عـلى حسـابي.

- وما المناسبة؟

---

(1) الرامـن هـو طبـق ذو شـعبية كبـيرة في اليابـان، وهـو عبـارة عـن نـوعٍ مـن حسـاء المكرونـة، تحـضَّر في مـرق اللحـم أو السـمك وتكـون بطعـم صلصـة الصويـا أو الميسـو، كـما تضـاف إليهـا شرائـح مـن لحـم الخنزيـر أو الدجـاج، أو الطحالـب البحريـة المجففـة، أو البصـل الأخـضر، أو الـذرة.

- لا أعرف، ألا يمكنني أن أبتهج لأنك لم تمت؟

تساءلت: "كم ستبقين في المدينة؟".

"سآخذ القطار إلى مينيابوليس هذا المساء" وهزّت كتفيها: "من الواضح أن شخصًا ما أقام مختبرًا جينيًّا في قبو مستشفى نفسي مهجور".

- تبدو مثل افتتاحية فيلم رعب عظيم.

"سأمرُّ على قسم المحللين لأصحبك قبل الظهر بقليلٍ" نهضت نادين، وقرعت كوب قهوتها بكوبي. "شيء طيب أن يستعيدك المرء من جديدٍ".

وانطلقت عبر الساحة.

***

جلس د. جيف ستراند -طبيب الباطنة الخاص بي لِمَا يقرب من عِقد- أمامي في غرفة الكشف، يدرس نتائج فحصي.

- إذن فقد حصلت على أشعة إكس الخاصة بك مرة أخرى.

"لا بأس" قلت وأنا أربط حزامي. كنّا نثرثر لبضع دقائق، لكن كان هذا كل ما استطعت التفكير فيه.

"توجد بعض... الأشياء غير العادية" جذب صورتيْ أشعة من ملفي ووضعهما على الطاولة المبطنة التي كنت متربعًا عليها. بدت الصورتان متطابقتين بالنسبة إليّ، لمس إحداهما: "هذه صورة لعظام الرسغ والساعد والزند بالذراع اليمنى، الرسغ والساعد، إنها طبيعية".

- هذا جيد، أليس كذلك؟

- هذه لمريض آخر لديَّ.

- أوه.

أشار إلى صورة الأشعة الأخرى: "هذه صورة رسغك وساعدك الأيمن".

تنقلت بنظري بين الصورتين.

تساءل: "أترى الاختلاف؟".

- لا في الحقيقة. فقط أخبرني، أهو سرطان؟
- لا، لا شيء هكذا، هل كُسرت لك عظمة من قبل عندما كنت أصغر سنًّا؟
- عظمة ترقوتي عندما كنت في الثالثة عشرة.
- وكسرتَ للتوِّ بعض الضلوع في أكتوبر الماضي في دنفر.
- صحيح.

تناول صورة أشعة أخرى من ملفي: "هذه صورة لضلوعك المكسورة التُقطت في مركز دنفر الطبي. باستثناء الكسور والشروخ، هذه العظام طبيعية" أشار إلى صورة الأشعة الحديثة لذراعي اليمنى: "أما هذه فلا".

- وما المشكلة فيها؟
- ليست مشكلة في حد ذاتها، يوجد مقياس اسمه الدرجة المعيارية، يقيس كثافة المعادن في العظام، أي شيء بين سالب واحد وواحد يكون في النطاق الطبيعي، أما درجتك المعيارية فهي 2.75.
- هل هذه درجة مرتفعة؟

قهقه وقال: "طوال مسيرتي المهنية، لم أرَ قطُّ عظامًا بهذه الكثافة، يمكن لهذا أن يفسر الألم الجسدي العميق الذي كنت تشعر به إذا كانت تمر بدورة من التكثيف".

- وماذا يمكن أن يسبِّب ارتفاعًا في كثافة العظام؟

- أشـياء سـيئة، سرطـان البروسـتاتا المنتـشر في الجسـم بشـدة، داء بادجيـت العظمـي، التعظـم التغلظـي، تصخـر العظـم... إنهـا قائمة طويلـة مرعبـة. لكـن هنـا تكمـن المشـكلة؛ أنـت لا تعـاني مـن أي مـن هـذه الأمـراض.

- هل أنت متأكد؟

- لقـد فحصتـك بـكل شيء يمكـن للـذكاء الاصطناعـي أن يفكـر فيـه، أنـت فيـما عـدا ذلـك بصحـة جيـدة تمامًـا. فقـط لديـك عظـام فائقـة الكثافـة الآن، أقـل ميـلًا بكثـيرٍ إلى الكسـور والـشروخ.

شعرت بموجة مفاجئة من الخوف.

كان قلبي يتلاطم داخل صدري.

نظرت إلى جيف، رجل ضئيل بلحية كثَّة وعينين وقورتين.

سألته: "أي قدرٍ من تاريخي الطبي تتشاركه مع جهة عملي؟".

- أنـت وقَّعـتَ إعفـاءً يسـمح لي بإرسـال التقاريـر بعـد حادثـة دنفـر، بهـذه الطريقـة يعرفـون متـى يعيدونـك إلى الخدمـة الفعليـة. لمـاذا؟

- هل شاركتهم صور الأشعة تلك ونتائجك؟

- ليس بعد.

- لا تفعل.

بدا جيف مترددًا.

سألني: "ما الأمر؟".

- هل يمكنك أن تقوم بتحليل حمض نووي آخر لي؟

- ظننت أن تحليلك في دنفر كان سلبيًا بالنسبة إلى التغييرات.

- كان كذلك.

- لماذا لم يُظهر أي تغييرات إذا كان شريطك الوراثي تعرض للتغيير؟

قلت: "هناك العديد من الأسباب، نحن نعرف أن هاتين القنبلتين الثلجيتين كانتا تحتويان على عبوة معدِّلة للجينات، لعلَّها استهدفت فقط الخلايا في أعضاء بعينها، أو لعل الناقل الفيروسي بُرمج بآلية تأجيل، تسمح له بالبقاء خاملًا وتعديل شريطي الوراثي لاحقًا".

نهض جيف وقال: "سأرسل عينة من حمضك النووي إلى دورة جديدة من التسلسل الجينومي، وسنقارنها بتحليلك الأخير" وبدأ يعيد صور الأشعة داخل ملفي. ثم قال: "لو كان هناك شيء شاذ، فأنا مُلزَم قانونًا بالإبلاغ عن ذلك. بالطبع تعرف هذا، لكني سأبلغك أولًا".

لعلِّي كنتُ مذعورًا فقط، لكن لو كان شريطي الوراثي تغير في دنفر، أردت أن أعرف أي التغييرات الأخرى قد تحدث. آخر ما ينقصني أن تفكر الجي بي إيه في أني فعلت ذلك بنفسي، أو تُنشر قصة صحفية في النيويورك بوست أو الجارديان ذات عنوان رئيسي فاقع عن ابن ميريام رامزي الموصوم بالعار الذي قُبض عليه بتهمة التعديل الذاتي.

لكن أكثر من كل هذا، لم أُرد أن أصبح فأر تجارب لأحدهم.

***

تكسَّرت كتلة هوائية باردة على مترو واشنطن في ساعة الذروة.

بطشٌ من سماوات سوداء ورياح وأمطار، المسمار الأخير يُدق في قلب الخريف.

بينما كنتُ أقود سيارتي مارًّا بالمربعات السكنية القليلة نحو بيتي في حي بلومونت في أرلينجتون، هبَّ الهواء مُدوِّمًا أوراق الشجر الميتة، وشعرتُ بتغير الضغط كأنه مِلزمة حدَّاد تقبض على ضلوعي.

مع وجود بِث في مدينة نيويورك، طلبنا أنا وآڤا طعامًا من مطعمنا الصيني المفضل.

أوقدتُ نارًا.

أول نار في الموسم.

وبينما كان مطر بارد يغمر النوافذ المطلة على الحديقة الخلفية، أحضرت ابنتي لوح الشطرنج المصنوع من خشب الورد وبدأت ترصُّ القطع الرخامية، اعتقدتُ أني لمحتُ شيئًا ما في لغة جسد آڤا وثقلًا في عينيها.

سألتني: "كيف كان يومك الأول بعد العودة؟".

- لا بأس، وضعوني على مكتب في قسم الاستخبارات.

- وماذا يفعلون هناك؟

مدَّت يديها - بيدق أبيض في إحداهما، وبيدق أسود في الأخرى؛ اخترتُ اليسرى.

الأسود.

ستلعب أولًا.

- يراقبون كل العلماء المعروفين الذين كانوا يشتغلون بعلم الوراثة، يحاولون التنبؤ بمَن من بينهم قد يكون راغبًا في خرق القانون.

"وكيف تتنبَّؤون بذلك؟" سألتني آڤا وهي تقوم بحركتها الأولى.

البيدق إلى المربع e4.

- برنامج ذكاء اصطناعي اسمه (ميستيك).

دفعتُ بيدق الملك ليقابل بيدقها.

- واو يا بابا.

- ماذا؟

- أنت تعمل لدى الدولة العميقة.

لم تواتني الشجاعة كي أخبرها بما بدأت مؤخرًا فقط أتصالح معه، لم أكن فقط أعمل لدى الدولة العميقة، بل كنت أنا الدولة العميقة.

حاورنا وناورنا، ودفعنا بأحصنتنا إلى الأمام.

بعد عشر دقائق من الدور، لم يفقد أيٌّ منَّا قطعة واحدة.

تساءلت آڤا: "هل تحب عملك؟".

- إنه عملٌ شائقٌ.

- لكن هل تحبه؟

- المحظوظون جدًّا هم فقط من يسعدهم الحظ بما يكفي لأن يحبوا...

- هذا ليس ردًّا.

لم أستطع إلا أن أبتسم، تشبه جدتها كثيرًا.

قالت آڤا: "حسنًا، أمي تحب عملها".

- نعم، هي واحدة من المحظوظين.

- هل أردتَ أبدًا أن تكون عالِمًا مثل أمك؟

أومأتُ برأسي، وقد وجدتُ سؤالها غريبًا؛ نادرًا ما سألت آڤا عن جدتها. بالطبع كانت تعرف من تكون، وما فعلت، لكننا نادرًا ما تكلمنا عنها.

- كيف كانت؟

- واحدة من أذكى من عاش من البشر.

- لا، كيف كانت؟ لو كانت معنا في هذه الغرفة حالًا...

- جادة أغلب الوقت، دائمًا ما كان لينتابك الشعور بأنها تفكر في شيء آخر، وهو ربما ما كان عليه الحال بالفعل، لكن عندما كانت تريد الاندماج، كان هذا لا يتطلَّب منها جهدًا، كان يمكنها أن تصبح مرحة للغاية في الموقف الملائم.

- أكانت أُمًّا جيدة؟

- أعرف أنها كانت تحبني، سأقولها هكذا: لم أكن أهم شيء في حياتها، أرادت أن تتمكَّن من صياغة وتعديل الحمض النووي، أن تشفي المرض، أن تُحسِّن نوعية الحياة البشرية، البيئة، العالم، ولم يكن للمال علاقة بالأمر بالنسبة إليها، ولم تكن تهتم إطلاقًا بشهرتها.

- أكنت سأحبها؟

- من الصعب قول ذلك؛ لم تكن لتغدو أبدًا الجدة رامزي. إن الأشخاص الذين لديهم هذه الأنواع من الطموحات ليسوا مثل بقيتنا، ثمة قسوة فيهم. يعتقدون أنهم يريدون السلام، يعتقدون أن الإنجاز سيجلبه لهم، ولا يفعل ذلك أبدًا.

ما لم أخبرها به كان حقيقتي من دون طلاء، كيف كنت في الحقيقة أشعر حيال ماما؟ كنت أكرهها، وكنت أحبها، وتمنيت لو كانت لي أم أخرى، حتى وأنا أريدها أن تكون هي، وكنت لأقتل من أجلها.

قلت: «أنتِ لم تسألي قطُّ في الحقيقة أسئلة شخصية عن أمي من قبل..».

- حزِّر فزِّر أي كارثة عالمية ندرسها في تاريخ العالم الحديث؟

اللعنة.

في أوقاتٍ مثل هذه كنت أشعر بالامتنان لامتلاكنا بُعد النظر كي نعطي ابنتنا اسم عائلة أمها: ويليامز، يكفي ما في النمو من مشاكل حتى لا نضيف إليها مشكلة أن تكون حفيدة لمصممة أكبر حادث قتلٍ جماعي عرضي في التاريخ البشري.

- هل عرف أي...

- فقط معلمتي تعرف، أعطتني رؤوس موضوعات سنتكلم عنها.

تلقَّيت تنبيهًا بأن طعامنا وصل.

خرجت من البيت وتناولته من المقعد الأمامي لمركبة التوصيل الخاوية ذات القيادة الذاتية. عندما عدتُ إلى الداخل، رأيت أن فيل آڤا يهدد حصان وزيري. خلال وقتٍ قصيرٍ، إذا لم أنتبه، سيؤدي هذا إلى خسارتي الدور.

وضعت أكياس الطعام على طاولة القهوة بينما الرائحة الحلوة الحريفة لدجاج مطعم جنرال تسو ولحمه بالبرتقال تنتشر في غرفة المعيشة.

تطلَّعت آڤا من فوق لوح الشطرنج وتساءلت: "هل أتيت بلحمٍ حقيقي؟".

- لقد تهوَّرت وأنفقت ببذخٍ.

ابتسامتها جعلت الزيادة 300 في المائة تستحق كل قرش.

عدت للعب.

ما كانت تفعله آڤا -أو تحاول أن تفعله- هو خداعي كي أصد ذلك التهديد ببيدق. لو سقطتُ في ذلك الفخ، ستدفع بوزيرها بعد حركتين إلى ذلك المربع الحديث الإخلاء، d3، ومن هناك سيكون أمامها ثلاث عشرة حركة (بفرض أني لم أسد الطريق أمام بيدقها وحصان

ملكها، وسبع عشرة حركة إن لم أفعل) ثم تقول «كش مات». لكني لو ضحيت بحصان وزيري واستخدمت هذه الحركة لدفع بيدقي إلى المربع b5، سيتحوّل اتجاه الدور. كان وزيري وحصاني موجودين بالفعل في جانبها من اللوح، ورغم أني لم أستطع بعد أن أرى معالم تهديد لملكها بكش مات، فإني بالقطع سأقوم بشق طريق بين قطعها.

كان أمرًا غريبًا بشدة أن أرى هذه الحركات الكثيرة مقدمًا، ففي العادة كنت أتمكّن من تقدير حركتين أو ثلاث بأقصى حدٍّ.

وهكذا دفعتُ بيدقي إلى الأمام، وبعد إحدى عشرة حركة، خنقتُ ملكها في المربع f8 بواسطة طابيتي ووزيري.

ذُهلت آڤا بقدر ما ذهلتُ.

الغريب أن هذا الدور لم يبدُ مثل أي من أدوارنا في الذاكرة القريبة. لم أعتقد أنها تركتني أفوز، لكنها لم تكن بالقطع آڤا التي اعتدت اللعب معها، تساءلتُ لو أن حكاية جدتها أبعدت تركيزها عن اللعب.

مدَّت آڤا يدها من فوق لوح الشطرنج وصافحتني وقالت: «أكنتَ تتدرب طوال الفترة الماضية؟».

ابتسمتُ: «لا، ألا يمكنني أن أكون محظوظًا في بعض الأحيان؟».

- لم يبدُ ذلك حظًّا.

نهضت، وسارت نحو أكياس الطعام.

قلت: "مرحى..".

التفتت إليَّ.

- أنا آسف.

- علامَ؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

اختـرتُ كلـماتي بحـرص: "عـلى أن إرث عائلتـي يؤثِّـر فيـكِ. أتمنـى لـو كان بمقـدوري أن أقـول لـك إن الأمـر يهـون مـع الوقـت".

- أكانت شخصًا شريرًا؟

- لا، يوجـد القليـل جـدًا مـن الأشـخاص الشريريـن بالفعـل في العـالم، كانـت فقـط... ذات عيـوب عميقـة.

- لا أعـرف مـاذا أعتقـد حـول كـوني حفيدتهـا، حـول معرفتـي أن جـزءًا منهـا يوجـد فيَّ، فتـاي لا يعـرف ذلـك حتـى، أشـعر كأني أكـذب عـلى النـاس.

لم أعـرف مـاذا أقـول ردًا عـلى ذلـك، فقـط انكـسر قلبـي لرؤيـة الألم الناتـج عـن أفعـال أمـي يتجـلَّى في النهايـة داخـل ابنتـي.

قلـت: "هـذه أمـور شـاقة، وإذا شـعرتِ يومًـا برغبتـك في الحديـث عـن الأمـر لشـخصٍ مـا... شـخص ليـس أنـا ولا أمـك... فقـط قـولي مـا بداخلـك".

***

دخلـتُ الفـراش في السـاعة التاسـعة، والنافـذة مواربـة بمـا يكفـي كي يمكننـي سـماع صـوت المطـر.

فتحـتُ الكتـاب الـذي كنـت أقرأه هـذا الأسـبوع: رواية كازو إيشـيجورو (لا تدعنـي أرحـل أبـدًا). قبـل دنفـر، كان هنـاك عمـود مـن اثنـي عـشر كتابًـا عـلى طاولـة الفـراش، تشـكِّل هدايـا عيـد ميـلادي والكريسـماس طـوال السـنين القليلـة الماضيـة. لطالمـا كان في نيَّتـي قراءتهـا، لكـن عـادةً في نهايـة اليـوم، كان كل مـا لـديَّ مـن طاقـة وتركيـز يكفيـان فقـط لمشـاهدة حلقـة أو اثنتـين مـن أي هـراء يشـد انتباهـي إلى درجـة معقولـة.

ربمـا السـبب وجـودي في البيـت لمـدة شـهر مـن دون ضغـط العمـل، لكنـي وجـدت في نفـسي زادًا فائضًـا حديـث الاكتشـاف مـن التركيـز والفضـول.

طوال الأسبوعين الماضيين، وجدتُ أني -حتى عندما أشاهد التليفزيون- أنجذب إلى الأفلام الوثائقية والقصص الحقيقية، وأصبحت القراءة متعتي من جديدٍ. لم يكن هناك شيء ليعدل الإحساس بتقليب أصابعي للصفحات في الصمت، وكنت أيضًا أتذكر كتبًا سابقة قرأتها.

مقاطع محددة من النثر.

حتى ما شعرت به وقت قراءتي لها.

أنهيتُ الكتاب بعد قليل من منتصف الليل، وأغلقته وشعلة صغيرة من الشعور بالإنجاز تتوهج داخلي. في الأسبوعين الأخيرين، قرأت الاثني عشر كتابًا كلها.. تلك التي كانت تذبل على طاولة فراشي.

لم أكن قادرًا على تلك الدرجة الكبيرة من التركيز والانتباه.. حسنًا.. من قبل أبدًا. ثمة شيء مختلف. وعندما أغلقت عينيَّ، همس صوت هادئ من أبعد ركن في عقلي: ليس شيئًا، بل أنت المختلف.

***

كانت عيادة طبيبتي النفسية في جورجتاون، ولا أعرف إن كان القصد خلق مساحة هادئة مريحة، لكن كل شيء تقريبًا في الغرفة -السجاد، الأثاث، الستائر، الأعمال الفنية- كان بدرجة ما من اللون الرمادي.

اسمها إيمي، وكانت تلك جلستنا الثالثة، وشعرتُ بالفعل أننا نقترب من نهاية الأشياء التي يمكننا أن نتحدث عنها فيما يتعلق بما حدث في دنفر. كنت مضطرًا إلى متابعة الحديث أكثر، وكثيراً ما أقول في عشرين كلمة ما كان يحتاج فقط إلى عشر كلمات، فاعلًا ما بوسعي لأملأ الخمسين دقيقة.

لكن كان هناك شيء مختلف اليوم.

مـن بدايـة جلسـتنا، كان واضحًـا أن إيمـي تحـاول توجيـه الحـوار بطريقـة لم تفعلهـا مـن قبـل.

ظلّـت تـدور حـول فكـرة أن الصدمـات الجديـدة تعيـد فتـح الجـروح القديمـة.

وأخـيرًا قالـت: "أظـن أن لـدي تسـاؤلًا فقـط حـول إن كانـت الحادثـة في دنفـر أعـادت أيَّ مشـاعر بالخـوف مـن المـرة الأخـيرة التـي جُرحـت فيهـا، أو أي أحـداث أخـرى في حياتـك".

قلـت في عقـلي: **وهـا هـي ذا**، ربمـا ظنّـت إيمـي فـروم، الحاصلـة عـلى الدكتـوراه، أنهـا تقـترب مـن الأمـر بحيطـة وحـذرٍ، لكـن في نظـري كانـت تحمـل لوحـة إعلانـات مضيئـة تفضحهـا تمامًـا.

لوحة مكتب عليها: **أنا أحاول أن أجعلك تتكلم عن أمك.**

أظـن أن سـؤالي المفتـوح الوحيـد كان حـول إن كانـت تعتقـد حقًّـا أننـا بحاجـة إلى الحديـث عـن أمـي كي أواجـه مـا حـدث في دنفـر أم أن فضولهـا غلبهـا، وأني ببسـاطة علبـة شـيكولاتة نفسـية لا تقـاوَم لم تسـتطع أن تمنـع نفسـها مـن فتحهـا.

قلت: "ليس حقًّا..".

- أفهم أنك قضيت بعض الوقت في السجن.
- ثـلاث سـنوات، مـن سـن السـابعة والعشريـن إلى التاسـعة والعشريـن.
- لا بُدَّ أن الأمر كان صعبًا.
- كنـت في سـجن متوسـط الحراسـة، دخلـت شـجارين فقـط خـلال هـذه الفـترة، لم تضايقنـي أي مـن العصابـات، ونلـت بعـض الفائدة مـن الأمـر؛ قابلـت زوجتـي هنـاك.

- في السجن؟

- بِـث بروفيسـورة في علـم الجريمـة. في ذلـك الوقـت، كانـت تقـوم ببحـث في سـجني، تواصلـتْ، التقينـا، تعلقنـا ببعضنـا، بدأنـا نلتقـي مـرة في الأسـبوع. اسـتمر هـذا لبضعـة شـهور حتـى رحلـت لتسـتلم وظيفـة في الجامعـة الأمريكيـة. عندمـا أُطلـق سراحـي، طلبـتُ موعـدًا للخـروج معهـا، كان هـذا منـذ خمسـة عـشر عامًـا، تكتمـل الشـهر القـادم.

- موعد أول طيب.

- إلى أقصى حدٍّ.

- كيف كان شعورك بالحرية بعد كل ذلك الوقت؟

كانت قد بدأت تزعجني..

- طيب.

- طيب فقط؟

- تمكَّـن الاتحـاد الأمريـكي للحريـات المدنيـة مـن تأمـين عفـو لي؛ أحـسَّ كثـيرٌ مـن النـاس في المجتمـع القانـوني أني أعاقَـب عـلى جرائـم والـدتي.

- كيف كان شعورك؟

- سعيد بالخروج.

- لماذا؟

يا إلهي!

- لأن عدم وجودك في السجن أمتع بكثير من وجودك في السجن.

- يبدو أن أسئلتي تزعجك اليوم.

- إطلاقًا.

- ربما يمكنك محاولة أن تكون صادقًا معي يا لوجان.

ملتُ بظهري في مقعدي: "لا بأس، أنا منزعج".

- لماذا؟

- أنا واثق أنك معالجة جيدة جدًّا، لكني لا أعرفك، لم أختر أن أكون هنا. وقد مررت بكل هذه الأشياء منذ سنين، لم أعانِ من نوبات ذعر خلال وقت طويل.

- هل اعتدت أن تعاني منها بانتظامٍ؟

- نعم. انظري، أول جلستين كانتا جيدتين...

- هذا ثناء كبير.

- ... لكن ما يصلني منك اليوم يبدو أقرب لفضولٍ مَرَضي.

والآن جاء دور إيمي كي تنزعج: "أتساءل إن كان يمكنك أن تحاول افتراض حسن النية فيَّ؛ أنا هنا فقط كي أساعدك، أنا في صفك تمامًا".

- تعتقدين أني ما زلت في حاجة إلى المساعدة؟

- أعتقد.

- لا بأس إذن.

- متأكد؟

أومأت برأسي.

سألتني: "كيف ترى نفسك؟".

- ألسنا جميعًا أبطال قصصنا؟

ابتسمتْ: "في لعبة علم النفس، هذا ما نسميه انحرافًا كلاسيكيًّا".

تنهدتُ: "أتريدين أن نتحدث عن الشعور بالذنب الآن؟".

- أما زلت تشعر بالذنب؟

نظرتُ إلى الصورة الفوتوغرافية أعلى مكتبها - بحيرة جبلية يخيم الضباب على سطحها. صورة بالأبيض والأسود، طبعًا. كان هناك سطر من الكتابة أسفل الصورة: **لا بأس أن تكون أنت في هذه اللحظة.**

طبعًا.

قلت: "أحاول ألا أفكر في ذلك..".

- كم كان عمرك عندما بدأتَ العمل في مختبر أمك؟

- اثنان وعشرون.

- وكيف تصف علاقتك بها في ذلك الوقت؟

- كانت إلهًا؛ أبرز عالمة بيولوجيا خلوية في العالم، كانت قد حققت بالفعل مليار دولار من (ذي ستوري أوف يو)؛ شركتها المختصة بفحص النَسَب والوراثة، وحققت امتيازاتها من (سايث) أرباحًا أكبر.

- يمكنني قراءة صفحتها على ويكيبيديا، كيف كان شعورك حيالها؟

- كنت أتطلّع إليها، أردت أن أسعدها، كانت كل ما لديَّ من أهل.

- ماذا حدث للآخرين؟

- مات أخي التوأم، ماكس، عندما كنّا في الثالثة عشرة.

- أنا آسفة جدًّا، هذه خسارة هائلة يا لوجان. هل يمكنني أن أسألك كيف؟

- سرطـان الـدم. كان لديـه المخ الأكـبر بيننـا، وكان المفضـل لأمـي. مـات أبي بعـد ذلـك بقليـلٍ، وسـافرت أختـي الأكـبر، كارا، إلى مـا وراء البحـار في الجيـش.

- يبدو أنها نجت بنفسها.

- أنـا لا أقـول إنهـا لم تكـن أختًـا جيـدة، لكـن كارا تعتنـي فقـط بـكارا، لـذا كنَّـا بالفعـل أنـا وماما فقـط.

- "هل أنت وكارا قريبان اليوم؟

- ليـس بالفعـل، هـي تعيـش في مونتانـا، نتحـدث بضـع مـرات في السـنة، أتمنـى لـو كنَّـا أقـرب مـن ذلـك.

- كيف ترى دورك فيما حدث في الصين؟

شـعرت بصـدري يضيـق كـما يفعـل دائمًـا عندمـا تعـود أفـكاري إلى ذلـك الصيـف.

- كنَّا نحاول أن نفعل شيئًا طيبًا.

كان مختـبر أمـي الأسـاسي في مدينـة شـينزين، وكانـت هنـاك آفـة ورقية بكتيريـة أصابـت محصـول الأرز في منطقـة قريبـة اسـمها زاوشـينج. أرادت أمـي أن تُدخـل بشـكلٍ جينـي فيروسًـا في الجـراد بحيـث تتمكـن هـذه الحـشرات الحاملـة مـن عـدوى حقـول الأرز بالفـيروس، الـذي اسـتطعنا برمجتـه كي يدعـم مقاومـة النباتـات للآفـة دون تغيـير النبـات بطريقـة أخـرى.

هنـاك جانـب يتعلـق بهندسـة البـذور جينيًـا في المختبر وطلـب مقابـل فـادح لهـا. لم يكـن هـذا مـما يهـم أمـي. كانـت تحـاول شـيئًا أكـثر طموحًـا بكثـيرٍ؛ أن ترسـل الحـشرات مبـاشرة إلى الحقـول كي تعـدل المحاصيـل عـلى الطبيعـة في الوقـت المناسـب. تجـاوزت التطبيقـات المحتملـة آفـة أرز زاوشـينج، إلى كل محاصيـل سـلة الغـذاء العالميـة.

بنينا عدة صوبات حيوية وأطلقنا محصولنا من جراد البامبو المعدَّل وراثيًا ذي العمود الفقري الأصفر على نباتات اختبار مصابة داخل منشأة العزل؛ أفلح الأمر. لم تكن هناك أي حالات إصابة بداء الاخضرار أو التيبس البُني، نجت النباتات.

تساءلت إيمي: "هل كنت منخرطًا في التجارب عن قرب؟".

- كنت أساعد حيثما أستطيع، لكني كنت قد أنهيت للتوّ دراستي الجامعية. كنت هناك لأقضي الصيف. ظننت أني عضو في الفريق، لكني أعرف أنهم جميعًا كانوا يرونني ظلًّا تابعًا موجودًا هناك فقط لأني ابن ميريام رامزي.

شعرتُ بوجعٍ في مؤخرة حلقي، لقد مرَّت سنين منذ تكلمت بصراحة عمَّا حدث.

- كانت مرحلة الصوبة ناجحة، بدت البيانات عظيمة. حظينا بدعم مجلس السلامة البيولوجية الصيني، لذا أطلقنا جرادنا الحامل للفيروس في حقول زاوشينج.

أخذت نَفَسا متأنيًا.

- كان يومًا مثاليًّا صحوًا، وكانت الجبال تلتمع في الشمس، وكانت حقول الأرز المغمورة بهذا اللون الأخضر الزمردي المحبب. علقتُ حقيبة قماشية كبيرة على كتفي. فعلنا ذلك جميعًا، حللت حقيبتي، وفتحتها. ما زلت أذكر وخزة الزهو وأنا أشاهد سحابة جرادنا المعدل تطير بعيدًا، كأني بي أقول: **انظروا إليّ وأنا أغيِّر العالم.**

كانت النتائج الأولية إيجابية، لكن بعد ذلك بدأت نظم التحكم الفيروسية تطور طفرات بمعدل متسارع، بالإضافة إلى تشجيع النباتات

ضد الآفة، بدأت تطيح بالجينات الضرورية لإنتاج البذور. حاولنا أن نحتوي الأمر، لكن...

قالت: "كان الفيروس قد تعمم..".

- نعم.

كانت ميريام قد هندست الفيروس كي يستهدف فقط هذه السلالة المحددة من الأرز، لكنه طوَّر طريقة انتقال عابرة للنوع، زادتها سوءًا دورات جديدة من الطفرة والانتخاب الفيروسيين، أصابت واستهدفت أنواعًا أخرى من المحاصيل الغذائية. خلال عام، بدأ الجراد الحامل للفيروس يتكاثر أضعافًا مضاعفة.

قلت: "ماتت أمي قرب الوقت الذي بدأت فيه التأثيرات تُحس لأول مرة في الغرب الأوسط الأمريكي".

- حادثة السيارة؟

أومأت برأسي: لكن حادثة؟ ليس تمامًا. لقد قادت ميريام سيارتها خارج الطريق السريع رقم 1، بين بلدة جينر وتَجمُّع سي رانش في كاليفورنيا، حيث يمتد الطريق إلى أعلى ارتفاعاته فوق البحر.

خلال السنوات السبع التالية، قلَّ حصاد كل موسم أكثر وأكثر، وقبل إبادة الجراد أخيراً، كان مخزون الصين الاستراتيجي من الحبوب قد استُنفد بشكلٍ خطيرٍ.

امتدت المجاعة إلى جميع القارات وأثَّرت في كل إنسان بطريقة أو بأخرى. عندما تمحو ملايين الأفدنة من المحاصيل، يغيِّر ذلك أماكن سقوط المطر. عندما تدمر حقول الأرز، تدمر كل شيء يحتاج إليها كي يعيش.

جاع مائتا مليون إنسان حتى الموت، لكن ذلك الرقم لا يقترب من الأثر الكلي للفوضى التي أطلقناها من عقالها؛ التأثير الكاسح

على الاقتصاد ونظم الرعاية الصحية والأنواع كلها والمحيط الحيوي ذاته كان تأثيرًا أكبر من أن يُحصى.

- بالأمس أخبرتني ابنتي أنها تدرس المجاعة في المدرسة. و... إمم...

- لا بأس.

تركت دموعي تسقط.

- فقط هذا كثير، أتعرفين؟

- إنه كثير.

- لقد اعتدت ألّا أبالي بما يعتقده بقية العالم فيَّ، لكن...

- أنا واثقة أن ابنتك تراك أبًا رائعًا كما هي حقيقتك.

ناولتني علبة مناديل ورقية.

- لوجان، عندما أنظر إليك، أرى رجلًا ما زال قاسيًا جدًّا جدًّا على نفسه.

انفلت شيء ما بداخلي، كانت تلمس جرحًا لن يلتئم أبدًا، كنت قد أحطته بما يساوي عِقدين من نسيج الندوب.

***

تساقطت ذرات الثلج من السماء الفاحمة، وكانت الريح التي هبّت من قناة واشنطن قوية وباردة إلى حدٍّ يثير الألم ويُدمع الأعين. دخلتُ الشرقية[1] المربعة وتطلعتُ بإمعان في العمود البالغ ارتفاعه ثلاثين قدمًا على المنصة الجرانيتية.

---

(1) في الهندسة المعمارية، الشرقية هي تجويف نصف دائري تعلوه نصف قبّة، في كثيرٍ من الأحيان يقع على واجهة المبنى. اعتُمدت الشرقية من قبل الرومان، واستخدمت بكثرة في الحقب التاريخية المتعاقبة.

ورغم أني أحفظه عن ظهر قلب، قرأت النقش المحفور في الصخر:

في ذكرى هؤلاء الذين فقدوا أرواحهم

في الوطن والخارج خلال المجاعة الكبرى

لن ننسى أبدًا

رسميًا، كانت تُدعى أيضًا مجاعة شينزين.

وبشكلٍ غير رسمي، كانت مجاعة رامزي.

جلستُ على الدكة الجرانيتية إلى جوار العمود. آتي إلى هنا عدة مرات في العام، عادةً في الطريق إلى البيت من العمل، عندما أعرف أن الطقس سيئ بما يكفي لإبعاد السياح.

كان الوقت غسقًا الآن والسماء تُسقط ما يكفي من الثلج الشديد لتحويل المشهد الجانبي العملاق لمبنى البنتاجون الجديد إلى كتلة متراصة مشوّومة بلا ملامح.

أخمدت العاصفة صوت أبواق السيارات المتفجرة ساعة الذروة.

اقترب وقع أقدام.

التفتُّ ورأيت هيكلًا يقترب، اختفى وجهه وراء الياقة المرفوعة لمعطفٍ صوفي عنّابي.

اللعنة، أعرف ذلك المعطف.

اقتربت نادين وجلست إلى جانبي.

قلت: "تتبعينني.. واو!".

هـزَّت كتفيهـا: "رأيتـك تتجـه إلى هـذا الطريـق عندمـا غـادرتَ العمـل" وبعـد ذلـك: "أعـرف أنـك تـأتي إلى هنـا أحيانًـا".

- ماذا تريدين يا نادين؟

- "بدوتَ منزعجًا في وقت سابق اليوم.

- حضرت جلسة علاجي النفسي الأخيرة هذا الصباح.

- ألم تسِر على نحو طيب؟

- ربما أطيب مما يجب.

لم تسـألني قـطُّ بشـكلٍ مبـاشر عـن مـاضيّ. فيـما بيننـا، كان هنـاك فقـط ذلـك التفاهـم الهـادئ. **أنـا أعـرف. وأنـا هنـا.**

قالـت: "ليـس علينـا أن نتكلـم. أحزننـي فقـط أن أفكـر فيـك جالسًـا وحـدك تمامًـا هنـا، والثلـج يتسـاقط عليـك".

راقبـتُ التيـار الثابـت مـن طائـرات توصيـل الطلبـات مـن دون طيـار وهـي تحلـق عـبر المـاء إلى أرلينجتـون والإسـكندرية.

سألتها: "لماذا قبلتِ هذه الوظيفة؟".

- أحب المسدسات.

نظرتُ إليها. ابتسمتْ.

- أنـا أمـزح. كان إنشـاء السياسـات عمـلًا أثيريًـا أكـثر مـما يجـب، أردتُ أن **أفعـل** شـيئًا حقيقيًـا، أتفهـم؟ إنـه الفـارق بـين تصميـم بيـت وبنائـه.

- أكره هذه الوظيفة.

- أعلم ذلك.

- لكني أعتقد أني سأكره عدم قيامي بها أكثر.

قالـتناديـن: "أحيانًـا أحبهـا. في اللحظـات التـي يبـدو فيهـا أننـا نُحسِّـن العـالم. أتمنـى فقـط لـو تـأتي هـذه اللحظـات بوتـيرة أكـبر".

جلسـنا في الـبرد، نراقـب الأضـواء وهـي تومـض عـلى الجهـة المقابلـة مـن القنـاة. أوشـكت أن أحـكي لهـا مـا ارتبـتُ في أنـه يحـدث لي - كل التغـيرات الصغـيرة التـي تغـدو أكـثر اسـتحالة مـن إيجـاد تفسـير منطقـي لهـا. لكنـي أردت أن أرى نتائـج تحليـل الشريـط الـوراثي الجديـد أولًا، ولم تكـن مطالبتهـا بإبقـاء الأمـر سرًّا عـن الجـي بي إيـه وضعًـا أشـعر بالارتيـاح لـو وضعتهـا فيـه.

سألتني: "أأدعوك إلى شراب؟".

- ربما ينبغي لي أن أعود إلى البيت.

نهضت نادين، وأعادت ربط الوشاح الذي تراخى حول عنقها.

قالـت: "لـو كانـت الوظيفـة تجعلـك تعيسًـا، اتركهـا" تطلَّعـتُ إليهـا، كان الثلـج يكسـو شـعرها. "أفهـم أن لديـك كفَّـارة تريـد أن تسـددها عـن شيء قديـم، لكنـك سـددت ديونـك".

وبعد هذا، دسَّت يديها في جيوبها ورحلت.

***

تلـك الليلـة، بعـد العشـاء، هزمـتُ آفـا في ثلاثـة أدوار مـن الشـطرنج. ولا واحـد منهـا كنَّـا حتـى قريبـين، وتطلَّـب الأخـير اثنتـي عـشرة حركـة فقـط كي أقـضي عـلى ملكهـا.

"مـاذا يحـدث هنـا بحـق الجحيـم فعـلًا؟" هكـذا تسـاءلت وهـي تُسـقط ملكهـا عندمـا رأت النهايـة المحتومـة. "أكنـت تتسـاهل معـي كل هـذا الوقـت يـا بابـا؟".

ضحكتُ. "لا".

- كيف صرتَ بكل هذه القوة هكذا فجأة؟

"ماذا يحدث؟" تساءلت بِث من فوق الأريكة.

"دمرني بابا للـ.." أحصت آڤا الخسارات في رأسها. "... الدور التاسع على التوالي".

قالت بِث: "شيء يدعو إلى الإعجاب..".

قالت آڤا، وهي تحدِّق إليَّ بارتيابٍ: "شيء مستحيل..".

***

كانت الذكريات تعاودني من جديد، وليس فقط ذكريات كل كتاب قرأته، لحظات عشوائية غير ذات أهمية، أحداث محورية شكَّلت حياتي.

منذ شهر.

منذ عِقد.

من طفولتي.

كان إحساسًا غريبًا. كأن شخصًا ما يكنس الزوايا المظلمة في عقلي، يزيل أنسجة العنكبوت، يصلح الوصلات المهترئة.

لو حاولت أن أتذكر شيئًا، أجدني قادرًا على رؤيته بوضوحٍ ويقين لم أعرفهما من قبل.

مات ماكس منذ واحد وثلاثين عامًا، واستطعت أن أسمع صوته في رأسي لأول مرة بعد سنوات، استطعت أن أستحضر وجهه، أبقيه ثابتًا في عين عقلي، أدرس شكل أنفه، كل عيب، كل نقطة نمش.

***

كنت قد التقطت كومة من الكتب الجديدة في المكتبة المركزية بشارع كوينسي في طريق عودتي إلى البيت من العمل.

الكتاب الذي كنت أشعر بأكبر لهفة لفتحه كان: (جودل، إيشر، باخ: جديلة ذهبية أبدية) للكاتب دوجلاس هوفشتادتر. حاولت أن أقرأه مرتين من قبل، مرة في الكلية، ومرة في السجن. في المرة الثانية، وصلت إلى نصفه، ثم وضعته جانبًا ذات مساء، ولم أمسسه مرة أخرى قط. هو كتاب عن نظرية الأعداد، والشفرات، والمفارقات، والنظم ذات المرجعية الذاتية، ولم يفشل قطُّ في جعلي أشعر أني غير مؤهلٍ بما يكفي، مع اصطدام مفاهيم هوفشتادتر الصلبة بحدود ذكائي في كل صفحة تقريبًا، لتؤكد تعويذة الذات المهزومة: **أنا محاكاة باهتة لعقل أمي.**

أنهت بِث غسل أسنانها وصعدت إلى الفراش.

سألتني: "ماذا تقرأ؟".

أريتها السِفر الضخم الذي تقترب صفحاته من الألف.

كنت بالفعل في صفحة 150.

سألتني: "أيضايقك لو فتحت التليفزيون؟".

- إطلاقًا.

عدتُ إلى القراءة. كان حجم خط الطباعة ميكروسكوبيًا، وأذكر أنه كان عاملًا حاسمًا في هجري للكتاب في محاولتيَّ الأوليين.

لكنه لم يضايقني الليلة.

ولا مقاطعات بِث العَرَضية أو الأصوات الصادرة عن التليفزيون، التي كانت كفيلة بإخراج تركيزي عن مساره تمامًا في الماضي. في الواقع، كان بمقدوري أن أشرح بتفصيلٍ شبه كامل أحداث الحلقة التي كانت

بِث تشاهدها وألخص الصفحات ال 224 التي قرأتها الآن بالفعل من كتاب جودل وإيشر وباخ.

بعد فترة، لاحظت أن زوجتي لم تعُد تشاهد التليفزيون.

شعرت بعينيها عليَّ.

سألتني: "هل تستوعب فعلًا أيًّا من هذا؟".

- لماذا؟

- أنت تقلِّب صفحة تقريبًا كل ثلاثين ثانية.

طوال الأسابيع القليلة الماضية خضع فعل القراءة لتحول مُزلزل بالنسبة إليَّ؛ لم أعد أستهلك كل جملة بالترتيب المتتالي، بل أستوعب الصفحة ككل، تاركًا إياها تنطبع في ذهني.

قلت: "أنا فقط أجرب هذا التدريب الجديد على القراءة السريعة..".

- وهل يُفلح؟

- يبدو ذلك.

تفحصتني للحظة لكنها لم تواصل المناقشة.

فقط عادت لمشاهدة مسلسلها.

***

أنهيت الكتاب في الساعة الرابعة صباحًا.

آلمتني عيناي.

تسابقت أفكاري، لكن ليس من وفرة الأفكار التي ضمَّها كتاب جودل وإيشر وباخ.

ما بدأ في وقتٍ أسبق من هذا الشهر كبضع أيام من الشعور بالمزيد من حدة الذهن وصفائه أصبح أشد وأكثر حتمية مع كل يوم يمر.

قبل أن أشارك قلقي هذا مع بِث، أو أي إنسان، كنت بحاجة إلى نتائج تحليلي الجينومي الجديد.

كنت بحاجة إلى فهم ما كان يحدث لي.

***

في اليوم التالي، كنت جالسًا في مقصورة عملي المؤقتة -في تلك الزاوية من الطابق الرابع لمبنى مركز الدستور- أغذي ببيانات عالِم وراثة سابق (ميستيك)؛ محرك الذكاء الاصطناعي التنبؤي.

من خلال شاشة العرض الشفافة، كنت أُدخل وقتها البيانات الأساسية: السن، العِرق، النوع الاجتماعي.

كانت عملية إدخال بيانات غبية ذات بُعدٍ مشؤوم من التجاوز الحكومي.

يتعامل ميستيك مع ملايين البيانات، وكلما زادت المعلومات التي تقدمها لخوارزميات الذكاء الاصطناعي ذاتية التعلم، زادت دقة تنبؤاتها.

إن المدى الواسع من حرية الحركة الذي أتاحه قانون الحماية الجينية جعل من حق وكالة الحماية الجينية قانونًا أن تستخدم معلومات تسجيل الاقتراع الخاصة بالناس، وتسجيلات مكالماتهم الهاتفية، وتتبع نظم وكاميرات المراقبة، والمنشورات، وتاريخ السفر، واستمارات التعداد، ووثائق التأمينات الاجتماعية، وعائدات الضرائب، وكل نقرة إصبع على لوح كتابة يقومون بها، كل هذا في نطاق ما تمَّت صياغته باسم (نمذجة الإجرام التنبؤية).

وكل هذا من دون أمر تفتيش أو حتى سبب.

سمح لنا هذا بوضع تصنيفات بيانية مثل شريحة الدخل وعبء الديون وعدد الأطفال والانتماء السياسي وسجل التصويت ومستوى الرصيد ومجموعة من المؤشرات المالية الأخرى.

وعندما يصل الأمر إلى توفير بيانات شخصية إضافية، كنَّا تحت رحمة حضور الشخص في وسائل التواصل الاجتماعي وتاريخ البحث في الإنترنت.

العالِم الموجود أمامي حاليًّا كان رجلًا اسمه كليفورد جونسون، حاصل على درجة الدكتوراه.

قبل قانون الحماية الجينية، كان د. جونسون يعمل عالِم أبحاث لدى شركة تحاول صناعة قلوب بشرية من قناديل بحر صناعية. بعد بحث أولي على الإنترنت، وجدت أنه كان يعمل حاليًّا مدرسًا للأحياء في مدرسة ثانوية، لم يكن هذا بالأمر غير الشائع. كثير من العلماء الذين كانوا منخرطين في الأبحاث البحتة أُجبروا على التحول إلى التدريس، وفي نظام المدارس العامة، جرى تحديث كل كتب العلوم لتعكس موقف الحكومة الجديد من التعديل الجيني: غير قانوني، خطِر، وعلى خلاف مع القانون الطبيعي.

كانت صفحة جونسون على (ميتا) صفحة عامة، وبينما كنت أتصفَّح منشوراته طوال الخمسة أعوام الماضية، بدأت تتشكَّل صورة الرجل التي أصبح عليها بعد إجباره على الخروج من مهنته المختارة.

كان يقضي مزيدًا من الوقت مع أسرته.

يعمل أقل.

يمارس المزيد من التدريبات الرياضية.

كانـت هنـاك فـترة مـن البحـث عـن الـذات بعـد انهيـار شركتـه القديمـة، ومـن الخـارج عـلى الأقـل، بـدا أنـه حقَّـق أقـصى اسـتفادة مـن هـذه الفـترة.

عندمـا بـدأت أُدخـل انطباعـاتي عـن كليفـورد جونسـون بنـاء عـلى مراجعـة لوسـائل التواصـل الاجتماعـي -آخـر بيـان خوارزمـي- رنَّ هاتفـي.

بِث تتصل.مكتبة .. سُر مَن قرأ

لمست سماعة الأذن.

- أهلا حُبِّي.

سألتني: "ماذا تفعل؟".

- إدخال بيانات.

- يبدو مثيراً.

تابعـتُ الطبـع: **انطباعـات ظاهريـة واضحـة بالرضـا عـن حياتـه. لا يوجـد تعبـير عـن مشـاعر معاديـة للحكومـة (علنًـا عـلى الأقـل).**

- نعـم، فقـط لا أسـتطيع أن أصـدق أني مضطـر إلى عمـل هـذا كي أكسـب رزقـي، مـا الأمـر؟

- خذني إلى (لا فلور) الليلة.

سـألتها: "ومـا المناسـبة؟" الأكل خـارج البيـت، خاصـة في مطعـم فاخـر، صـار فعـلًا باهظًـا في عالمنـا مـا بعـد المجاعـة.

رغـم أن تاريـخ العمـل السـابق لـد. جونسـون كان في القطـاع التجاري، يبـدو أنـه تكيـف جديًـا مـع عملـه الجديـد في نظـام المـدارس العامة.

قالـت: "لا توجـد مناسـبة، أفتقـدك فقـط، أشـعر كأننـا لم نتواصـل فعليًـا منـذ فـترة" .

هل لاحظت بِث بعض التغيرات التي أمرُّ بها؟

بنظـرة سريعـة عـلى الأقـل، لا يثـير حضـوره عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي أي إشـارات خطـر.

سألتها: "الساعة السابعة مناسبة؟".

- ممتازة.

ومضـت رسـالة قادمـة مـن ميسـتيك عـلى شاشـة عـرض البيانـات الخاصـة بي: **نـوصي بعـدم اتخـاذ أي إجـراء أو تحقيـق آخـر حاليًّـا.**

قلت: "سأقوم بالحجز.." .

بينـما كنـت أنهـي المكالمـة، حدقـت إلى مربـع النـص في شاشـة عـرض البيانـات، الـذي كنـت أمـلأه عندمـا اتصلـت بِـث.

أدركت شيئًا غريبًا.

لقـد تابعـتُ إدخـال تقييمـي لحضـور كليفـورد جونسـون عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي طـوال محادثتـي مـع بِـث.

لم يتحـوَّل أي مـن النشـاطين -التحـدث إلى زوجتـي أو العمـل مـع ميسـتيك- إلى نظـام الطيـار الآلي.

في لحظتهـا، كنـت منخرطًـا تمامًـا في كل مهمـة مـن المهمتـين - في نفـس الوقـت. عندمـا أعـدت قـراءة مـا كتبتـه عـن جونسـون، لم تكـن هنـاك أي أخطـاء مطبعيـة. ورغـم أنهـا لم تكـن طبعًـا قطعـة لتولسـتوي، فإنهـا كانـت فقـرة مـن الكتابـة ذات منطـق جيـد. شيء غريـب قطعًـا.

أمن الممكن أن الفيروس الذي تعرضت له يجعلني **أفضل**؟

وأين ذهب تقرير ستراند؟

اللعنة على هذا، سأذهب إلى عيادته خلال الغداء.

اهتزَّ هاتفي.

عندما قلبته على وجهه، رأيت رسالة نصية من رقم لم أتعرَّف عليه.

قرأت:

هم يعرفون أنك تتغير.

شـعرتُ برجفـة خـوف بـاردة، وانفصلـت عـن أُطـر شاشـة عـرض البيانـات الخاصـة بي، وكتبـتُ ردًّا:

من المرسل؟

جاءت الإجابة على الفور:

عليك أن تغادر المبنى **الآن.**

تسارع نبضي.

نهضـت عـن مقعـدي قليـلًا بمـا يكفـي لاسـتراق النظـر مـن فـوق حاجز مقصورتي.

كان قسـم المحللـين طابقًـا مفتوحًـا مـن المقصـورات التـي يمكـن أن تكـون منطقـة عمـل جماعـي لأي شركـة.

في هذه اللحظة، لم يكن هناك أي شيء غير عادي.

صوت نقر الأصابع على لوحات المفاتيح.

موسيقى مكتومة تنساب عبر سماعات الأذن.

بضع محادثات هادئة.

ظهـر رجـلان في المدخـل عـلى الجانـب الآخـر البعيـد مـن القاعـة، لم أميزهـما، لكـن هـذه لم تكـن بالـضرورة إشـارة خطـر؛ لـدى وكالـة الحمايـة الجينيـة أربعمائـة موظـف في المبنـى، وأنـا لا أعـرف إلا قسـمًا مـن...

لا.

ثمة شيء خاطئ.

لم يكونا محللين عائدين من الغداء، كانا يتحدثان مع امرأة اسمها رونًا تدير المجموعة التي تعمل على ميستيك، وكان أمرًا بسيطًا، من المستحيل بالنسبة إليَّ أن أقرأه بيقينٍ مطلق من هذه المسافة، لكن لغة جسديهما أظهرت نوعية لم أرها قطُّ في قسم المحللين.

طاقة مخزونة.

هذان رجلان معتادان على الأعمال البدنية.

على العنف.

ضربت كرة مدمرة من الأدرينالين جهازي العصبي.

عدت للجلوس في مقعدي.

كان الرجلان قادمين في اتجاهي الآن، سترتاهما الرخيصتان السوداوان مفتوحتان، وحتى من مبعدة خمسين قدمًا، استطعت أن أرى ما كانا يحملان.

ولم يكن معي شيء.

وكان عليَّ أن أتخذ قرارًا.

الآن.

انزلقت من فوق مقعدي، وخطوت خارجًا من مقصورتي إلى أحد الممرات التي تقطع طرفًا من حظيرة العمل إلى الآخر، وابتعدت عن الرجلين بخطوة متمهِّلة لموظف حكومي يقوم برحلة مستحقة تمامًا إلى المقصف.

فقط عندما وصلت الطرف الآخر من القاعة غامرت بالنظر إلى الوراء.

كان هذان الرجلان في مقصورتي الآن، وكان أحدهما يقلِّب في أشيائي.

التقت أعيننا.

كان قصيراً وعريضًا، لكن بدا قادرًا على الحركة السريعة.

بينـما كان يقـول شـيئًا مـا لزميلـه، غـادرت القاعـة وانطلقـت أعـدو عـبر أحـد الممـرات.

مررت بكوة تئز بماكينات بيع.

مقصف.

حمّامات.

خلفي، صاح أحدهم: "لوجان!".

لم أتوقف.

لم أنظر ورائي.

خرجت من باب يؤدي إلى سلّم وطرت هابطًا الدرجات.

كنـت دائمًـا أسـتقل المصعـد في الجانـب الآخـر مـن القاعـة ولم أسـلك هـذا الطريـق مـن قبـل قـطُّ، لكنـي افترضـت أن السـلم ينتهـي إلى البهـو.

وهذه مشكلة.

كان مركـز الدسـتور مبنـى حكوميًـا آمنًـا يتطلّـب دخولـه أوراق اعتـماد والمـرور مـن كاشـف معـادن، ورغـم أن موظفـي الأمـن يواجهـون الخـارج، كان البهـو هـو المخـرج الوحيـد مـن المبنـى.

وتوجد كاميرات في كل مكان.

عندمـا تجـاوزت بسـطة الطابـق الثالـث، سـمعت بـاب الطابـق الرابـع ينفتـح بصـوت مـدوٍ ووقـع أقـدام شـخصين يـدكّان الدرجـات هابطـين، تـتردد أصـداء خطواتهـما منعكسـة مـن الجـدران الخرسـانية.

عنـد البسـطة التاليـة، فتحـت البـاب وتسـللت إلى الطابـق الثـاني، تـاركًا البـاب ينغلـق خلفـي بـلا صـوت.

جريـت عـبر ممـر لم أره مـن قبـل، لـن يكـون هنـاك مخبـأ في هـذا المـكان. كل بـاب مـررت بـه كان موصـدًا ويتطلّـب تصريحًـا أمنيًـا إلكترونيًّا للدخـول، أعتقـد أن أغلـب خـوادم الميسـتيك محفوظـة هنـا.

انعطفـت في زاويـة أخـرى، وأمامـي مبـاشرة، توهجـت علامـة الخـروج فـوق بـاب، جريـت نحوهـا بقـوة أكـبر مـما جريتـه طـوال حيـاتي، عـلى أمـل ألا تـؤدي بي فقـط إلى العـودة إلى البهـو.

اجتزت الباب بقوة، ونظرت خلفي.

كانت القاعة ما زالت خالية.

اندفعـت هابطًـا السـلم، وأنـا أفتـش عـن الهاتـف في جيـوبي، لكنـي كنـت قـد تركتـه في مقصـورتي. انتهـت الدرجـات عنـد بـاب مزخـرف بلافتـة حمـراء:

مخرج طوارئ فقط. سترنُّ صفارات الإنذار.

دفعته بكتفي.

صرخت صفارات الإنذار، وخفقت الأنوار.

كنـت في الخـارج، كان شـارع دي سـتريت سـاوث ويسـت أمامـي مبـاشرة، ومـا إن خطـوت خطـوتي الأولى، حتـى انزلـق شيء مـا عـلى رأسي.

أظلم كل شيء.

ارتفعت ساقاي عن الأرض.

وبعـد ذلـك ارتطـم ظهـري بـالأرض الخرسـانية بشـدة حتـى إني شـعرت بالهـواء يغـادر رئتـيَّ وصرت ألهـث، محـاولًا بيـأس أن أمـزِّق الغطـاء

المغمـي عـن وجهـي، لكـنَّ أحدهـم منعنـي، وطـوَّق ذراعـيَّ خلـف ظهـري بينـما كانـت قيـود بلاسـتيكية تغـوص في رسـغيَّ.

ثـم نهضـت مـن جديـدٍ، وثمـة أشـخاص عتـاة إلى جانبـيَّ يقبضـون عـلى ذراعـيَّ مـن الأكتـاف، ويرفعوننـي سـائرين بسرعـة وأطـراف حـذائي تحتـك بالرصيف.

صرخت، صحت طالبًا النجدة.

كانـت خيـوط النهـار ظاهـرة بالـكاد عـبر الأجـزاء الباليـة مـن غطـاء الوجـه.

إلى الأمام مباشرة، سمعت صوت باب ينزلق مفتوحًا.

أُلقي بي على أرضية معدنية.

انزلـق البـاب منغلقًـا، وتدحرجـتُ عـلى ظهـري بقـوة التسـارع بينـما كان صـوت ذكـوري قـوي يقـول: "أمسـكنا بـه... نعـم... خـرج مـن مخـرج الحريـق الشـمالي الغـربي... تمـام... أمامنـا عـشرون دقيقـة".

ثـم ثبّتنـي شـخصان عـلى الأرضيـة ورفعـا غطـاء الوجـه بمـا يكفـي فقـط لكشـف جانـب مـن عنقـي.

شعرت بلسعة إبرة.

4

عندما انفتحت عيناي مرة أخرى، كنت ممددًا على حشية صلبة.

اعتدلت في جلستي ببطء.

شعرت برأسي أكبر وأثقل من حقيقتها، كأنها قد تتدحرج من فوق رقبتي.

تجلّى إدوين روجرز في بؤرة رؤيتي.

كان واقفًا على مبعدة خمسة عشر قدمًا، وتساءلتُ لكم من الوقت كان هناك، يراقبني في نومي.

ألقيتُ ساقيّ من فوق الفراش ونهضت.

غير متوازن.

شعرت بمرارة في فمي.

ترنّحت متجهًا إلى إدوين، وأنا أخوض ضبابًا ذهنيًا ثقيلًا.

بعد بضع خطوات، توقفت.

نظرت حولي.

بدأت للتوِّ أستوعب محيطي.

كنت داخل حجرة مُثمَّنة الأضلاع، عرضها اثنا عشر قدمًا، بها جدران ارتفاعها عشرة أقدام من الزجاج.

كان هناك مكتب وفراش ومرحاض وحوض.

على الناحية الأخرى من الزجاج، رأيت محطة بيانات وصفًّا من المعدات الطبية.

نظرت إلى إدوين: "ما هذا بحق اللعنة؟".

لم يقل شيئًا.

ذهبتُ إلى المكتب وحاولت أن أرفع المقعد لألقي به نحو الزجاج.

كان مثبتًا في الأرضية الخرسانية.

أتى صوت إدوين عبر مكبِّر صوت في السقف: "زجاج مضاد للرصاص".

كان يتحرك نحوي الآن، ممسكًا لوحًا حاسوبيًا.

عندئذٍ كنَّا واقفين على مبعدة ثلاثة أقدام، لا يفصل بيننا إلا زجاج زنزانتي. بدا هادئًا، كالعادة، لكن جفونه السفلية كانت مشدودة في تعبير مصغر لِمَا كنت أعرفه أحيانًا بالخوف.

مني؟ تساءلت. أيضًا... كيف لاحظت هذه التفصيلة الضئيلة؟

كان يرتدي بنطالًا من الجينز وسترة زرقاء مضادة للريح والمطر تحمل شارة جي بي إيه.

سـار نحـو مكتـب في الجهـة الخارجيـة مـن المعـزل وجلـس، كان يواجـه المكتـب الموجـود بالداخـل - ذلـك المثبَّـت في الأرضيـة.

أشار إليَّ كي أجلس.

انزلقت في المقعد المواجه له.

سألته: "لماذا أنا هنا؟".

- من أجل سلامة الجميع.

- بربك. سأتعاون، لست بحاجة إلى حبسي.

لم يقل شيئًا.

- أين أنا؟

فتح لوحه الحاسوبي.

- هل هذا موقع أسود[1] تابع للجي بي إيه؟"

ولا من مجيب.

- لكم من الوقت تنوي...

«لوجـان، لقـد خضعـتَ لمقـدار رهيـب مـن التغـير الجينـي في فـترة قصـيرة مـن الوقـت، يمكـن أن تكـون هنـاك تأثـيرات جانبيـة خطـيرة، سـنراقب تطوراتـك. نحـن بحاجـة إلى فهـم مـا سـتصبح عليـه» نظـر إلى اللـوح الحاسـوبي مـن جديـد: «هـل تعـرف مـاذا يفعـل كبـت جـين PDE4B؟»

- عليك اللعنة!

---

(1) في المصطلحـات العسـكرية، الموقـع الأسـود هـو المـكان الـذي ينفـذ فيـه مـشروع أسـود غـير معـترف بـهِ. يمكـن أن يشـير أيضًـا إلى المرافـق التـي تسـيطر عليهـا وكالـة المخابـرات المركزيـة، والتـي تسـتخدمها الحكومـة الأمريكيـة في حربهـا عـلى الإرهـاب لاحتجـاز المقاتلـين غـير الشرعيـين أو غـير القانونيـين.

التوى طرف فم إدوين من الانزعاج.

قال: "لماذا لم تخبرنا بأنك..."

- لأنكم كنتم ستفعلون ما فعلتم بالضبط، تبالغون في رد الفعل. أردت الدليل كي أدافع عن نفسي، أردت أن أعرف إن كنت أتغيَّر وكيف.

- وهل تعرف؟

هززت رأسي.

- أتود أن تعرف؟ لأن أمامي كل شيء هنا.

«نعم.»

- بعد ذلك أجب سؤالي، ماذا يفعل كبت جين PDE4B؟

كيف ينبغي لي أن أعرف؟ لكن بينما كنت أفكر في السؤال، تذكرت قراءة مقال منذ ثمانية أعوام في مجلة ساينتيفيك أميريكان، نوقش فيه جين PDE4B في سياق العلاجات الجينية للمرض العقلي.

قلت: «إنه مرتبط بالقلق المنخفض والقدرة العالية على حل المشكلات. حسنًا، على الأقل لدى الفئران».

- صحيح، لقد جرى كبته فيك. ماذا لو أخبرتك أن منظومتك من عامل النمو شبيه الأنسولين قد تغيَّرت بأكملها وأن جينك GRIN2B حدثت له طفرة».

منذ أربعة أعوام (وستة أشهر وأحد عشر يومًا للدقة... **كيف عرفت ذلك؟**) قرأت نبذة مختصرة عن منظومة عامل النمو شبيه الأنسولين. في الواقع، كان بمقدوري رؤية صورة كاملة لها في عين عقلي.

قلت: "التعلم الفائق والذاكرة..".

- أتعرف هذا فقط عفو الخاطر من دون تفكير؟

- أذكر أني قرأت عن ذلك.
- جين FOXP2؟

هززت رأسي، لم أسمع قط بذلك الجين من قبل.

- إنه مرتبط بجعل ما يتعلق باستجابة التحفيز التعلمي أسرع. وماذا عن NLGN3؟

قلت: "تعزيز التعلم وقدرات التعلم المكاني".

- GluK4؟
- انخفاض خطر الاضطراب ثنائي القطب وزيادة الوظيفة المعرفية.

تطلع إدوين إليّ: "إن معرفتك، وذاكرتك، وتركيزك، وتعرُّفك على الأنماط - كل هذا كان هدفًا للتحسين، هل شعرت بزيادة في هذه المناطق؟".

- نعم.
- منذ متى؟
- طوال الأسابيع الثلاثة الماضية.
- هل تدرك كم أن هذا مذهل؟

للحظة، لم أستطع الكلام. لقد ارتبت أن شيئًا فُعل بي، لكن سماع تأكيد بذلك حبس أنفاسي.

تساءل إدوين: «لماذا جعلت دكتور ستراند يُجري تحليلًا آخر لشريطك الوراثي؟».

رائع، لقد اعترضوا تحليلي الجديد قبل أن يتمكَّن طبيبي حتى من إخباري بالنتائج، لا بد أنهم كانوا يراقبونني من كثب بعد دنفر.

أخيرًا قلت: «قلت لك، أردت الدليل لنفسي. ولأني ارتبت أن يكون جيني LRP5 قد تعرَّض للتنظيم بالزيادة، أو ربما للتعديل» في سياق علم الوراثة، كان التنظيم بالزيادة يعني أن الجين قد زاد من تأثيره أو تعبيره، أما التنظيم بالنقص فيعني العكس. لو كان لديك جين OPN1MW، يمكنك أن ترى الألوان، ولو نُظم بالنقص، فأنت مصاب بعمى الألوان.

تساءل إدوين: « LRP5 هو زيادة كثافة العظام؟».

أومأت برأسي.

- متى بدأت ترتاب؟

- بعد خمسة أسابيع من دنفر، بدأت أعاني ألمًا عميقًا في جسدي كله.

- لماذا أخفيتَ ذلك عني؟

- مرة أخرى، لم أكن أخفيه. لم أكن واثقًا مما يحدث، لذلك طلبت من دكتور ستراند...

- كان يمكننا أن نُجري تحليلًا جديدًا، أنت تعمل لدى وكالة الحماية الجينية، بحق المسيح!

- أردت أن أعرف إن كان هذا مجرد أثر جانبي غريب للفيروس أم شيئًا أسوأ قبل أن أثير ذعر جهة عملي. أردت أن آتي إليك بمعلومة، وليس تخمينًا. حتى إني لم أخبر بِث بعد.

- سأقرأ عليك قائمة أهداف بالجينات الأخرى التي استُهدفت بالنقص أو بالزيادة. في أغلب الحالات، تعرضت لطفرة ذات أشكال متعددة غير معروفة من قبل. في حالات قليلة، جرى تعديل تسلسلات دنا قصيرة جديدة، من المحتمل لتحسين وظائفها.

- أيوجد المزيد؟
- أوه، نعم.

انحنيت إلى الأمام.

- SOST.

قلت: "مقاومة فقدان العظام".

- MSTN.
- عضلات هزيلة أو كبيرة.
- SCN9A، FAAH-OUT، NTRKI، هل تعرف أيًّا منها؟

هززت رأسي.

«إنها مرتبطة بتحمُّل أعلى للألم»، تابع: «HSD17B13. هذا يتعلق بتقليل خطر أمراض الكبد المزمنة. CCR5.

- مقاومة الإيدز؟
- نعم. FUT2، IL23R، HBB، PKU، CFTR، HEXA، PCSK9، GHR، GH، SLC30A8، IFIH1=MDA5، NPC1، ANGPTL3.

قلت: "بترتيب قراءتك لها... مقاومة النوروفيروس، متلازمة كرون والتهاب القولون التقرحي، الملاريا، الأوكراتوكسينات، السل، داء الشريان التاجي، السرطان، الأنماط الأربعة التالية من داء السكري الأول والثاني، الإيبولا، وأعتقد أن الأخير يعزز صحة القلب والدهون".

- واو! طيب. هذه الأسماء القليلة التالية غريبة نوعًا ما.

EGLN1، EPAS1، MTHFR، EPOR.

- قرأت مقالًا عن ذلك النظام الجيني منذ بضع سنوات، عادة ما يوجد لدى أهل التبت. صحيح؟

- هـذا صحيـح. هـي تدعـم الحيـاة ووظائـف الجسـد في الارتفاعـات العاليـة. BHLE41=DEC2، NPSRI، ADRB1.
- لا أعرف هؤلاء.
- تقلـل متطلبـات نومـك. APOE، APP، NGF، NEU1، NGFR.

كنـت أعـرف هـذه الجينـات، قـرأت مقـالًا عنهـا في مجلـة ناتـشر جينيتيكـس خـلال رحلـة طـيران إلى مينيابوليـس، منـذ سـبعة أعـوام.

قلت: "تقلل مخاطر الألزهايمر".

- CTNNB1.
- لا أعرف هذا.
- مقاومة الإشعاع. CDKN2A، TP53؟

قلت: "تقلل مخاطر السرطان..".

- TERT.
- ألا يتصل هذا بالشيخوخة؟
- هـو كذلـك، الطفـرات في هـذا الجـين يمكنهـا أن تقتـل أو تبطـئ عمـل أنزيـم التيلومـيراز، بمـا يسـمح لهـذا الأنزيـم أن يصبـح بالـغ القـصر مـع انقسـام الخلايـا. كـما لعلّـك تعـرف...
- يُعتقـد أن التيلومـيراز المقـصّر هـو السـبب الأسـاسي للانهيـار المرتبـط بالسـن في خلايانـا.

قـال: "بالضبـط. لـذا فهـو جـين آخـر مضـاد للشـيخوخة. لـو لم أعـرف أكـثر مـن ذلـك، لقلـت إن أحدهـم كان يحـاول أن يحولـك إلى سـوبرمان. وهـذه القائمـة هـي مجـرد الأليـلات أو أشـكال الجينـات التـي لدينـا بعـض المعرفـة بهـا".

- أحدثت تغيرات أكثر في شريطي الوراثي؟

- آلاف. نقوم برسم خريطة للإحالات المتقاطعة قدر ما نستطيع، لكنها مهمة كبيرة، وكثير من النظم الجينية المصابة وكيفية تفاعلها أحدها مع الآخر ومع جسدك أمور مجهولة، هناك حتى تغيرات في الدنا الخردة لديك، وهي تغيرات بعيدة عن فهمنا.

حتى في عالم ما بعد سايث، ما كان يتحدث عنه إدوين أمر مستحيل. أنجح المختبرات السوداء التي أغلقناها ربما تمكّنت من التلاعب بحفنة من الجينات بنجاحٍ، أما هذه فهي تركيبة كاملة من التغيرات تتجاوز أي شيء قابلته أو حتى سمعت به. ورغم أن هناك ما يقرب من خمسة وعشرين ألف جين معروف، فإن تنويعة تفاعلاتها تقترب من اللا نهائية. وفيما وراء الجينات المعروفة، يحتوي شريطنا الوراثي مناطق تحكم كثيرة وما يُسمّى بالدنا الخردة، وهي ليست خردة على الإطلاق لكنها شبكة جماعية من النظم المتأقلمة ذاتيًا، تطورت تحت الضغط الانتقائي للوجود لأكثر من ثلاثة مليارات عام، وقد أتت كإضافة إلى نظام من التعقيد الذي لا يمكن تخيُّله، نظام أي تغيُّر فيه -وليس آلافًا- يمكن أن يعبِّر عن نفسه بعشرات الطرق التي لا يمكن التنبؤ بها.

سألته: "هل تعرف أسرتي أني هنا؟".

- يعرفون أنك محتجَز تحت الاشتباه بالتعديل الذاتي.

- أريد أن أتكلم إلى بِث.

- هذا ليس ممكنًا الآن.

- لم أفعل هذا بنفسي يا إدوين.

- إذن من فعل؟

- لا أعرف. هنريك سورين؟ من ابتكر ما دخلناه في دنفر أيًّا كان.
- لم تُظهر أي تغيُّرات جينية بعد دنفر على الفور. أجرينا تحليلًا.
- لو كانت لديَّ المعرفة والمعدات اللازمة لتغيير حمضي النووي، لماذا أجعل عيادة طبيبي تُجري تحليلًا في مختبر خاضع لرقابة شديدة؟ لماذا أقوم بهذه المجازفة الغبية العبثية إلا إذا لم يكن باستطاعتي أن أفعلها بنفسي؟ دعنا نتبع الحقائق، وليس مطاردات الساحرات المريحة، لقد خضعت بالفعل للمحاكمة في واحدة من هذه المطاردات. نحن نعرف أن أحدهم أصابني بعبوة مصمَّمة لتغيير حمضي النووي، وافترضنا -في خطأ كبير- أنها لم تعمل، لكن من الواضح أنها كانت عبوة نائمة، تظل خاملة لأول شهر أو نحو ذلك.
- هل هذا ممكن حتى؟
- أقصد... هل أي من هذا ممكن؟ هل تفهم مستوى التمكُّن والإتقان اللازم لتحقيق ذلك؟

أطفأ إدوين لوحه الحاسوبي، كان ينظر إليَّ كأن هناك شيئًا آخر يريد أن يقوله.

انتظرتَ كي أسمع ماذا يكون.

بدلًا من ذلك، نهض وخرج من القاعة عبر باب بجوار المحطة.

ارتعشت يداي، سال خيط من العرق المثلج على عمودي الفقري، أغلقت عينيَّ وحاولت أن أتنفَّس فقط.

كنت أتغيَّر إلى شيء غير معروف.

اختطفني رئيسي في العمل ويحتجزني في موقع أسود بمعزل عن العالم الخارجي، وأخبر عائلتي بما لا يعرفه أحد من هراء لعين.

ولقد أوضح لنا سايث أن حتى أبسط التغيرات الجينية تحمل معها عواقب غير مقصودة وغير قابلة للتنبؤ بها. احتمالية -بل وأرجحية- الأضرار الجينية الجانبية، التي قد تطيح -خيرًا أو شرًّا- بالهدف الأصلي لعمل الجين، الذي شكَّلته الطبيعة بعناية طوال دهور.

أيًّا يكن من فعل هذا بي فهو كان يعيد صياغة البرمجة الطبيعية ويستولي على التطور ذاته، كانت تلك لعبة خطرة. كانت لدى شريطي الوراثي، في السراء والضراء، المعلومات المشفَّرة لينظم ذاته ويصارع الأمراض ويتعامل مع السموم والتهديدات البيئية والأخطاء بسرعة، مرة أخرى، بهدف أساسي هو بقاء الأنواع.

نفس التعديلات الجينية والمدخلات التي تُحسِّن فطنتي، وربما حتى طول عمري، قد تقلب أيضًا التوازن الكلي الهش لشريطي الوراثي، وحياتي.

لكن لم تكن تلك حتى أكثر الأفكار المرعبة بشكل وجودي. عندما اكتشف واطسون وكريك وفرانكلين هيكل الحلزون المزدوج للحمض النووي في بدايات الخمسينيات من القرن العشرين، غيَّر ذلك ما اعتقده العلماء حول تحديد الأنواع. في عام 1980، أشار نايلز إيلدريدج وجويل كراكرافت إلى أن الأنواع الحيوانية -بتعريف علم الوراثة العرقي- يمكن أن يكون لديها حمض نووي يختلف بمقدار اثنين في المائة فقط ويمكن تصنيفها كأنواعٍ منفصلة.

ماذا لو تغيَّر اثنان في المائة من شريطي الوراثي؟ هل يجعلني هذا أتحوَّل إلى نوعٍ جديدٍ تمامًا؟

***

بعد ساعتين، سمعت المزلاج في باب زنزانتي ينزلق متراجعًا.

دخلـت امـرأة، موجهـة نحـوي صاعقًـا كهربيًـا، وخلفهـا رجـل يسـير في أعقابهـا، كان ضخـمًا وأعـزل. طولـه قرابـة 195 سـم. منحوتًـا مـن الجرانيـت. حارسـان.

شرعـتُ في النهـوض مـن الفـراش، لكـن الرجـل الوَحـش قـال: "ابـق فقـط حيـث أنـت".

وقفـا إلى جانبـيْ البـاب المفتـوح، وبعـد ذلـك ظهـر إدويـن، تبعتـه امـرأة أكـبر سـنًّا طيبـة الوجـه ذكَّرتنـي بجـدتي لأبي.

نظرتُ إلى إدوين: "ما هذا؟".

- أريد أن أسألك بعض الأسئلة.

- فلتسأل.

- أود أن أعرف إذا كنت تقول الصدق. أقدِّم لك هانا جلال.

جلـب الرجـل الوحـش مقعـدًا إضافيًـا، وضعـه بجـوار المكتـب، وبعـد ذلـك أشـار إليَّ كي أجلـس.

جلسـت هانـا إلى المكتـب ووضعـت لوحًـا حاسـوبيًا، مجسَّـاته التـي لا تُعـد ولا تحـصى موجهـة نحـو وجهـي. ميـزتُ الجهـاز عـلى الفـور، واحـد مـن أجهـزة كشـف الكـذب مـن الجيـل التـالي.

في زمـن الأجهـزة التناظريـة، كانـت أجهـزة كشـف الكـذب تربـط أنابيـب مطاطيـة تُدعـى مخططـات التنفـس حـول صـدر المشـتبه بـه لتعطـي قياسًـا منتظـمًا لمعـدلات التنفـس، وكانـت أسـاور قيـاس الضغـط تُثبَّـت إلى الذراعـين، وتُلحـق بالأصابـع صفائـح تُدعـى الجلفانومـترات لقيـاس قـدرة الجلـد عـلى توصيـل الكهربـاء.

أمـا هـذا اللـوح الحاسـوبي فيقـوم بـكل هـذا مـن دون الحاجـة لتوصيـلات مسـتخدمًا برنامجًـا للتصويـر البـصري عـبر الجلـد يسـتخرج مقاييـس آنيـة لضغـط الـدم ومعـدل النبـض واكتشـاف التعـرُّق ومعـدل

التنفس واتساع القزحية بناء على اختراق الضوء المحيط للطبقة الخارجية من الجلد.

عرفت من خبرتي في تطبيق القانون أن اختبارات كشف الكذب لا تكشف الأكاذيب في الحقيقة، بل تكشف مشاعر الذنب، التي يمر بها أغلب الناس حين يكذبون، والتي تثبتها التأرجحات الدراماتيكية في المقاييس التي صُمم اللوح الحاسوبي المواجه لي لتعقبها.

أصرَّت هانا أن يغادر الجميع، ثم أخبرتني بالقليل عن نفسها وكيف وصلت إلى وظيفتها. حكيتُ لها القليل عني، رغم أني كنت واثقًا أن أيًا مما كشفته لها لم يكن بالمعلومة الجديدة عليها.

سألتْ عن حياتي، سألتْ كيف كان شعوري حيال وجودي في هذه الزنزانة الزجاجية.

قلت: "متوتر وخائف..".

- أنا متأكدة.

مثل أفضل اختصاصي كشف الكذب الذين عملت معهم، أظهرت شعورًا بالرغبة في أن أنجح، بكونها في صفي، وبتصديق أفضل ما فيَّ.

بالطبع كانت تسجل مقاييسي بالفعل، وتتلقَّى قراءات أساسية، وتجمع تقييمًا أوليًا لردود أفعالي، كيف أتعامل مع الأسئلة.

أخيرًا قالت هانا: "لوجان، إذا لم يكن لديك مانع، أود أن أبدأ الفحص".

- مستعد عندما تكونين مستعدة.

- تذكَّر، الإجابة بنعم أو لا فقط، من فضلك.

استطعت أن أرى انعكاس شاشة اللوح الحاسوبي في الزجاج خلفها.

لمستْ الشاشـة، وهـو مـا اعتبرتُـه بـدءًا للاختبـار، وبعـد ذلـك قلبـتْ ورقـة ورفعـتْ قلـمًا رصاصًـا.

- هل اسمك لوجان رامزي؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

- نعم.

وضعت علامة صح على السؤال الأول.

- هل تعيش في أرلينجتون، فيرجينيا؟

- نعم.

علامة أخرى.

- هل كنت غير صادق مع أي أحدٍ من قبل؟

- نعم.

- هل ستكون غير صادق معي خلال هذه المقابلة؟

- لا.

وضعت علامة على سؤالها وتفحَّصت اللوح.

- هل سبق وأن غيَّرتَ شريطك الوراثي؟

- لا.

- هل لاحظت أي تغيُّرات في جسدك منذ إصابتك في دنفر؟

- نعم.

- هل لاحظت أي تغيُّرات في ذهنك منذ إصابتك في دنفر؟

- نعم.

- هل أخبرتَ أي شخص بهذه التغيرات؟

- لا.

- هل أخبرت زوجتك؟
- لا.
- هل أخبرت ابنتك؟
- لا.
- هل أخبرت أختك، كارا؟
- لا.
- هل أخبرت أيًّا من أصدقائك؟
- لا.
- هـل أرسـل إليـك أحدهـم رسـالة نصيـة بالأمـس تقـول (هـم يعرفـون أنـك تتغـير)؟
- نعم.
- هل تعرف هوية هذا الشخص؟
- لا.
- هل أنت ابن ميريام رامزي؟
- نعم.
- أما زالت أمك حية؟
- لا.
- هل تعمل معها؟

ماذا؟ "لا".

- هل غيَّرت ميريام رامزي شريطك الوراثي؟
- لا.

- هل تعرف من غيَّر شريطك الوراثي؟

- لا.

لأول مرة خلال الاستجواب، نظرت إليَّ بدلًا من الورقة أو لوحها الحاسوبي.

- هل تكذب عليَّ الآن يا لوجان؟

- لا.

- هل تتحكَّم في تنفُّسك الآن يا لوجان؟

- لا.

- هل تتحكَّم في معدل نبض قلبك؟

- لا.

- هل تتحكَّم في ضغط دمك؟

- لا.

لمست هانا شاشة لوحها مرة أخرى. وقالت: "هذا كل شيء.." وانفتح باب الزنزانة.

انتظر إدوين في المدخل بينما كانت هانا تجمع أشياءها.

قال لها: "سأنتظر تقريرك...".

- قبل نهاية اليوم.

دخل إدوين الزنزانة واتخذ مجلسه إلى المكتب، لاحظت أنه ارتدى سماعة أذن.

نظر إلى الرجل الوحش والمرأة القابضة على الصاعق الكهربي: "انتظرا في الخارج".

بعد أن أغلقا الباب الزجاجي، قلت: "لماذا تسألني عن أمي؟".

- لأنها حية.

- اللعنة عليك.

أخرج هاتفه ووضعه على الطاولة.

- منذ عام، اقتحمت بيتي وأرسلت إليَّ مقطع فيديو لها وهي واقفة في مطبخي، ممسكة بكأس نبيذٍ.

ضغطتُ على زر التشغيل، لو كان هذا الفيديو بتقنية التزييف العميق، فيجب أن أقول إنه مصنوع بتمكُّنٍ واقتدارٍ.

كان شعر ميريام قد غدا فضيًّا، وأجرت العديد من التغييرات التجميلية (ربما لخداع أجهزة التعرف على الوجه) وصار وجهها هزيلًا وارتسمت عليه خطوطٌ لتجاعيد أكثر من آخر مرة رأيتها فيها، لكنها كانت أمي بلا شك، كنت لأعرف هاتين العينين -السوداوين والعميقتين على نحوٍ مخيفٍ- في أي مكان.

أصابني الدوار.

وبعد ذلك تحدثتْ: "**الجي بي إيه ونظيراتها الأجنبية يدمرن البحث والاكتشاف العلميين**" صوتُها. لا شك في ذهني. "**إذا لم تصدر قوانين بتغييرات دائمة للسياسات، من ضمنها السماح للجامعات والمشروعات الخاصة بالعودة إلى البحث الجيني المسؤول، سأتعامل مع الأمور بنفسي، سأطلق محركًا جينيًّا فيروسيًّا**".

عندما استعاد إدوين هاتفه قال: "رفعنا البصمة من فوق كأس النبيذ واختبرنا الحمض النووي من الشعر الذي تركته وراءها عن عمدٍ، لا شك أنها هي".

غامت رؤيتي.

ضاق صدري، وتخدَّرت يداي.

سألني إدوين: "هل أنت بخيرٍ؟ يقولون لي إن نبض قلبك يحلق عاليًا".

كنت أرتعش من الغضب.

- أتفهم انزعاجك.

- لماذا لم تخبرني؟

- لأني لم أكن أعرف إن كنتَ تعمل معها، لم أعرف إن كانت ستحاول التواصل معك. وضعت هواتفك تحت التنصت، وزرعت أجهزة في بيتك، كنتَ تحت المراقبة لنحو عشرة أشهر.

أردت أن أقفز من فوق الطاولة وأتمكَّن منه، كنت واثقًا أنه سيموت قبل أن يدخل الحارسان المحبس.

صحت: "كيف لم تخبرني؟".

همَّ الحارسان بالتحرك نحو المحبس، لكن إدوين أشار إليهما كي يبتعدا.

لقد حزنت عليها، لقد تعاملت مع موتها كما يجدر التعامل مع مثل هذه الأمور.

ابتلعت جرعة من الهواء غُصصت بها، وأنا مدمَّر تمامًا.

قال إدوين: "بعد ذلك بقليلٍ، أرسلت إليَّ رسالة مشفَّرة بطلباتها. أجبتها سائلًا أي الأنواع ستستهدفها بمحركها الجيني".

- البشر.

- برافو.

- بأي نوعٍ من التغيرات؟

- لم تكـن محـددة. أسـمته فقـط تحسـينًا خطـيرًا، كـما وعـدت بإعطـائي برهانًـا عـلى قدراتهـا.

كنت أنا البرهان. بالطبع، لم أستطع أن أعرف هذا بالتأكيد، لكني عرفت.

كان بمقدوري الشعور بتطور مشاعري من صدمة رؤيتي أمي إلى الرعب مما كانت تهدد به.

المحرك الجيني هو أقوى أداة هندسة جينية جرى تصورها. بشكل عادي، عندما يولد طفل، يحصل على نسخة لكل جين من الوالدين كليهما، ونسخة واحدة من كل جين هي التي قد ينتهي بها الحال لتغدو هي السائدة من كل زوج. لكن لو تمكّنت من إدخال نظام استهداف محرك الجينات في أحد الوالدين، يمكنك أن تقلب هذه القوانين الطبيعية للوراثة. إن آلية التعديل الجيني -CRISPR-Cas9، أو سايث، أو أيًا كانت- تُمرَّر من الوالد المستهدف إلى الحمض النووي للطفل، ومعها تعليمات تعيد في صمتٍ صياغة نسخة الوالد الآخر من الجين المستهدف مع نمو الجنين. لنقل إن الأم لديها عينان بُنيَّتان، والأب عيناه زرقاوان، مع محرك الجينات، يمكنك أن تطمس جينات الأم بالنسبة إلى لون العين في الجنين، وتضمن بذلك أن طفلهما ستكون له عينان زرقاوان. لكن المفاجأة الحقيقية أن الطفل سيمرِّر النظام المستهدف إلى أطفاله بدوره؛ سيكون لدى كل أطفاله الآن أعين زرقاء أيضًا، وهكذا.

خلال أجيال قليلة، سيسود محرك الجينات التجمع البشري كله، وستنمحي النسخة الطبيعية غير المعدلة من الجين تمامًا، سيكون لدى كل البشر أعين زرقاء.

يمكن استخدام المحرك الجيني في خير عميم. قبل مجاعة رامزي، استُخدم محرك جيني لجعل كل نسل بعوضة الملاريا من الذكور،

وبما أن أنثى البعوض من جنس الأنوفيليس هي القادرة على نقل الملاريا البشرية، قضى هذا على انتشار ذلك المرض، وفي النهاية قضى على نوع البعوض.

يمكن استخدام المحركات الجينية أيضًا لتحدث ضررًا وخيمًا، لأنها لا تغير فقط التركيب الجيني لشخص أو نبات أو حيوان واحد، بل تملك القدرة على تغيير المسار التطوري لنوعٍ كاملٍ.

قلت: «لو كنت تراقبني، فأنت تعرف أني لم أتصل بها إطلاقًا، إذن لماذا أنا هنا؟ أنا لا أعمل مع أمي، لم أكن أعرف أنها حية حتى خمس دقائق مضت، وأنتم تختبرونني كل بضع سنوات. لا يمكن أن تفكروا أني غبي بما يكفي لتغيير شريطي الوراثي بنفسي».

- أنا أصدقك في الواقع يا لوجان، لكنك تتغير، ولا نعرف ما أنت بسبيلك لتصبح عليه.

***

ذكَّرتني الليلة الأولى في محبسي بليلتي الأولى في السجن، تنغلق أبواب الزنازين معًا، صوت إطفاء المصابيح الكبيرة في المنطقة المشتركة، انطباق الصمت والظلمة من حولي وأنا أواجه واقع أن حياتي انتهت، أن هذه الجدران هي بيتي لثلاثين عامًا قادمة.

تمددت على الحشية وحدَّقت عاليًا إلى السقف الزجاجي.

أمي حية.

لديَّ أفكار وأسئلة كثيرة جدًّا تدوِّم في رأسي الذي صار من الصعب أن يهدأ.

أين كانت؟

ماذا كانت تفعل طوال العشرين عامًا الماضية؟

لماذا لم تتواصل معي؟

هل أنشأت هذا التحسين، الذي يتجاوز بسنوات ضوئية أعقد ما تخيله أحدٌ في الهندسة الوراثية؟

وإذا كان ما أخبرني به إدوين صحيحًا، ماذا يعني حتى "تحسينًا خطيرًا" للشريط الوراثي البشري؟ من حيث الحجم، كانت أمي أكثر شخص طموح عرفته في حياتي. لكن رغم ذلك هي لم تكن بالتأكيد مجنونة بما يكفي لمحاولة أن تفرض تحسينًا نوعيًّا على البشر. كيف سيبدو ذلك حتى؟ شيء مشابه لما فعلته بي؟

لكن في الأساس، في موضع اعتدت ألا أنظر إليه عن قرب أكثر من اللازم، شعرت بالغضب.

الغدر والغضب.

لقد كانت حية عندما خضعتُ للمحاكمة بسبب جرائمها.

كانت حية في اليوم الذي صدر فيه الحكم عليَّ.

حية وحرة في تلك الليلة الأولى لي في السجن، وكل الليالي التي تلتها.

كانت حية في اليوم الذي استعدتُ فيه حريتي.

حية يوم زفافي.

في ليلة مولد آقا.

لم تكلِّف نفسها قط عناء الاتصال بي.

وكإهانة أخيرة، بدا أنها لعبت دور الإله مرة أخرى، ليس مع المحاصيل والجراد، معي، ابنها.

كانت الأضواء قد أطفئت منذ ساعات، وجاءت الإنارة الوحيدة من بواعث الإضاءة الثنائية في المحطة من ورائي. كنت أعرف أن

شـخصًا مـا في مـكانٍ مـا يجلـس أمـام شاشـة، يراقـب كل حركـة منـي، كل نفَـس، كل دمعـة.

كان عليَّ أن أخرج من هذا المكان، ولم تكن لديَّ فكرة عن الطريقة.

***

انتزعتني المصابيح المسلَّطة أعلى رأسي من أحلامي المضطربة.

رفعت ذراعي لأحمي عينيّ، متسائلًا كم من الوقت نِمتُ.

سـاعة؟ ربمـا اثنتـين؟ ومـع ذلـك شـعرت بالانتعـاش وحـدَّة الذهـن عـلى نحـو مدهـش بفضـل التنظيـم بالزيـادة لشـبكة جيناتي:

.ADRB1 ،NPSR1 ،BHLHE41=DEC2

اعتدلـت في جلسـتي ورأيـت رجـلًا قبضـت عليـه منـذ سـبعة أعـوام في ليلـة مثلجـة في جبـال بيجـورن بولايـة وايومينـج واقفًـا عـلى الناحيـة الأخـرى مـن الزجـاج.

قال: «أهلًا لوجان..» بصوتٍ منبعثٍ من مكبرات الصوت فوقي.

- د. روميرو.

"أنت تذكرني" بدا مندهشًا.

- قلَّما مرت ليلة من دون أن أفكر في تلك الليلة.

"وأنـا كذلـك.." قالهـا بحـزنٍ، ولم يسـتمر هـذا الحـزن إلا لكسرٍ مـن جـزء مـن الثانيـة، ثـم توتـرت شـفته السـفلى وومـض خـطٌ رأسي وتـلاشى بـين حاجبيـه. كان مـا زال غاضبًـا منـي، ولا شـك أنـه كان محقًّـا.

كانـت تلـك هـي المـرة الثالثـة التـي أحـدس فيهـا الحالـة الشـعورية لشـخصٍ مـا بنـاء عـلى إشـارات مـن تعبـيرات وجهيـة دقيقـة، ميـزة أخـرى جديـدة لتحسـيني؟

نهضت وتمطعت.

سألته: "متى أخرجوك من السجن؟".

- منذ أربعة أعوام. هل يمكنك أن تقترب من هنا من فضلك؟

رأيت أنه كان واقفًا بالقرب من فتحتين معدنيتين في الزجاج، إحداهما كانت تتسع لصينية طعام، أما الأخرى فكانت دائرية وأكبر قليلًا من قبضة مضمومة.

اقتربت منهما.

- ضع ذراعك عبر الفتحة الأصغر.

كان يمسك بحقنة للاستخدام تحت الجلد.

- لماذا؟

- أنا بحاجة إلى سحب بعض الدم. من الآن فصاعدًا، سنقوم بتحليل شريطك الوراثي كل أسبوع.

لم أتحرك.

قال: "اسمع، لا أريد أن أؤذيك".

حدقت إليه عبر الزجاج، متسائلًا كيف أقنعت الجي بي إيه شخصًا له عقلية أنطوني روميرو أن يعمل في موقع علمي أسود.

قلت: "لن تضع إبرة في ذراعي".

أطلق تنهيدة، ووضع الحقنة في صينية بجواره، ورفع لوحًا حاسوبيًا. لم أستطع رؤية شاشة اللمس، رأيت فقط حركة أصابعه.

ارتجَّ صوتٌ فوقي، تطلَّعت إلى أعلى نحو فتحة في الجدار الزجاجي، أسفل السقف بالضبط. بدأ القفص يرتج بينما صار صوت محرك خلف الفتحة يعلو أكثر وأكثر.

كان شعوري الأول ضيقًا في صدري.

ورغـم أني كنـت أتنفَّـس بشـكل أسرع وأسرع، كنـت مـا زلـت أشـعر كأني أحبـس أنفـاسي.

صمت المحرك خلف الفتحة.

كان الصوت الوحيد صوت لهاثي.

جثوت على ركبتيَّ.

بقاع لامعة تتفجر وتخبو عبر مجال رؤيتي.

سقطت.

شـعرت بتنميـل أطـرافي وهـي تتضـوَّر جوعًـا للـدم المؤكسـج، لكـن هذا كان لا يقـارَن بالنـار التـي اشـتعلت في رئتـيَّ والمطـارق المتفجـرة في رأسي.

كل ثانية تمر كانت عذابًا.

زحف الظلام من الأركان.

ضاق مجال رؤيتي.

وبعـد ذلـك لاحـظ مخـي المحتـضر ضجـة. في البدايـة، اعتقـدت أنهـا لا بـد أن تكـون هلوسـة سـمعية مـا، لكنهـا ظلَّـت تـزداد دويًّـا ووضوحًـا.

كان المحرك وراء الفتحة يدور من جديد.

فتحت عينيَّ.

كان الظلام يتراجع.

والعالم يضيء.

لهثـت مـرة أخـرى، لكـن كانـت الأنفـاس الآن تصـل إلى مـكان عميـق في رئتـيَّ بإشـباعٍ فـاق بمسـافة شـعور الشـفاه المتيبسـة بالمـاء البارد.

اعتدلت في جلستي.

استبدل د. روميرو باللوح الحاسوبي الحقنة.

قال: "لا يسعدني أن أؤذيك، لكني كُلِّفت بمهمة فحص ما تكون، ما ستصبح عليه. أنت بحاجة إلى فهم أن امتثالك أمرٌ غير قابل للتفاوض. والآن ضع ذراعك عبر الثقب من فضلك".

امتثلت.

وبينما كان يسحب دمي، قلت: "أريد أن أكلم أسرتي".

- أنا هنا فقط لتتبُّع تطورك. لو لديك ما يقلقك، ينبغي لك أن تسأل...

- أسأل من؟ أنا في زنزانة زجاجية. ضد إرادتي. هل يمكنك أن تكون إنسانًا لمدة...

- لا، لا يمكنني، كنت ذات مرة، وأنت كنت جزءًا من الآلة التي انتزعتْ إنسانيتي مني.

- أنا آسف لهذا. حقًّا. كنت فقط أؤدي عملي، و...

- ولم يكن لديك خيار؟ وأنا كذلك.

***

تساءل د. روميرو: "هل تشعر باليقظة؟".

- نعم.

- أترغب في المزيد من القهوة؟ يمكنني أن أحضر لك بعضها.

- لا شكرًا.

- هل أنت جائع؟

- لا.

كنت جالسًا إلى المكتب في زنزانتي أواجه د. روميرو، الذي كان جالسًا إلى المكتب الخارجي على الجانب الآخر من الزجاج. كان في أوج رجولته عندما قبضت عليه، ولا مجال للدهشة من أن السنين لم تكن رحيمة. اسودَّ الجلد أسفل عينيه وترهل، وتناثرت الشعيرات الدموية المتفجرة حول أنفه؛ الأمر الذي يشير إلى أنه كان يخدر نفسه بشرب مقدار أكبر مما يجب من الكحول. وكاد ينطفئ في عينيه النور الذي رأيته في مقاطع فيديو لمحاضراته في أوقاتٍ أفضل. بدا أشبه برجلٍ في وضعٍ مستحيلٍ، رجل تتعفَّن روحه بداخله. ورغم كل شيء، لم أستطع تجنب الشعور بالأسف من أجله؛ ضحية أخرى لمجاعة رامزي، يتضور من الجوع الفكري أمامي مباشرة.

إلى جواري كان هناك حاسوب محمول مفتوح، وعلى مكتبي كان لديَّ دفتر رسمي وعدة أقلام.

بدأنا بالحدة اللفظية، التماثلات، ترتيب الحروف في كلمات، الأحجيات.

كان كل شيء سهلًا بشكلٍ استثنائي حتى نهاية القسم اللفظي، عندما أدار حاسوبه المحمول نحو الزجاج حتى أتمكَّن من رؤية السؤال الأخير:

أقرب الكلمات التالية لكلمة Mytacism:

أ. مشاكس

ب. سوء استخدام

ج. هرس

د. غسيل

هـ. متشوق

و. لا أعرف

كان السؤال الوحيد حتى الآن الذي وقف أمامي.

شعرت بخلاياي العصبية تشتعل.

تتزاحم كي تجد موطئ قدم.

لقد رأيت هذه الكلمة مرة، ومرة واحدة فقط، في حياتي.

منـذ اثنتـي عـشرة سـنة، أعطتنـي بِـث مـن أجـل الكريسـماس تقويمًـا بكلمـة يوميـة يضـم كلـمات غريبـة وغامضـة،

كانت الكلمة المحددة ليوم 12 نوفمبر هي كلمة «mytacism".

اسـتطعت أن أرى الورقـة المربعـة الصغـيرة المنزوعـة مـن التقويـم الصغـير، الـذي كان قـد تقلَّـص عندمـا وصـل إلى الشـهرين الأخيريـن مـن العـام. أبقـاه مشـبك مغناطيـسي ملتصقًـا بثلاجتنـا في البيـت الأول الـذي اشـتريناه أنـا وبِـث معًـا في مدينـة بيثيسـدا.

كان الوقـت مـا زال مبكـرًا ذلـك الصبـاح عندمـا انتزعـت ورقـة 11 نوفمـبر (spanghew: أن تلقـي شـيئًا بعنـفٍ في الهـواء، خاصـةً أن ترمـي «ضفدعًـا» في الهـواء مـن طـرف عصـا).

آفْـا كانـت في الثانيـة مـن عمرهـا، وكانـت مسـتيقظة بالفعـل وتتهـادى في سـيرها قائلـة: «فـان، فـان، فـان» وترجمـة ذلك: «أريـد دقيق الشـوفان» طعامهـا المفضـل ذلـك الوقت.

رأيت صورة تامة لتعريف الكلمة.

12 نوفمبر

my·ta·cism | \ ˈmīt-ə-ˌsiz-əm \:

الاستخدام المفرط أو الخاطئ لصوت حرف m

قلت: "ب، سوء الاستخدام".

دوَّن د. روميرو ملحوظة.

- استغرق هذا السؤال 2.3 ثانية أكثر من أيٍّ من إجاباتك الأخرى.

- لقد رأيت هذه الكلمة مرة واحدة فقط من قبل.

- متى؟ في أي سياق؟

حكيت له.

أومأ برأسه وقال: "أنت لم تختر (لا أعرف) لأي من الأسئلة بعد، هل يمكنك أن تفسر لي كيف تأتي بإجاباتك؟".

- بسيطة، إما أني أعرف الإجابات وإما لا أعرفها، وحتى الآن، لم أقابل كلمة لم أرها من قبل.

- إذن أنت لم تخمن أي كلمة؟

- لا.

- أتود أن تقول إنك تملك ذاكرة مثالية؟

فكرت في السؤال وقلت: "لا أعرف إن كانت مثالية، لكنها جيدة جدًّا".

- أفضل مما كانت قبل دنفر؟

- بالتأكيد. وتزداد حدة كل يوم.

- أيمكنك أن تتذكر ما كنت تفعله في مثل هذا اليوم من العام الماضي؟

فكرت في السؤال: "نعم".

- إلى أي مستوى من التفصيل؟

- كأن هناك كاميرا خلف عينيَّ تسجِّل كل شيء رأيته ومررت به.

- هل تذكر الأفكار التي كانت لديك؟

في مثـل هــذا اليــوم منــذ عــام، كنــت في مدينــة كانســاس، بولايــة ميســوري، مــعناديــن. كنّــا هنــاك لمهاجمــة منــزل رجــل مشــتبه فيــه ببنـاء وبيـع أشـياء معدلـة للجينـات لتقويـة العضـلات، غالبًـا للاعبـي رفـع الأثقــال والرياضيــين المحترفــين.

وجــدت أني قــادر عــلى "الدخــول" إلى أي لحظــة مــن ذلــك اليــوم، الاسـتيقاظ في الفنـدق وتنـاول هاتفـي مـن فـوق الطاولـة المجـاورة للفراش لأجـد رسـالة نصيـة مـن بِـث:

صباح الخير يا حبي، كيف كان نومك؟

إلى تنـاول قطـع لحـم صـدر الدجـاج المدخـن في مطعـم شـواء آرثـر بايرانـت المتواضـع. الروائـح والأصـوات، حتـى المحادثـة في الطاولـة المجاورة لنـا، وكلام المـرأة...

قلت: "نعم. يمكنني حتى تذكُّر تسلسلات معينة من الأفكار".

بعـد ذلـك اختـبر قـدرتي الرياضيـة، ووجـدت الأمـر أسـهل حتـى مـن القسـم اللفظـي.

قـال د. رومـيرو: "في أحـد المحيطـات، توجـد مجموعـة مـن قناديـل البحـر، كل يـوم، يتضاعـف حجـم المجموعـة. إذا كان الأمـر يتطلّـب تسـعين يومًـا مـن قناديـل البحـر كي تغطـي المحيـط بأكملـه، كـم يسـتغرق الأمـر كي تغطـي القناديـل نصـف المحيـط؟"

قلت: "أنت تضيع وقتي ووقتك".

- مــن فضلــك قــدِّم إجابــة، يجــب أن نحــل الأســئلة حتــى نصــل إلى الأســئلة الصعبــة.

- تسعة وثمانين يومًا.

انتقلنـا إلى المنطـق المـكاني، والمهـارات البصرية/المفاهيميـة ومهـارات التصنيــف، التفكــير المنطقــي، وأخــيراً تمييــز الأنمــاط.

- لوجان، ما هو الرقم التالي في المتتالية التالية: 0، 1، 1، 2، 3، 5، 8، 13، 21، 34؟

تأملت المتتالية على شاشة حاسوبه المحمول.

- خمسة وخمسون.

- كيف توصلت إلى ذلك؟

- حسنًا، هذه متتالية فيبوناتشي. كل رقم هو مجموع الرقمين السابقين عليه.

- تصادف هكذا أنك تعرف متتالية فيبوناتشي من الذاكرة؟

- لا، درستها في العام الدراسي الثاني بالكلية.

- أكان من الممكن أن تتذكرها قبل الحادث في دنفر؟

- بالقطع لا.

- أتقول إن لديك القدرة الآن على الوصول إلى كل شيء تعلمته أو قرأته من قبل؟

هه! فكرت في السؤال: "لا أعرف إن كنت مرتاحًا لقول كل شيء بالقطع، لكن أشياء كثيرة، أغلب الأشياء".

- هل درستَ لغة أجنبية في المدرسة الثانوية أو الكلية؟

- اللغة الفرنسية.

- قبل دنفر، ماذا كان مستوى إجادتك؟

- فقدت أغلبها.

قضى روميرو العشر دقائق التالية وهو يختبرني في قواعد الفرنسية، ووجدت أن بإمكاني الآن تحدُّث الفرنسية بطلاقة وقراءتها كذلك.

قلـت: "كل شيء تعلمتـه في الكليـة متـاح لي مـن جديـد، ولعـلّي الآن أكـثر طلاقـة مـما كنـت في ذروة تألقـي في الجامعـة".

قدم لي د. روميرو متتاليات عددية ذات صعوبة متزايدة.

بعد ساعة، قابلت أخيراً متتالية لم أستطع تحديد نمطها.

قلت: "مبروك، أخيراً أوقعتني".

أغلق د. روميرو حاسوبه المحمول.

سألته: "أظن أني لم أحرز الدرجة الكاملة؟"

- لا، انتهـى الاختبـار منـذ خمـس وأربعـين دقيقـة؛ أحـرزت الدرجـة النهائيـة، أردت فقـط أن أرى مـدى تعقيـد المتتاليـات التـي يمكنـك التعامل معهـا. وقبـل أن تسـأل، لا فكـرة لـديَّ عـن معـدل ذكائـك، كل مـا أعرفـه أنـه يتجـاوز المائتـين، وهـو الحـد الأقـصى لمـا يمكـن أن يقيسـه الاختبـار الـذي أجريتـه للتـوِّ.

قلت: "هلّا قلت هذا مرة أخرى؟".

كنت قد سمعته. فقط لم أصدق ما كنت أسمعه.

مـال نحـو الزجـاج. "معـدل ذكائـك مائتـان عـلى الأقـل، وهـذا أعـلى مـا يمكـن أن يقيسـه الاختبـار، ويبـدو أن ذاكرتـك خارقـة للطبيعـة".

نهض وغادر.

لم أتحرك.

عندمـا كنـت في الرابعـة عـشرة، أجريـت اختبـارًا لمعـدل الـذكاء في بداية المدرسـة الثانويـة، والـذي كان بحسـب كلام أمـي، مجـرد أداة لمسـاعدتنا في فهـم كيـف تعلمت.

أحـرزت 118 درجـة. أعـلى مـن المتوسـط. ضمـن نسـبة الأربعـة عـشر في المائـة الأعـلى في سـكان العـالم.

دارت أمي شعورها، لكنها بالتأكيد كانت محبطة بشدة.

أشيع أن معدل ذكائها كان في أوائل الثمانينيات بعد المائة.

حصلت دائمًا على الدرجات الأعلى في المدرسة الثانوية.

دخلت بيركلي، الكلية التي اخترتها.

كنت منضبطًا. **حاولت**.

وبعد ذلك قابلت الكيمياء العضوية، لم أرسب أو ما شابه، فقط لم تمر بسهولة، سقط كثير من الطلاب. مرَّ المتفوقون القلائل في صفِّي بيُسر، وكان ينبغي لي أن أكون واحدًا منهم بالنظر إلى طموحاتي، لكني حصلت على درجة سالب ب بشق الأنفس.

بعد حصولي على درجتي الجامعية في الكيمياء الحيوية وعلم الوراثة، سألتُ أمي إن كان يمكنني قضاء الصيف معها في شينزين، والعمل في مختبرها؛ وافقت على قدومي.

هكذا كنت أنا، الأستاذ 118، محاطًا بالعباقرة الأفذاذ الذين يحاولون تغيير العالم. وكلما زادت فترة بقائي حولهم، وأنا لا أفهم إلا جزءًا مما كانوا يحاولون فعله، رأيت على نحو أوضح الكتابة على الجدار الذي كنت أتجنَّبه طوال حياتي.

كانت هذه الكتابة تقول:

لن تكون أبدًا ندًّا عقليًّا لأمك.

بالطبع كانت أمي تعرف. عرفتْ منذ كنت طفلًا أني لا أملك عُدتها أو حتى ما يقاربها. كل ما أردته أصلًا أن أتبع خطاها، كنت أطاردها طوال حياتي. وذلك الصيف في شينزين، أخذتني هذه الخطى وجرت بأقصى سرعتها لتصدمني بالجدار الحجري لحدودي، بشفرة الحمض النووي التي وُلدت بها.

إنه لشيء فائق القسوة أن تجعل ذهنك يستحضر رغبة لا يستطيع أن يحققها وظيفيًا.

لا يعلمك أحد كيف تتعامل مع موت حلم.

لكن لم يعد هذا قدري بعد الآن؛ إن عقلي يتحول إلى ماسة.

***

بعد ثلاث ليالٍ، انتابتني أحلام مجنونة، كما لو أن مخي أصيب بعدوى من فيلم سلفادور دالي عن عيش الغراب.

بهجة.

نشوة.

رعب.

ذعر.

فرح.

ومشاعر جديدة لم أمر بها من قبل، خليط من اللهفة تجاه المستقبل والخسارة تجاه الماضي.

حلمت بما كنته.

وبمن، أو بما، قد أكون.

***

أصبح الوقوف على اليدين، بأقل تدريب، عملًا لا يتطلّب جهدًا، بل تمكّنت من فعله على يد واحدة.

في محاولتي الأولى، قمت بشقلبة خلفية في الهواء من فوق الفراش.

قمت بمائة تمرين ضغط في منتصف المحبس، ولم تنزل مني قطرة عرق إلا في العشرة الأخيرة، ثم انتقلت إلى مائة تمرين ضغط بيد واحدة، وهو ما لم أملك قط القوة لفعله من قبل.

تدربت على جلوس القرفصاء فوق الأرضية والقفز إلى سطح المكتب.

تمنيت لو أنهم يراقبون، تمنيت أن تبدأ براعتي البدنية حديثة الاكتشاف في إثارة فضولهم.

كان المحبس في حد ذاته مُؤمَّنًا تمامًا. فحصت كل شبر مربع فيه ولن يسمح لي أي مقدار من القوة العضلية باختراق الزجاج المضاد للرصاص أو انتزاع الأثاث المُثبَّت في الأرض الخرسانية.

حتى الآن، كانوا يدرسون فقط التغيرات في ذهني، وهذا يمكن القيام به في أثناء إبقائي محبوسًا في الداخل. لكن القائمة التي قرأها عليَّ إدوين في يومي الأول هنا أشارت إلى أن عددًا من التغيرات البدنية تجري كذلك، أشياء لا يمكن قياسها عبر الزجاج في محبس ضئيل.

سيكون عليهم أن يخرجوني من هنا لو أرادوا اختبار هذه التغيرات، وعندما يفعلون ذلك، سأنال فرصتي.

كنت أعرف أن كثافة عظامي ورؤيتي الليلية قد ارتفعتا.

ومن الواضح أن قدرتي على تحمُّل الألم قد زادت أيضًا.

كم يمكن لعظامي أن تتحمل الآن من الضغط والقوة بعد أن جرى تحسين شبكتي الجينية LRP5؟

إلى أي حد صرت قويًّا بالفعل؟

هل تحسَّنت ردود أفعالي؟

إلى أي حـد يمكننـي الجـري بسرعـة؟ إلى أي ارتفـاع وبُعـد يمكننـي القفـز؟

أريد إجابات عن هذه الأسئلة، وأظن أنهم يريدونها هم أيضًا.

***

كنـت أتـدرب في المحبـس كل يـوم، لأثـير حفيظتهـم بقـوتي وتناسـقي المتعاظمـين، لكـن أحـدًا لم يبلـغ بـه الأمـر حتـى حـد التلميـح بأنهـم قـد يهتمـون بدراسـة قـدراتي البدنيـة، ولم أسـتطع التصريـح بذلـك، عـلى الأقـل بشـكلٍ مبـاشرٍ.

ظـل د. رومـيرو يحـاول مراقبـة تطـوري المعـرفي، لكـن ابتـكار أسـئلة تتحـداني كان يتطلّـب عقـولًا عـلى الأقـل في حـدة عقـلي.

ظننـت أنهـم يريـدون معرفـة إن كان ذكائي قـد اسـتقر قبـل أن يفكـروا في اختبـاري خـارج قفـصي. لا جـدوى مـن تركهـم يعرفـون أني مـا زلـت أتحسَّـن. مـا إن يشـعروا بالارتيـاح تجـاه ذكائي، سـيبتكرون بروتوكـولًا لاختبـاري في فضـاء أكـبر. لا يمكـن لوكالـة ضئيلـة مثـل الجـي بي إيـه أن تحتجـزني هنـا إلى أجـل غـير مسـمًّى مـن دون أن تثـير اهتـمام إخوتهـا الأكـبر والأكـثر سـفالة، بالتأكيـد تراقبهـم وزارة الدفـاع بالفعـل عـن قـرب، كـم سـيمر مـن وقـت قبـل أن يتولـوا هـم الأمـر؟

خـلال أحـد الاختبـارات، وبينـما كنـت أتظاهـر بالكفـاح لوصـول إلى إجابـة، أصبحـت مـدركًا تمامًـا -لأول مـرة- لإحسـاس جديـد، أو بالأحـرى أحاسـيس عديـدة...

اندفاعة الهواء القوي الذي يهب عبر فتحة التهوية فوقي.

نبض قلبي.

تمايُـل الشـعيرات عـلى ذراعـيَّ عندمـا تثيرهـا التغـيرات الصغـرى في الضغـط الجـوي.

كل الأنسجة في زنزانتي: الزجاج، القماش، الصلب، البورسلين، وكل الأنسجة خارجها.

كادت هذه المشاعر المختلطة أن تغلبني، كما أنها خلقت ذلك الشعور الوهمي شديد الغرابة بتباطؤ الوقت.

ما يسمح للكائنات البشرية بالتركيز على الأشياء وسط عاصفة المحفزات اللا نهائية هو عملية عصبية تُدعى التمرير الحسي، حيث تصد المحفزات ضعيفة الصلة (المكررة أو غير الضرورية) في المخ من بين كل المحفزات المحيطة الممكنة. إذا لم يحدث هذا، سنعاني حمولة زائدة من المعلومات غير ذات الصلة في المراكز القشرية العليا.

هل كانت عملياتي الحسية تتغير؟

تخيل السير وسط ميدان تايمز سكوير في مدينة نيويورك وتسجيل كل المحفزات المحيطة بشكلٍ متساوٍ وفي نفس الوقت. أن تعطي للقصاصة الصغيرة تحت الأقدام على الرصيف نفس الأولوية التي تعطيها لكل تفصيلة لدى كل واحد من المارة القادمين ورائحة العوادم وشاحنات الطعام والبخار الخارج من قطار الأنفاق والبول وكل نتفة من حوار عابر تتصادم عبر المدخلات السمعية إلى جانب شلال من المشاهدات والأصوات والروائح المميزة والأحاسيس الملموسة لمدينة في كامل حركتها.

غياب بوابات التمرير الحسي علامة أساسية على الإصابة بانفصام الشخصية، ويساهم فعليًّا في إصابة الناس بالجنون، سيكون أي وجود من دون بوابات التمرير الحسي عذابًا.

ربما تعرَّض تمريري الحسي إلى تنظيم بالنقصان، سأضطر إلى إعادة برمجة ذهني كي لا أدع هجمة المحفزات تنهكني، إلى تدريب نفسي على استيعاب مزيد من المدخلات وفي نفس الوقت الاحتفاظ بكامل تركيزي وانتباهي. ألا يمكنني أن أفعل ذلك الآن بما أني قادر على توجيه

انتباهـي إلى شـيئين بشـكلٍ كاملٍ وفي نفـس الوقـت؟ ألم أقـم بالتعامـل مـع هـذا الحبـل مـن الأفـكار ذاتـه في نفـس اللحظـة التـي كنـت فيهـا أحسـب الجـذر التربيعـي لبـاي؟

ربما يفسر هذا التعديل السبب في أني الآن أرى الأنماط في كل مكان.

مثـلًا: كلــما جــاء د. رومــيرو إلى جلســة اختبــارات، يذهــب أولًا إلى المحطـة كي يُدخـل كلمـة مـروره. الحـركات العضليـة الدقيقـة في سـاعديه ويديـه، وأصـوات الضربـات عـلى لوحـة المفاتيـح -خمـس ضربـات باليـد اليـسرى (الإصبـع الخنـصر الأيـسر الأرقّ [ض أو ش أو ئـ] والبنـصر الأيـسر الأقـوى قليـلًا [ص أو س أو ء وربمـا 1]) وسـت ضربـات باليمـين (ضربـات ثقيلـة بالسـبابة والوسـطى [ع أو ت أو ى، ثـم هـ أو ن أو 8 أو 9])- كأني أشـاهد اسـم المسـتخدم وكلمـة المـرور الخاصَّـين بـه مكتوبـين بحـروف كبـيرة عـلى الجـدار أمامـي.

لكن هذا كان يساعدني فعلًا في قراءة لغة الجسد.

عندمـا يقـترب إلى درجـة كافيـة، كنـت أبـدأ في دراسـة التغـيرات في معـدل نبضـه واتسـاع حدقتيـه.

ما يجعله يتنفس على نحو أسرع.

ما يجعله يسترخي.

كنـت أجـد أن لغـة جسـدي ذاتهـا -أصغـر الإيمـاءات- يمكنهـا أن تثـير تغـيرات في وظائفـه الـلا إراديـة.

في الوقـت الـذي كنـت أدرس فيـه هـذه الأشـياء في رومـيرو وحـراسي الآخريـن، كنـت أدرسـها أيضًـا في نفـسي.

وكلـما أصبحـت أكـثر وعيًـا بمقـدار تأثـير المحفـزات الخارجيـة عـلى علامـاتي الحيويـة، رأيـت كيـف قـد يمكننـي يومًـا مـا التحكـم فيهـا.

***

وسط حلم، سمعت إدوين يقترب من قفصي. اعتدلت في جلستي، فتحت عينيَّ، رأيته جالسًا في الجهة الأخرى من الزجاج ومعه جريدة واشنطن بوست.

دعكتُ عيني، ثم هبطت عن السرير وذهبت نحو الحوض.

رششت الماء على وجهي.

سألته وأنا أغسل أسناني: "ماذا في الصحيفة من أخبار؟".

- حرب الأقمار الصناعية. الصين تتهمنا بإرسال فريق فضائي سري لاختراق أحد أقمارها الصناعية العسكرية.

جلست إلى المكتب، والزجاج بيننا، وقلت: "يبدو هذا حريًّا بنا".

طوى إدوين الجريدة على نحو سيئ -وكان من المؤلم تقريبًا رؤية ذلك- ورفع نظره إليّ. كان هنا ليسأل بعض الأسئلة الجديدة عن أمي.

قلت: "لقد أخبرتك بالفعل، أنا لا أعرف...".

- أصدق أنك لا تعرف أين هي، هناك طرق أخرى يمكنك أن تساعدنا بها.

- لكني لن أساعدكم.

أومأ إدوين برأسه: "لا بأس. أنت هنا، وأحبابك في الخارج".

هكذا ترك تهديده المتواري معلقًا. منذ شهر، كان هذا يمكن أن يفلح معي، لكن مع كل إخفاقاته، كنت أرى إدوين الآن على نحو أفضل مما رأيته من قبل. كانت لديَّ ذاكرة شبه كاملة بكل ملاحظة عن الرجل، وهو لن يؤذي عائلتي. إذا كان يريد الاستفادة بي، فهناك أشياء أريدها، أشياء يمكنه تقديمها، أولها وأهمها أن أتواصل مع بِث وآفا.

قلت: "أنت تلعبها بطريقة خاطئة".

- عمَ تتحدث؟

- يجب أن تستخدم الجزرة، وليس العصا.

سألني: "هل كان لديها مختبر سري؟".

- ماذا سأجني من وراء ذلك؟

ارتفعت عينا إدوين إلى فتحة التهوية في سقف محبسي. ثم ارتدتا إليّ. تغضَّنت أنفه، والتوت شفته العليا إلى أعلى لجزء من الثانية.

تعبير ضئيل عن الاشمئزاز.

قلت: "أنت تفكر في إزاحة الهواء داخل المحبس. تمكَّن روميرو من القيام بهذا لأنه يلقي باللوم عليَّ -عن حق- في فقده لرزقه، لشغفه. أما أنت فلا تملك غضبًا مكافئًا تجاهي كي تنقر الزر. فكرة أن تعذبني من أجل معلومات تجعلك مشمئزًا فعليًا" تنهد، منزعجًا: "والآن أنت تفكر في جعل واحد من تابعيك الحمقى يقوم بالمهمة القذرة، لكنك لست واثقًا حتى إن كانت تلك الدرجة من الإزاحة ستكفي لتخفيف...".

- هلّا خرست فقط عن هذا الهراء. يا إلهي، لقد تغيَّرت عن لوجان الذي أعرفه.

لقد هززت أعصابه، ممتاز. والآن سألقي إليه بعظمة.

قلت: "لم أكن عارفًا بأي مختبر سري تملكه أمي".

أضاء وجهه بارتياح.

- لكن لو أنها كانت تبني هذا التحسين، فستحتاج بالتأكيد إلى واحد.

- وليس مجرد مكان مرتجل...

قلـت: "لا، سـتحتاج إلى مختـبر بيولوجيـا جزيئيـة عـالي الجـودة بـه معـزل سـلامة بيولوجـي مـن المسـتوى الرابـع لزراعـة الخلايـا والتجـارب الحيوانيـة، ومورديـن للمركبـات الغريبـة بيولوجيًـا، ولا يمكنهـا القيـام بهـذا وحدهـا".

- كم عدد...

- اثنان ربما، الأرجح خمسة أشخاص.

- أي فكرة عن...

يـا إلهـي! كنـت أعـرف كل سـؤال سـيطرحه قبـل أن يسـأله، وقـت مهـدر كثـير جـدًا، قلـة كفـاءة شـديدة جـدًا.

- ... من يمكن أن يكونوا؟

قلـت: "سـتحتاج إلى أشـخاص يمكنهـم -كمجموعـة- الإحاطـة بالكيميـاء الحيويـة والبيولوجيـا الجزيئيـة وعلـم الوراثـة والمعلوماتيـة الحيويـة، وكل واحـد منهـم يعمـل بأقـصى طاقتـه. لا يمكننـي تخيـل قيامهـا بذلـك مـن دون تلديـن كمـي أو معالـج فائـق النطـاق".

كنـت أتكلـم أسرع مـما يجـب. يتحـدث الشـخص المتوسـط مـن 100 إلى 130 كلمـة في الدقيقـة. كنـت أقـترب مـن 180، متـى بـدأ ذلـك؟ كنـت بحاجـة إلى التهدئـة، إلى التوقـف عـن جـذب الانتبـاه لقـدراتي العقليـة المتفجـرة؛ سـيجعلهم ذلـك فقـط أكـثر خوفًـا منـي، وكلـما زاد خوفهـم، قـلَّ احتـمال أن يخرجـوني مـن المحبـس لدراسـتي فيزيقيًـا.

- إذن ستكون بحاجة إلى مهندس كومبيوتر.

ألم أقل ذلك توًا؟

- نعـم، شـخص عُتُـل زنيـم حقًـا، شـخص يمكنـه تصميـم برامـج معقـدة للغايـة وضليـع أيضًـا في تشـفير أسـاليب بنـاء الـذكاء الاصطناعـي القـادر عـلى التعلـم الـذاتي.

- هل لديك أي فكرة عمَّن يمكن أن يكون هؤلاء الأشخاص؟

سؤال فقير الصياغة، لكني فهمت ما يعنيه. كان يسأل عن أسماء، ألم يسأل هذا السؤال بالفعل منذ 12.5 ثانية؟

قلت: "زملاؤها في شينزين إما ماتوا وإما في السجن، لا أعرف من قابلت وعملت معه بعد أن زوَّرت موتها".

- هل كان هناك أي أشخاص مؤثرين في حياتها يمكنك الاعتقاد بأنها قد تتوجه إلى أحد منهم بعيدًا عن المجاعة؟

- لا أعرف ماذا كان يعتقد أصدقاؤها وزملاؤها فيها بعد المجاعة، أظن أغلبهم سيديرون ظهورهم لها، أو يبلغون عنها. لديَّ فكرة مجنونة.

- ماذا؟

- سأجدها لك.

مال نحو الزجاج، وقد ثار اهتمامه.

- تقصد... إخراجك.

كنت على وشك اكتشاف إن كان إدوين أكثر اهتمامًا بدراستي أم بالعثور على ميريام، بالطبع كان هناك خيار آخر، لم يعد القرار فيما يجب عمله معي قراره.

قلت: "تتبَّع أثري، راقبني كما تريد، أنا الوحيد الذي يمكنه أن يقوم بهذا".

كان يفكر في الأمر.

أخيرًا قال: "لا يمكنني أن أفعل هذا".

- لكنك تتوقع مني مساعدتك وأنا جالس في زنزانة زجاجية؟ وفي نفس الوقت، أنت على وشك أن تطلق سراح الشخص الذي ربما يملك فعليًا المعلومات الحقيقية".

قال إدوين: "لم أكن صادقًا تمامًا معك حول ما انتهت إليه الأمور بالنسبة إلى سورين".

قلت: "دعني أخمن، لم يُدرَج سورين قط بشكل رسمي في نظامنا، أنت جعلت قاضي محكمة تابع لوكالة نظم المعلومات الدفاعية يمنحك إذن احتجاز لمدة تسعين يومًا".

لم يرد إدوين بأي كلمة، حاول أن يحافظ على وجه مصمت غير مقروء لكنه فشل.

سألته: "إذن أين هو؟ في واحد من مقارك السرية السوداء الأخرى؟ في هذا المقر؟".

- ليس هنا.

قلت: "أنت ما زلت تستجوبه..".

أومأ إدوين برأسه.

- استجواب مُعزَّز؟

إيماءة بالرأس.

- افتراضي؟

لا توجد استجابة، لكن نعم.

كنت قد سمعت إشاعات عن حدوث هذا في حالات قصوى مع الإرهابيين البيولوجيين الأجانب، لكني شعرت بوخزة من الإحباط والخزي العميقين لسماع تأكيد بهذا من رجل كنت أحترمه. كانوا يستجوبون سورين في عالم افتراضي، مستخدمين واجهة عصبية مباشرة

مصنوعـة بمواصفـات عسـكرية. يخترقـون مناطـق اللـوزة الدماغيـة والمناطـق الجبهيـة والطرفيـة في قشرتـه المخيـة الحديثـة كي يخدعـوا ذهنـه ويدفعـوه إلى معانـاة كل أنـواع المتعـة والألم. كانـت الأمـم المتحـدة قـد حظـرت التعذيـب الافـتراضي منـذ عقـد مـن الزمـان، لكـن بمـا أنـه كان مـن الصعـب تتبعـه أو إثباتـه، كان مـن المسـتحيل تقريبًـا تطبيـق هـذا الحظـر.

قلـت: "أظـن أنـه لا جـدوى مـن تذكـيرك بأنـه مواطـن أمريـكي. آه، انتظـر، وأنـا كذلـك. بالطبـع لا جـدوى مـن تذكـيرك بأنـه كائـن بـشري، إذن مـاذا عرفـت منـه؟".

- لا شيء، يبدو كأنه لا يعرف فعلًا.

نهض إدوين، وجمع جريدته.

قلـت: "إدويـن، لقـد أجبـت أسـئلتك للتـوِّ، ولم أكـن مضطـرا إلى فعـل ذلـك".

- أعرف.

- أود أن تعرف أسرتي أني بخيرٍ، أود أن أتحدث إليهم، أرى وجوههم.

الطريقـة التـي نظـر إليَّ بهـا -بشـفتين مزمومتـين وحاجبـين مرفوعـين- وشـت بحـزنٍ متـوارٍ تحـت السـطح تمامًـا. كان بمقـدوري رؤيـة نبضـه يـرفُّ في شريانـه السـباتي. يـدق أسرع بكثـيرٍ مـما كان... 129 نبضـة في الدقيقـة. لم أكـن واثقًـا كيـف عرفـت الرقـم، لم أكـن أعـدُّ بطريقـة واعيـة، فقـط... عرفـت. امتلكـت وعيًـا محـددًا تفصيليًّـا، لم يكـن موجـودًا مـن قبـل.

كان إدويـن حزينًـا ومتوتـرًا لأني كشـفته. وفي تلـك اللحظـة، عرفـت أن مـا أخـبرني بـه في يومـي الأول هنـا كان كذبـة، لم يخـبر أسرتي أني محتجـز تحـت الاشـتباه بالتعديـل الـذاتي.

على الفور عرض لي ذهني فيلمًا مشوشًا لجنازتي، تابوت مغلق، بِث وآقا تبكيان، إدوين يواسيهما قائلًا إني كنت بطلًا فعلًا. الصمت في بيتنا بعد أن رحل كل المُعزِّين وبقي الحزن الحقيقي.

- قلتَ لهما إني قُتلتُ في هجوم، أليس كذلك؟

كل ما قاله: "أنا آسف".

وسار مبتعدًا.

***

خلعت ملابسي ودخلت مقصورة الدُش. كانت المقصورة ضئيلة وذات جدران زجاجية. لا خصوصية ولا براح. كنت أعلم أن شخصًا ما في مكان ما يجلس إلى شاشة مراقبة، ويراقب كل حركة مني.

لم أستطع التفكير في بِث وآقا، تخيُّلهما في حالة حدادٍ عليَّ سيكسرني.

لذا وبينما كان الماء الساخن ينهمر عليَّ، فكرت في أمي، متسائلًا أين كانت في هذه اللحظة، متسائلًا ماذا قد تكون نهاية لعبتها، هل عرَّضت نفسها أيضًا لهذا التحسين؟

طفت ذكرى على السطح؛ محادثة حضرتها ذلك الصيف في الصين قبل أن يمضي كل شيء على نحو خاطئ.

في المناسبات النادرة عندما كانت ميريام ترغب في أن تروِّح عن نفسها وتأخذ باحثي ما بعد الدكتوراه العاملين معها خارج المختبر، كنَّا نذهب جميعًا إلى حانة البيرة البلجيكية تلك في منطقة نانشان كانت تحمل اسم (الراهب المترنح).

قبل دنفر والتحسين الذي أصاب ذاكرة سيرتي الذاتية، لم أكن لأتذكر أبدًا هذه اللحظة بهذا الكمال البلوري، لكن ذات ليلة، بعد كؤوس كثيرة، كانت مجموعتنا تروح وتجيء في مناقشة حماسية،

بـدأت عندمـا طرحـت أمـي سـؤالًا افتراضيًّـا: مـا هـو التهديـد الأعظـم لنوعنـا البـشري؟

كان الجميع سكارى وسعداء وصاخبين، يطرحون آراءهم معددين:

ارتفاع مياه المحيطات.

التصحر.

فشل النظم البيئية.

معدلات ثاني أكسيد الكربون الخطرة.

كان بـصري، باحـث مـا بعـد الدكتـوراه الـذي كان الرجـل الثـاني في فريـق أمـي، قـد قـال: "كل التهديـدات الوجوديـة لوجودنـا تحيـا تحـت مظلـة التغـير المناخـي".

كانـت أمـي تراقبنـا بهـدوء ونحـن نتجـادل جميعًـا مـن مجلسـها عـلى رأس المائـدة، وهـي ترتشـف مـن كأس بـيرة ويسـتفليتيرين 12 السـوداء، وعيناهـا الواسـعتان الغامضتـان لا تفلتـان شـيئًا.

وأخيراً قالت: "كلكم مخطئون".

حـلَّ الصمـت عـلى المائـدة، والتفـت الجميـع نحوهـا. قلَّـما رفعـت ميريـام صوتهـا، لم يكـن هنـاك سـبيل كي نسـمعه وسـط ضجـة الحانـة، لكـن كان هنـاك شيء مـا سـحري تقريبًـا يتعلـق بأمـي عندمـا تكـون في حشـدٍ مـن مسـاعديها.

سـألها بـصري: "ألا تعتقديـن أن التغـير المناخـي هـو التهديـد الأعظـم لنوعنـا البـشري؟".

كانت قد ثبتّته بنظرتها: "التهديد الأعظم لنوعنا يكمن فينا".

تبادل الجميع نظرات قلقة، غير واثقين مما كانت تعنيه.

بينما كنت واقفًا في هذا النموذج المصغر لمقصورة الدش في محبسي، بعد عشرين عامًا، استطعت أن أتذكر بوضوح أني لم أمتلك أوهى فكرة عما كانت تتحدث عنه، وغرقت داخلي قليلًا بينما تراكمت فوقي أدلة أكثر على نقائصي وعجزي.

كانت أمي قد قالت: "الجوع، المرض، الحروب، الاحتباس الحراري، تلوح هذه التهديدات أمامنا مثل سحب عاصفة متجمعة. لكنَّ تسعة وتسعين بالمائة من البشر يقرؤون عن عالمنا المتداعي في عناوين جرائد الصباح، ثم يتجاهلونها ويكملون يومهم"، نظرت حول المائدة: "كلكم هنا معي في شينزين، تحاولون أن تؤدوا دوركم في حل مشكلة فشل المحصول، وهو ما قد يكون خطوة نحو حل مشكلة الجوع والمجاعة، محاولين أن نكون جزءًا من الحل".

مالت إلى الأمام، وقد دبَّ فيها النشاط فجأة: "لو كان هناك مزيد من الناس مثلنا، تخيلوا ما يمكننا أن نحققه؛ محاصيل جديدة لإطعام الملايين من الجائعين، منع الأوبئة من اجتياح العالم، القضاء على أغلب الأمراض والفقر كله والحروب كلها، لا مزيد من الانقراضات الجماعية، طاقة نظيفة متجددة بلا حدود، الانتشار داخل المجموعة الشمسية".

بعد عشرين عامًا، بينما الماء الساخن ينهمر ضاربًا ظهري، شعرت برعشة باردة تسري داخلي.

تساءل بصري: "إذن تقولين إن الناس أغبى مما يجب".

قالت ميريام: "ليس هذا تمامًا، إنه الإنكار، الأنانية، التفكير الخرافي. لسنا كائنات عقلانية، نسعى إلى الراحة أكثر من النظر بأعين صافية داخل الواقع. نستهلك ونتأنق ونقنع أنفسنا أننا لو أبقينا رؤوسنا في الرمال، ستمضي الوحوش في طريقها مبتعدة. بصيغة أبسط، نحن

نرفض أن نساعد أنفسنا كنوع، نرفض أن نفعل ما يجب أن نفعله. كل خطر نواجهه متصل في النهاية بهذا الفشل".

أنهيت دُشي، وبينما كنت أرتدي ملابسي، دخل أحد حراسي -ماذا يمكنني أن أسميهم غير ذلك؟- بإفطاري.

جلست إلى مكتبي الداخلي بينما كانت رائحة القهوة الجيدة الغنية تملأ المحبس.

كانت أفكاري ما زالت تتسارع.

بعد حانة البيرة، ركبت مع أمي سيارة أجرة عائدين إلى المنزل الذي كنَّا نستأجره في منطقة باوآن، على خليج شيانهاي.

تناولت كؤوسًا مزدوجة من البيرة أكثر من اللازم، وكانت أضواء شينزين تعبر بنا فيما يشبه الضباب.

رمقتُ أمي، التي كانت تحدق خارج النافذة، وذهنها بلا شك مشغول بعمل الغد، العمل دائمًا.

ولأني لم أكن في حالتي الطبيعية، سألتها ببساطة -وهو الشيء الذي لم أكن لأفعله لو كنت واعيًا-: "لو أمكنك أن تفعلي ذلك، أستفعليه؟ تجعلي الناس أشبه بنا؟" وبسرعة صححت نفسي: "أشبه بكِ؟".

نظرت إليَّ، وربما لأن رأسها كان خفيفًا أيضًا، كانت صريحة معي بطريقة لم أعرفها إلا مرة أو مرتين في عمري.

قالت: "نعم، سأفعله."

- لكن هذا مجرد حلم، صحيح؟ مجرد فكرة؟

هزَّت كتفيها: "كلما سجل أحدهم اشتراكًا في (ذي ستوري أوف يو)، يكون عليه أن يكمل اختبار شخصية مكون من 350 سؤالًا ويستخدم تطبيقنا التصويري لتسليم مسح للجسد كاملًا يعطينا جبالًا

من البيانات. لديَّ الشفرة الجينومية لتسعة وسبعين مليون شخص مختلف وأكثر من ثلاثة وعشرين ألف بيان نمط ظاهري لكل واحد منهم، من كافة أنحاء العالم. لو تمكَّنت من تطوير ذكاء اصطناعي قوي بما يكفي للتعامل مع هذه المجموعة من البيانات، وطرح الأسئلة الصحيحة، من يعرف ماذا يمكن أن أحقق". وبعد ذلك نظرت إليَّ بتركيز مخيف. "شيء طيب أن نبني شكلًا جديدًا من الحياة، أو نشفي المرض، أو حتى نحاول إنجاز العمل الذي نفعله الآن مع الجراد، لكن التغيير الكامل للكيفية التي يفكر بها أعضاء نوع واعٍ هو بالتأكيد التعبير الأقصى عن قوة التعديل الجيني".

في ضوء ما حدث لي بالضبط، اتخذت هذه المحادثة علاقة جديدة تمامًا، لقد حاولت أمي أن تعدِّل بضعة حقول من الأرز وانتهى بها الأمر إلى قتل مائتي مليون شخص. أي دمار يمكنها أن تُحدثه -عن قصدٍ أو من خلال عواقب غير مقصودة- بمحاولتها تغيير شيء جوهري مثل الكيفية التي يفكر بها البشر العاقلون؟

***

حلمتُ ببِث وآڤا.

كنَّا واقفين في سهل منبسط بلا ملامح.

كانت السماء بنفس اللون الرمادي الحالك الذي كانت عليه الأرض، ولم يكن هناك أي بُعد للفضاء على الإطلاق -لا أفق، ولا إحساس بالعمق- لولا أن الأرض كانت أغمق قليلًا.

فجأة، انشقت بيننا.

هوة سوداء تزداد اتساعًا.

أكثر وأكثر.

أردت أن أقفز عبرها وأنضم إليهما، لكن المسافة كانت قد صارت بالفعل هائلة.

وهكذا وقفنا هناك فقط، ننظر ونحن ننجرف أبعد وأبعد بعضنا عن بعض.

***

نهضت من أغوار حالة لا وعي عميق، وحتى قبل أن أكون في تمام يقظتي، أصبحت واعيًا بوجود صوت ما.

بوم بوم بوم مكتومة.

إطلاق نار؟

اعتدلت في جلستي، وفتحت عينيَّ.

كنت وحدي في المحبس، ورغم أن الحجرة كانت مظلمة، كان ما زال بمقدوري أن أرى.

سمعت صرخة بعيدة، أخمدتها الجدران الخارجية وزجاج زنزانتي.

اندفع رجل عبر الباب المجاور للمحطة.

ميزته على الفور، حتى في الضوء الواهي؛ كان واحدًا من الرجلين اللذين جاءا إلى الطابق الرابع من مركز الدستور للقبض عليَّ، الرجل القصير العريض. لم أكن قد رأيته خلال فترتي هنا. أمسك بمسدس في يد، وكان يلهث ويمسك جانبه باليد الأخرى، والدم يسيل من بين أصابعه، وفي أعقابه آثار أقدام مدماة.

سألته: "ماذا يحدث؟".

عندما التفت لينظر إليَّ، انفتح الباب بقوة مرة أخرى وصاحبت ضجة تصم الآذان اختفاء أغلب رأسه في ضباب أحمر.

خطـا أحدهـم عـبر البـاب مرتديًـا معطفًـا أسـود، كان يحمـل بندقيـة آليـة ويرتـدي قنـاع مبـارزة، وأحسسـت عـلى الفـور بـشيء مختلـف في الطريقـة التـي يتحـرك بهـا. شيء مضبـوط، لا جهـد مهـدر، ولا قلـة كفـاءة. مؤخـرًا، لم يكـن بمقـدوري تجـاوز كـم كان رومـيرو وإدويـن وحـراسي الآخـرون يتحركـون بطريقـة خرقـاء وغـير دقيقـة، كأنهـم رُضَّـع عمالقـة يمشـون عـلى أقدامهـم، تـشي أجسـادهم بـكل شيء.

ورغـم أنـه كان شـيئًا غريبًـا فعـلًا أن ألاحظـه في هـذه اللحظـة عينهـا، فـإني كنـت مفتونًـا بأناقـة التحـركات البدنيـة لهـذا الشـخص.

حرّك إصبعه حركة بسيطة.

عرفت تمامًا ما أراده.

تحركـت إلى الجانـب البعيـد مـن زنزانتـي، سـحبت الحشـية مـن فـوق سريـري واسـتخدمتها درعًـا، جثـوت خلفهـا في إحـدى زوايـا المحبـس.

كان صـوت طلقـات البندقيـة الآليـة يصـم الآذان، رصاصـات ضخمـة تطحـن الزجـاج المقـاوم للرصـاص، ونثـار الشـظايا يخـترق الحشـية وينهمـر فوقـي.

عندما توقف إطلاق النار، ألقيت الحشية جانبًا ووقفت.

لم يكـن الزجـاج المقـاوم للرصـاص لمحبـسي كفـؤًا لطلقـات البندقيـة الآليـة.

خطوت خارج القفص لأول مرة بعد خمسة وعشرين يومًا.

أذناي تصفران.

اقترب مني صاحب قناع المبارزة.

سألته: "من تكون؟".

هزَّ رأسه: ليس هنا.

قلت: "سيرسلون مزيدًا من الناس. أكثر مما يمكنك...".

قاطعني صوت معدَّل: "لا فكرة لديك عمَّا يمكنني التعامل معه".

انحنيت، ورفعت مسدس الرجل الميت الذي أسقطه عندما فقد رأسه، وفحصت خزانته بسرعة.

قال: "ابق قريبًا..".

تبعته خارج الحجرة وعبر ممر منخفض الإضاءة التصقت كابلات كهربائية بجدرانه، كان المسدس الذي أحمله من نوع سميث آند ويسون عيار 45، لزجًا من الدماء.

عبر الممر، ارتعش واحد من مصابيح الفلورسنت في السقف، ملقيًا رشقات متقطعة من الظلام على المدخل.

مررنا برجلين ممددين على الأرض في برك متسعة من دمائهما، جرى اصطيادهما وهما خارجان من حجرة مليئة بشاشات مراقبة تعرض لقطات حية من محبسي من زوايا عديدة.

سألته: "أنت لم تقتل إدوين روجرز أو شخصًا قصيرًا وبدينًا في هيئة العلماء، أليس كذلك؟".

- الحراس المسلحون فقط.

عندما اقتربنا من التقاطع التالي، سمعت أصواتًا.

رفع الغريب ذراعه.

توقفت.

علَّق البندقية على كتفه وأسرع نحو التقاطع بينما ظهر ثلاثة رجال من وراء الزاوية.

متعهدو أمن مدججون بالسلاح.

شـق صاحـب قنـاع المبـارزة حلـق الرجـل الأول بسـكين خنـدق لكـن الرجـل الثـاني كان يرفـع بالفعـل مسدسًـا ماركـة ديزيـرت إيجـل.

رأيـت كل شيء بوضـوح شـديد، كان صاحـب قنـاع المبـارزة عـلى وشـك أن يتلقـى طلقـة عيـار 50 في وجهـه.

وبينـما كانـت الفكـرة تخطـر بذهنـي، قـام منقـذي بخطـوة جانبيـة في توقيـت جميـل بينـما كان الرجـل الثـاني يجـذب زنـاد مسدسـه ويطيـح بطريـق الخطـأ بـدلًا منـه بوجـه الشـخص الثالـث.

قـام صاحـب قنـاع المبـارزة بحركـة جانبيـة أخـرى، وبينـما كان الرجـل الأخـير واقفًـا يلـوح بمسدسـه العمـلاق، محـاولًا أن يسـدِّده، مـال منقـذي تحـت ذراعـه، وقبـض عليـه بدقـة، وكـسره إلى ثلاثـة أجـزاء.

كان الأمـر أشـبه بمشـاهدة مسـدس تتفـكك أجـزاؤه، إلا أنهـا كانـت عظامًـا.

وبينـما كان الرجـل يجـأر صارخًـا، شـق صاحـب قنـاع المبـارزة بطنـه مرتـين بالعـرض.

سـقط الرجـل عـلى ركبتيـه، وبيـده السـليمة حـاول أن يصـد مـا كان ينـدلـق منـه.

اسـتغرق هـذا الفاصـل بأكملـه 2.5 ثانيـة. لم تكـن حـركات صاحـب قنـاع المبـارزة سريعـة بشـكل خـاص، بقـدر مـا كانـت رشـيقة وقاتلـة، رقصـة باليـه عنيفـة.

صرخ صاحب قناع المبارزة فيَّ: "تحرك..".

انعطفنا في ممر آخر انتهى عند مجموعة من السلالم الحلزونية.

تبعته صاعدًا، ووقع أقدامنا يقرقع على المعدن.

عند القمة، حاول أن يفتح بابًا صغيرًا، لكنه لم يتزحزح.

قال: "أوصده أحدهم. يوجد مخرج آخر، لكننا سنضطر إلى المرور بمزيدٍ من الحراس للوصول إلى هناك".

خطرت لي فكرة، قلت: "انتظر هنا..".

أسرعت عائدًا عبر الممرات، إلى داخل الحجرة التي ضمَّت المحبس. جلست إلى المحطة، وفتحت الشاشة وكتبت اسم المستخدم الخاص بروميرو، الذي كنت أعرفه. ورغم أني لم أكن أعرف كلمة مروره بدقة، فإني من المرات التي درست فيها حركات إصبعه من داخل محبسي، عرفت سلسلة من سبعة عشر احتمالًا لما يمكن أن تكونه.

منحتني محاولتي السادسة إمكانية الدخول.

مررت سريعًا على برنامج واجهة المستخدم إلى أن وجدت بروتوكولًا أمنيًّا يفتح أقفال عدد من الأبواب، منها محبسي ومخزن سلاح ومركز مراقبة وشيء اسمه باب الخروج الصغير.

فتحت قفله، ثم اندفعت عائدًا عبر الممرات.

كان منقذي قد عبر بالفعل. وعندما وصلت أعلى السلم، مد يده إليَّ وجذبني صاعدًا إلى الظلام.

كان الجو قارص البرودة.

عندما تأقلمت عيناي، رأيت أدواتٍ قديمة معلقة على الجدران، عوارض خشبية أعلانا، سلمًا خشبيًّا يؤدي إلى عليَّة مليئة بالقش، جرَّارًا قديمًا.

كان مجمع المحبس مشيدًا تحت حظيرة قديمة.

جرينا نحو باب مفتوح.

توقف الغريب عند العتبة.

أطل خارجًا.

سـطع قمـر لامـع عـلى كل شيء، محـولًا المرعـى أمامنـا إلى لـون أزرق مُشـعٍّ ومخفيًـا النجـوم.

توهَّجت من بعيد أضواء بيت ريفي.

شكَّلت أنفاسي بخارًا في الهواء المتجمد.

سألني: "أيمكنك الجري؟".

أومأت برأسي.

انطلقنـا عـبر العشـب المكسـو بالصقيـع. كانـت أول مـرة ينطلـق فيهـا جسـدي في الخـلاء، ولم أتمكَّـن قـطُّ مـن الجـري بهـذه السرعـة في حيـاتي، شـعرت أني شـاب مـن جديـد، أعـدو بطاقـة لا حـدود لهـا. لم نتوقـف طوال سـتمائة يـاردة، إلى أن بلغنـا سـياجًا أحـاط بالمرعـى، ثـم امتـد فوقـه عـلى طريـق مفـروش بالحـصى واسـتمر مبتعـدًا عـن البيـت الريفـي والحظـيرة ومخـزن الحبـوب.

أحاطت التلال بكل شيء كأنها أمواج سوداء متجمدة.

التمعت مروج أعلى في نور القمر.

ظللـت أسـترق النظـر مـن فـوق كتفـي بينـما كانـت أضـواء البيـت الريفـي تبتعـد.

بعد ربع ميل، وصلنا بوابة ومطبًّا عائقًا للماشية.

تسلقنا البوابة.

توهج في نور القمر طريق ريفي بهت رصيفه.

كان الصـوت الوحيـد المسـموع هـو الريـاح المثلجـة وهـي تخشـخش أوراق الشـجر الأخـيرة في الغصـون فوقنـا، هيـاكل عظميـة لمـا كانـت مـن قبـل أشـجارًا خـضراء. كانـت تلـك هـي المـرة الأولى التـي أخـرج فيهـا إلى

الخلاء منذ ترسخ فيَّ التأثير الكامل لتحسيني، وكنت أكافح كي أمنع هجوم المحفزات من التغلب عليَّ.

عدونا على جانب الطريق. بعد عدة مئات من الياردات، أبطأ الغريب، مشيراً إلى شيء مخفي بعناية حتى إنه استغرق مني لحظة كي أرى ماهيته. في جوف عتمة الغابة المتاخمة، رأيت لمعة المعدن والزجاج والكروم.

انحشرنا في السيارة الجوجل رودستار ذات المقعدين.

عندما انغلقت الأبواب، خلع الغريب قناعه أخيراً، وألقى به هو ومُعدِّل الصوت إلى المقعد الخلفي.

حدَّقتُ عبر لوحة التحكم المركزية إلى أختي.

5

مرّت ثلاث سنوات منذ رأيت كارا لآخر مرة.

وستة شهور منذ تحدثنا لآخر مرة.

ورغم أن أحدنا كان يتصل بالآخر في أعياد الميلاد والكريسماس، كانت عادةً وراء البحار، في مهمة عمل.

بدت أكثر صلابة مما أذكرها، وكانت هناك ندبة جديدة في وجهها لم أرها قط شخصيًّا. كنت أعرف أنها أُسرت منذ بضع سنين خلال واحدة من جولاتها في ميانمار واحتُجزت كأسيرة حرب لعدة أسابيع قبل أن تحررها فرقة إنقاذ، لكن هذا كان أقصى علمي بما حدث، لم نتكلم حقيقةً عن الأمر.

فجأة كنّا نتحرك فوق هامش الطريق قبل أن نصعد إلى متنه.

ضغطت كارا على بدال السرعة.

سرعة مندفعة مجنونة.

طرنا عبر الطريق الريفي دون أضواء أمامية.

ورغم أن رؤيتي الليلية كانت قد تحسنت كثيرًا، لم أكن لأشعر بالراحة حيال القيادة بالسرعة التي اعتمدتها كارا في هذه الطرق الملتفة، مستهدين فقط بضياء القمر، لكنها بدت بارعة تمامًا.

نظرتُ إلى أختي، وقبل أن أنطق بسؤالي، انطلقت هي في الحديث:

"الصيف الماضي، في الشرفة الأمامية لكوخي بمونتانا، لسعتني نحلة" أخذتْ منعطفًا حادًّا بسرعة هائلة حتى إننا كدنا نطير عن الأرض. "كان الألم قصيرًا، بلا تورم، لكن بعد ليلتين، استيقظت بأسوأ حمَّى أصبت بها في حياتي... ملاءات منقوعة في العرق، وهذيان، بعد ثلاثة أيام في المستشفى، استقرت حالتي".

كانت تتكلم بسرعة هائلة.

قلت: "أجروا فحوصات، ولا شيء قاطع".

أومأت برأسها.

- قرروا أنك أصبت بسلالة ما من الأنفلونزا وتعافيت؟

- بالضبط.

أبطأت كارا عندما دخلنا لوراي بولاية فيرجينيا، بلدة ناعسة عند سفح الجبال. كان الشارع الرئيسي ميتًا في هذه الساعة، إشارات المرور تغمز باللون الأصفر عند التقاطعات والقمر ساطع بما يكفي لإضاءة السماء وكشف سور أسود إلى الغرب: جرف شيناندواه.

قالت كارا: "بعد ستة عشر يومًا، كانت تلك المرأة التي التقطتُها في الليلة السابقة تأخذ عصير البرتقال من الثلاجة، وكان اللوح الحاسوبي على النضد الأوسط في المطبخ يعرض الأخبار، التي كانت هي تشاهدها جزئيًّا. بين انتباهها المشتت وكوب الشراب الذي كانت قد وضعته على حافة النضد، رأيت كيف كانت ستغلق باب الثلاجة،

وتلتفت، وبذراعها التي تحمل العصير ستلطم الكوب بكوعها، لم يكن هذا شكًّا، كان أشبه بمعادلة فيزيائية مكتوبة على سطح الواقع لي فقط. كل هذه المتغيرات تشير إلى ناتج حتمي. أرى هذه المعادلات في كل مكان الآن. تكشفت كل هذه العملية من التفكير بينما كنت أقلب فطيرة ورأيتها تمد يدها داخل الثلاجة في انعكاس النافذة فوق حوض المطبخ. ضربت الفطيرة المقلاة، وألقيت أنا الملعقة المسطحة، ومددت ذراعي إلى أسفل، وأمسكت الكوب في منتصف الهواء، قبل جزء من الثانية من انفجاره على البلاط".

- متى لاحظتِ كل التغيرات الأخرى؟

- قبل ذاك، كان إدراكًا دافئًا متدرجًا. لكن في تلك اللحظة، صرخ كل شيء في وجهي مرة واحدة، تركيز أفضل، رؤية ليلية، ذاكرة، نوم أقل، كتلة عضلية متزايدة، قدرة أعلى على تحمُّل الألم.

- وقراءة الناس بطريقة لم تكن بمقدورك من قبل؟

أومأت برأسها.

قلت: "كانت النحلة طائرة بلا طيار..".

ابتسمت كار. "لم تتحلَّل قط".

بعد خمسة وعشرين يومًا من التفاعل مع... بم أدعوهم؟ العاديين؟... كان من الرائع أن أتحاور مع شخص يتحرك ذهنه بنفس سرعة ذهني.

وصلنا قمة جبال بلو ريدج بينما كان الفجر ينفث نَفَسًا أرجوانيًّا بعرض السماء. بزغ الضوء، وامتدت المَرائي نحو الأفق. رأيت الوادي التالي متسربلًا هناك بطبقة خفيفة من الضباب، وأضواء البلدات والمدن تتوهج هناك في البعيد.

قالت كارا: "تصورت أني استُهدفت بنوعٍ ما من التحوير الجيني، فتوجهت رأسًا إليك".

- لماذا؟

- عرفت أن أيًّا من كان وراء هذا، فلا مجال لكونه قد اختارني بالصدفة، كان هذا لأني من آل رامزي... بسبب أمي. لذا إما أن لك علاقة ما بالأمر وإما أنك على قائمتهم أيضًا".

- إذن وضعتيني تحت المراقبة.

- كنت بحاجة إلى فهم نقاط ضغطك في حالة إذا لم ترغب في المساعدة أو حاولت أن تقبض عليَّ. هكذا عرفت أنك استُهدفت مثلي تمامًا، وأن رب عملك يراقبك.

- ماذا وشى إليك بأني أتغيَّر؟

- الشطرنج.

- أنتِ من أرسلتِ الرسالة النصية بأن الجي بي إيه كشفتني؟

- كان واضحًا لي أنك تتغير. وعرفت أنهم سيقبضون عليك في وقتٍ قريبٍ. كان ينبغي لي أن أتواصل معك قبلها.

قلت: "ماما هي من فعلت هذا بنا..".

ساد صمت ثقيل في السيارة.

نظرت كارا إليَّ، حدستُ فيم كانت تفكر.

قلت: "ليست ميتة، تريد أن تُطلق تحسينًا جينوميًّا كبيرًا".

- على من؟

- الجنس البشري.

وبعد ذلك حكيت لها كل شيء.

***

في السابعة والنصف صباحًا، أوقفت كارا السيارة في ساحة صف السيارات الخاصة بنُزُل مابل ليف في مدينة كينجوود بولاية فيرجينيا الغربية.

كان الثلج يهب في دوامات، وبدأت الطرق تكتسي بالصقيع.

ارتدى كلانا قناعي وجه للحماية ونحن نهرول في تلك المسافة القصيرة إلى غرفتنا، مدركين في ألمٍ أن هناك كاميرات مراقبة في كل مكان.

إن برنامج التنصت والمراقبة التابع لوزارة العدل، رغم أنه ليس بالضرورة سرًّا من أسرار الدولة، لم يتم تأكيده للجمهور قط. ورغم أن أغلب الأمريكيين يعتقدون أنهم يعرفون المدى الكامل للدولة الأمنية التي يعيشون فيها، فإنه لا فكرة لديهم عن قوتها الكاملة وتداخلها المتوغل في حياتهم اليومية. لكل مائة شخص في الولايات المتحدة، توجد 48.7 كاميرا مراقبة، ووراءها شبكة حكومية من محركات البحث المميزة للوجوه والمعتمدة على الذكاء الاصطناعي، ويقترن بهذا تآكل عميق في قوانين الخصوصية.

بعد ما حدث ليلة الأمس، سيُجن جنون إدوين كي يعثر عليَّ، رغم أني أشك في كونه أرسل نشرة شاملة إلى وكالات تطبيق القانون الأخرى. ماذا كان ليقول؟ **فرَّ عميل للجي بي إيه كنت أحتجزه بشكل غير قانوني في موقع أسود. بالمناسبة، هو مُحسَّن جينيًّا بشدة و.. أوه، اسم عائلته رامزي.**

لا، سيجري التعامل مع الأمر داخليًّا.

لكن لن يتطلب الأمر إلا نقرة على شريحة لوجهي كي تصدر إحدى الخوارزميات إنذارًا بموقعي.

كان بالغرفة سريران مزدوجان، طاولة صغيرة إلى جوار النافذة، مضخة حرارة قديمة تصدر طنينًا مستمرًا، ديكور من نقوش زهور متشابكة.

استخدمت واحدًا من حواسيب كارا المحمولة لطلب حشوات جلدية، ودفعت ثروة صغيرة لتسليمها بطائرة دون طيار خلال أربع وعشرين ساعة.

ثم انهرتُ على واحد من السريرين. كانت الحشية مليئة بالمنحدرات والمرتفعات، لكن بعد ثلاثة أسابيع في المحبس، بدا الأمر مثل الاسترخاء على سحابة.

قلت: "ما فعلتيه هناك في المزرعة كان لا يُصدَّق، أكنتِ دائمًا بهذه البراعة أم أن هذا تطور جديد؟".

"كنتُ دائمًا مجرمة" ضحكتْ، ولجزء من الثانية بدت أشبه بذاتها القديمة. "أيًا ما كان التحسين الذي نلته فقد زاد من قدراتي".

سألتها: "كيف هو الأمر؟ القتال هكذا".

- هل خضت قتالًا من قبل؟

- مرتين في السجن.

- وكيف أبليت؟

- تلقيت ضربًا مبرحًا.

- حدث بسرعة، أليس كذلك؟

- بسرعة شديدة، تجمَّد جسدي، شعرت أني مشلول.

- والآن، عندما تصل مستويات الأدرينالين لديَّ إلى عتبتها القصوى، يحدث العكس. يتباطأ الوقت حتى يغدو ثابتًا. ألاحظ كل تفصيلة في محيطي. رأيت هؤلاء الرجال قادمين نحوي بنصف

سرعتهم. لقد تعززت قدرتي على قراءة حركات الجسد. أصغر ارتجافة عضلية تكشف عن مقصدهم ذاته. لم يتطلب طرحهم أرضًا مني أي جهد تقريبًا.

طبعًا، لقد مررت بالأمر ذاته.

فكرة أن المخ يسرع عمله خلال المواقف الموترة أسطورة. عندما يخاف المرء، تصبح لوزته الدماغية أنشط، وتلقي بالذكريات الزائدة التي تتزامن مع الذكريات العادية للحياة اليومية. إنها تلك الذكريات الإضافية الأغنى التي تعطي الوهم بتباطؤ الوقت. لكني شككت في أن إحساس كارا -مثلي- بتمدُّد الزمن كان أكثر من مجرد وهم استحضره رد فعل خائف. مع انخفاض قدرتنا على التمرير الحسي، كانت المحفزات تأتي مثل الطوفان خلال لحظات التركيز المكثف. ما دامت عقولنا نجت من طوفان الهجوم، يسمح لنا هذا حقًّا بممارسة التوقع ورد الفعل بسرعة خارقة للقدرات البشرية.

قلت: "لن يتركوا ما حدث يمر، أنت تعرفين ذلك، صحيح؟".

هزَّت كتفيها: "أعرف أننا لسنا قريبين من أحدنا الآخر، لكنك أخي، كنت لأقتل جيشًا من أجلك".

- هل أسرتي بخير؟

- نعم، لكنهم يعتقدون أنك ميت.

كنت أعرف هذا بالفعل، لكن عيني فاضتا بالدمع رغم ذلك.

لم يكن بمقدوري الاتصال ببِث، لم يكن بمقدوري التواصل بأي طريقة وإلا سأعرضها هي وآڤا لاتهامات بالمساعدة والتحريض، وسأجرُّهما داخل هذه الفوضى على نحو أعمق مما تورطا فيه بالفعل بفضل معرفتهما بي.

حاليًّا، كان الأأمن تركهما مستمرتين في الاعتقاد أني رحلت.

المائتا مليون شخص الذين ماتوا بسبب العمل الذي تورطت فيه، وفترة عقوبتي في السجن، وموت والديَّ، وفقد توأمي- كلها أشياء بهتت مقارنةً بهذا، أصعب شيء واجهته في حياتي.

تساءلت كارا: "ماذا الآن؟".

قدَّرت موقفنا سريعًا: لقد استُهدف كلانا، ظاهريًّا على يد أمنا، ولأسباب مجهولة، هذا ليس بالشيء الكثير الذي يمكن العمل به.

قلت: "لست متأكدًا. لكن أيًّا كان ما تخطط له ماما، علينا أن نوقفه".

وبعد ذلك أغلقت عينيَّ ونِمتُ.

***

عندما استيقظتُ، كان الضوء القادم عبر الستائر قد خبا وكانت مياه الدُش تنهمر في الحمَّام. نهضت، ومضيت إلى النافذة، واسترقت النظر خارجًا إلى الغسق المثلج الأزرق.

كانت السيارات في ساحة الانتظار الخاصة بالنُزُل مغطاة بالثلج.

والطرق مغطاة بالثلج.

وأخفى الثلج المتساقط معالم الأبنية في الناحية المقابلة من الشارع.

كانت حقيبة كارا الصوفية السوداء مستقرة على الطاولة.

وكانت مياه الدُش ما زالت جارية.

فتحتُ الحقيبة، ونظرت داخلها.

أربع بنادق، من ضمنها بندقية قناص تشي تاك إم 200، علب من الذخيرة، قنابل يدوية، قيود مضغوطة، عدة حواسيب محمولة،

معـدات مراقبـة، رزمتـان مـن النقـود، ثلاثـة جـوازات سـفر كل واحـد باسـم مختلـف، خمسـة هواتـف لا تعمـل بنظـام تحديـد المواقـع العالمـي.

التقطـت أحـد الهواتـف وحدقـت إليـه، والرغبـة في إرسـال رسـالة إلى بِـث وإخبارهـا أني حـي تـكاد تغلبنـي، لم أسـتطع تصـور الألم الـذي لا بـد أنهـا تعانيـه هـي وآڤـا.

وعندئذٍ حدث شيء غريب.

خفضت مقدار مشاعري.

ربمـا كانـت هـذه قـدرة جديـدة، ربمـا كانـت موجـودة دائمًـا -وأطلـق تحسـيني سراحهـا أخـيرًا- لكنـي وجـدت أن بإمـكاني أن آخـذ الشـعور والتعاطـف اللذيـن شـعرت بهـما نحـو أسرتي وأضعهـما جانبًـا.

كأني أضعهـما في قفـص فـاراداي[1] إلا أنـه بـدلاً مـن حمايتـي مـن المجـالات الكهرومغناطيسـية، عندمـا وضعـت شـعوري داخلـه، كنـت أحمـي نفـسي مـن شـعوري ذاتـه، أو بالأحـرى مـن تأثـيره المسـيطر.

اسـتطعت أن أضـع مشـاعري داخـل هـذا القفـص، عميقًـا داخـل تجاويـف عقـلي.

استطعت أن أغلق الباب.

وبمجهود استثنائي، استطعت حتى أن أوصده.

استطعت أن أتواجد بعيدًا عن هذه المشاعر.

كانـت قـدرة مقلقـة بـدت أشـبه بالغـش، وجعلتنـي أتسـاءل: هـل اسـتهدف ذلـك التحسـين أيضًـا قلـب شـكوى أمـي مـن جينـوم نوعنـا

---

(1) قفـص فـاراداي أو أسـطوانة فـاراداي هـو عبـارة عـن هيـكل فلـزي مصنـوع مـن مـادة موصلـة، يُسـتخدم لعـزل مـا داخلـه عـن المؤثـرات الكهرومغناطيسـية والمؤثـرات الكهربيـة الخارجيـة. وقـد سُـمي قفـص فـاراداي تيمنًـا بمكتشـفه الكيميـائي والفيزيـائي الإنجليـزي مايـكل فـاراداي الـذي قـام باختراعـه عـام 1836.

المعيب؟ هل اكتشفت طريقة لإعادة ضبط التوازن البشري بين العاطفة والعقل؟

انقطع صوت الدُش.

ألقيت الهاتف في الحقيبة من جديدٍ وأغلقتها.

***

أخرجت كارا أحد حواسيبها المحمولة.

كانت معي بيانات دخول روميرو، لكني خفت من أنه بعد لحظة تسجيلي للدخول، ستكون أمامنا ثلاثون دقيقة، وربما أقل، قبل أن يظهر عملاء الوكالة في نُزُلنا.

لذا طوال الساعات التسع التالية، حمَّلت وقرأت خمسة كتب عن هندسة الإنترنت وطُفت عبر العديد من المنتديات حيث كان الناس أكثر من سعداء بتوزيع نصائح "افتراضية" عن كيفية الدخول سرًّا إلى أي خادم من خوادم الحكومة.

في حياتي قبل ذاك، كان الأمر سيتطلب مني شهورًا لاستيعاب هذا الكم من المعلومات الصحيحة والمضللة غير المنظمة، وكنت لأهلك من الملل في أثناء ذلك. لكن قدرتي الجديدة على الاحتفاظ بالتركيز من دون جهد أسعفتني.

اتصلت بالإنترنت عبر شبكة خاصة افتراضية، لم أهتم كثيرًا إن عرفوا أن شخصًا ما دخل خوادمهم ببيانات دخول روميرو، سأنتزع ما أريد قبل أن يواتيهم الوقت للقيام برد فعل. فقط كان يجب ألا أجعلهم يعرفون أنه جرى الدخول إلى خوادمهم من كينجوود بفيرجينيا الغربية.

بالإضافة إلى تأمين الاتصال بين حاسوب كارا المحمول والخوادم، ستحجب الشبكة الخاصة الافتراضية عنواني وموقع بروتوكول الإنترنت...

لبعض الوقت. كل ما تبقّى هو أن أقوم بتبادل رئيسي غير مُكتشَف، وهو ما نفّذته بمساعدة من خوارزميات الشبكة السوداء.

كان هناك ملف واحد بعنوان "رامزي، لوجان".

عندما بدأت أطالع ملفي في الجي بي إيه، ارتدت كارا معطفها الصوفي وقناع وجهها وغادرت الغرفة لتأتي لنا ببعض الطعام الذي كنّا في أمسّ الحاجة إليه.

احتوى الملف نتائج فحصي بجهاز كشف الكذب (تجاوزته بنجاح)، الاختبارات التي أجراها د. روميرو، سجلًا بأنماط نومي، مخططات تغذية، ملاحظات المراقبة من إدوين وروميرو تقدم تفاصيل لكل تفاعل بيننا، سجلات طبية من فترة إقامتي في مستشفى دنفر ومن طبيبي الباطني في واشنطن، ملاحظات الطبيبة النفسية في جلساتنا الثلاث، التسجيلات الصوتية والمصورة في أثناء مراقبة بيتي في أرلينجتون.

لكني كنت مهتمًا في الأساس بملف تغيراتي الجينومية.

كان ملفًا ضخمًا.

عندما فتحت تحليل شفرتي الجينومية، طَفَت مرة أخرى تلك الفكرة في فقاعة، همسة في أعمق تجاويف عقلي:

لم تفعل أمي شيئًا قطُّ من دون سببٍ.

لو كانت تريد فقط أن تخيف الجي بي إيه، فليس هناك معنى في تحسين كارا أيضًا. ولعلّها لم تستطع أن تعتمد على تغيير سياسة الجي بي إيه، أرادت أن تخيفهم، ربما، لكنها لم تكن لتكشف أوراق لعبها من أجل هذا فقط. لا بد أن هناك شيئًا آخر، نهاية ما للعبة لم يكن إدوين والآخرون يرونها.

لديها خطة من أجلنا، وهو ما يعني أنها في مكان ما، بطريقة ما، قد تركت مسارًا من فتات الخبز وراءها، إشارة ما لما ينبغي لنا

أن نفعلـه الآن. كنـت أطالـع صفحـة بعـد صفحـة مـن تحليـلي الجينومـي (ثلاثـة مليـارات حـرف) وكان غمـوض اللحظـة لا يمكـن إنـكاره، كنـت واعيًـا بـأني أقـرأ تعليـمات خلقـي.

توقفت.

حدقت فقط إلى الشاشة.

ثمة وخز لفكرة تطفو على السطح.

سـمعت طرقـة عـلى البـاب، شـعرت بطعنـة ذعـر مـن أن تكـون الجـي بي إيـه قـد تتبعتنـي بطريقـة مـا. لكـن لا، لم تكـن الجـي بي إيـه لتطـرق البـاب، سـتطيح بـه تمامًـا.

نظـرت مـن ثقـب البـاب، ورأيـت كارا واقفـة في الثلج، حللت السلسـلة، وتركتهـا تدخـل. كان الصـوف الأسـود لمعطفهـا قـد اكتـسى بالثلـج، وابتـلَّ شـعرها، وكانـت تمسـك بكيسـين ورقيـين، ألقتهـما عـلى سريـري.

"كوكتيل غريب من محطة الشحن، الشيء الوحيد المفتوح".

نبشـتُ في محتويـات كيـسي البقالـة: وجبـات سريعـة، ساندويتشـات، لفائـف بوريتـو.

سألتني: "هل أحرزتَ أي تقدم؟".

- ليـس كثـيراً، لكـن عنـدي فكـرة (فتحـتُ كيـس شـيبسي والتهمـت بضـع حفنـات)، هـل كنـت تعرفـين مـن قبـل أن بإمكانـك كتابـة كلـمات في الحمـض النـووي؟

- لا.

- وفقًـا لسـعة تخزيـن البيانـات، كثافـة المعلومـات لـدى الحمـض النـووي أكـبر مليـون مـرة مـن أي قـرص تخزيـن بيانـات عـادي.

- أتعتقد أن ماما تركت رسالة في حمضنا النووي؟

- لا أعرف، ربما.

بدا على كارا الارتياب الشديد.

- ألا يبلغ طول شريطنا الوراثي ثلاثة مليارات حرف.

- هو كذلك.

- إذن سيكون العثور على رسالة من ماما فيه هو بالقطع كالبحث عن إبرة في كومة من القش.

قلت: "بل أشبه بالبحث عن ذرَّة معينة على إبرة في بحر من الإبر..".

عدت للجلوس إلى الحاسوب المحمول.

سألتني: "إذن من أين نبدأ؟".

- لو أردت أن أكتب رسالة في شفرتك الجينية، لا يمكنني أن أفعل ذلك في أي مكان هكذا.

- لماذا؟

- لأني قد أتلف شيئًا حيويًا، يتوقف عضو ما عن العمل فجأة، أو تتسبَّب الطفرات الجينية في إصابتك بالسرطان أو التصلب الجانبي الضموري. لو فعلت ماما هذا بنا -وهو ما زال احتمالًا إلى حدٍّ كبيرٍ- فربما ستُدخل رسالتها في ملاذ جيني آمن.

كان بمقدوري تمييز أنها لا تملك أي فكرة عمَّا أتحدث عنه.

قلت: "فكري في أجسادنا كبرنامج حاسوب بيولوجي هائل. لو قفزت داخله وبدأت تعبثين بالشفرة، قد يتعطل شيء مهم. الملاذات الآمنة هي مناطق طبيعية للجينوم اكتشف العلماء أن بمقدورها أن

تستوعب دمج مادة جينية جديدة من دون إيذاء الجينات الأخرى أو التسبب في تحورات ضارة للجينوم المضيف".

بدأت أكتب على الحاسوب: «أعتقد أني سأكتب استفسارًا عن كل المواقع التي تغير فيها شريطي الوراثي، لكني سأقصر نتائج البحث على مناطق الملاذات الآمنة المفترضة، سيقلل هذا من الأمر بشكل كبير».

استغرق الأمر مني بضع دقائق لبناء لغة الاستعلامات المهيكلة للبحث في قاعدة البيانات. ولأننا كنَّا نعمل على حاسوب محمول بدلًا من حاسوب فائق، شككت في أن نتائج البحث ستستغرق بعض الوقت قبل أن تظهر.

جلسنا أنا وكارا على السرير، نلف بعض ساندويتشات البوريتو المجلوبة من محطة الشحن.

بعد ساعة، تلقينا تقريرنا الأول.

بعد حادثة دنفر، تغيَّر شريطي الوراثي في عدة ملاذات جينية آمنة موثقة جيدًا، تتضمن AAVS1، SHS231، hROSA26، CCR5.

طلبت تقريرًا عن كل منطقة حمض نووي لإلقاء الضوء على مدى التعديلات التي تمَّت.

CCR5 عبارة عن بروتين على سطح كرات الدم البيضاء، منخرط في النظام المناعي. حدثت تعديلات واسعة في هذا البروتين لديَّ، لم أستطع أن أحدد ماذا كانت، لكن جرى إدخال ما يصل إلى 89 كيلو بايت من الأزواج القاعدية، ما يساوي رواية فعلية من الشفرة.

بعد ذلك، فتحت التقرير المتعلق بالتغيرات في AAVS1، ذلك المسافر الجينومي الجوَّال القديم عديم الضرر، والموقع المثالي لإضافة الحمض النووي من دون أذى.

هـه، ملـت إلى الأمـام. كانـت التغيرات في AAVS1 ضئيلـة؛ خـط قصـير مـن شـفرة جينيـة جديـدة دخلـت عـلى الـذراع الطويلـة للكروموسـوم رقـم 19.

خط طوله 156 زوج قاعدي فقط.

ربما اثنان وخمسون شفرة وراثية لو ترجمناه إلى بروتين.

ووفقًـا لقـراءات التسلسـل الجينـي، أُدخلـت الشـفرة في الجينـوم بـكل خليـة في جسـمي، عمـل فـذ صعـب، عمـل غـير عـادي. ورغـم أن الشريـط الـوراثي كلـه متضمَـن في كل خليـة في الجسـم، فـإن حصـص تلـك الشـفرة التـي تعـبر عنهـا كل خليـة بشـكل فعـلي تتحـدد بوظيفتهـا البيولوجيـة المتخصصـة. تحتـوي كل خليـة في جسـد المـرء التعليـمات الخاصـة بلـون عينيـه، لكـن التدخـل بنظـام سـايث لتعديـل لـون العينـين سيسـتهدف فقـط الحصـة الضئيلـة مـن الخلايـا المؤثـرة فعليًـا عـلى صبـغ القزحيـة.

إذن لماذا يجري استهداف الخلايا كلها؟ لجعل الأمر حتميًّا؟

قلت: "ربما ذلك..".

حدقت كارا إلى التسلسل الجديد للحمض النووي.

ث س س س س س س ج أ س س س ج أ س س س س س أ س ج
س أ س س ج س أ س س س ث س س ث ج ث ج ج ث س أ
س س ج س أ س س س أ س س س ج ج ج أ س س س س أ س
ج ج ج ث س س س س س س س س س س س س س س س س
س س س س س ج أ س س أ س س س ج أ س س ج س أ س س
ج س أ س س س س ث ج ج ث ج س ج ج ث س ج ج ث
س ج ج ث س ج ج أ س س س س ج ج ج أ س أ س س س س

سألتني: "أتعتقد حقًّا أن هذه الحروف تشكِّل رسالة؟".

- ربما، تعديل الملاذ الآمن الآخر تضمَّن إدخالًا لنحو مائة كيلو بايت، ستكون تلك رسالة طويلة جدًا. هذه الرسالة أقصر من أن تكون جينًا جديدًا، والبروتين الذي تشير إليه لا معنى له.

- ماذا بعد ذلك؟

- يمكن قراءة الحمض النووي في اتجاهين، وهناك ثلاثة أطر للقراءة في كل اتجاه. سأفترض، حاليًّا، أن هذا يتبع تقاليد عمليات الإدخال، وهو ما يعني أنه ينبغي لنا أن نقرأها من اليسار إلى اليمين، لذا علينا الآن أن نتوصل إلى طريقة لتحويل الرسالة البيولوجية إلى رسالة بشرية.

- أي أفكار؟

- ولا واحدة.

***

كان موت أخي أول صدع في هوة ستبتلع عائلتنا كلها. كنت في الثالثة عشرة، وبعد عامين، انتحر أبي في صباح ضبابي على قمة جبل مونت ديابلو، شرق منطقة خليج سان فرانسيسكو. ورغم كل الخسارات التي عانيتها بالفعل، كان قيام أمي بتزوير انتحارها لاحقًا أمرًا من المتعذر فهمه بالنسبة إليَّ.

بعد رحيل أبي، تركت كارا الدراسة في جامعة كورنيل، حيث كانت تسعى إلى نيل درجة في تكنولوجيا المعلومات، وتطوعت في الجيش؛ انضمَّت إلى القوات الخاصة. وقتها كان كل ما قالته: "أريد أن أفعل شيئًا بالفعل".

عندئذٍ لم يكن هناك غيري أنا وميريام، إلى أن أطلق جرادنا بالخطأ مجاعة ضربت العالم.

وبعد موت أمي وسجني، كنت أنا فقط.

كل هذا جعل من الليلة شيئًا خاصًا. رغم أن الظروف كانت أقل من أن توصف بالمثالية، فإن سنين مرّت منذ كان عليّ أن أقضي الوقت مع أختي الكبيرة.

تناولنا كمية من الطعام الجيد والسيئ على سريرينا وتحدثنا، كانت قد قابلت بِث وآقا مرتين فقط، وحكيت لها كل شيء عنهما، حكت لي عن حياتها في مونتانا.

ذهبت إليها هناك مرة واحدة مع نادين. كنّا قد توقفنا قرب كوخ كارا بعد هجوم في مدينة هيلينا، جلسنا في شرفتها الأمامية ننصت إلى الأيائل وهي تثغو عبر الوادي. كان الوقت صيفًا، ليلة لطيفة الحرارة، والسماء منيرة بالنجوم، تحدثنا عن الحياة والعمل والعائلة، كان لطيفًا أن أرى انسجام نادين مع أختي.

لقد شعرت بهذا تلك الليلة وشعرت به هذه الليلة - وجودي مع أختي يطفئ ظمأ تطوريًا، حاجة أولية جينية إلى الانتماء إلى قبيلة.

كانت الإنسانة الأخرى الوحيدة التي تفهم فعلًا ما أمرُّ به من تحوُّل، وهي أيضًا الإنسانة الوحيدة التي تفهم حقًّا ماضيّ.

سألتها: "هل فكرت أبدًا من قبل الاستقرار؟".

- أطفال؟ زوجة؟

- شيء كهذا.

سألتني: "هل يزعجك أني وجدت طريقًا مختلفًا للسعادة؟".

- تفترضين أني أعتقد أن الأطفال والزواج يساوون السعادة، الارتباط؟ طبعًا. السببية؟ لا. هل أنت سعيدة؟

- قبل كل هذا، كنت سعيدة كما كنت دائمًا. عشت في كوخ بنيته على ارتفاع سبعمائة قدم في الجبال أعلى شاهد صخري.

كنـت أتزلـج في الشـتاء، وأصيـد السـمك بالشـص في الصيـف، وأصيـد الحيوانـات في الخريـف. أنـت جئـت إلى هنـاك ورأيـت.

قلـت: "أتمنـى لـو رأينـا بعضنـا أكـثر، كنـت لأود أن أكـون جـزءًا مـن حياتـك بشـكل أكـبر".

- يـا صاحبـي، أنـا لم أعـد الأخـت الأكـبر التـي اعتـدت أن تلعـب معهـا الغميضـة وتبنـي معهـا الحصـون بالمكعبـات.

- من تكونين؟

"الآن؟ هـذا سـؤال شـيق. قبـل أن تلسـعني النحلـة، اعتقـدت أني امـرأة تبحـث عـن السـلام في مـكان خـاص بي"، ثـم نظـرت إليَّ بطريقـة غريبـة. "تريـد أن تعـرف، أليـس كذلـك؟" كانـت الندبـة تمتـد مـن الركـن الخارجـي لعينهـا اليـسرى وتتعـرج أسـفل خدهـا إلى طـرف ذقنهـا. لمسـتها وقالـت: "حمـض الهيدروكلوريـك" وابتلعـت ريقهـا ثـم أكملـت: "كان معسـكرًا تدريبيًـا في ولايـة كاشـين، عاليًـا في سـفوح الهيمالايـا، جئنـا ليـلًا، كانـت لديهـم أجهـزة مراقبـة بالأشـعة تحـت الحمـراء واصطـاد قناصوهـم الجميع إلاي. قامـوا بتثبيتـي، لم يـروا مـن قبـل جنديـة أنثـى في القـوات الخاصـة، كنـت بدعـة جديـدة نوعًـا مـا بالنسـبة إليهـم.

احتُجـزت في قفـص معـدني يكفـي بالـكاد لوقـوفي، وكنـت مغـماة العينـين أغلـب الوقـت، عرّضـوني لأربـع عمليـات إعـدام وهميـة، وأسـوأ مـن ذلـك، أسـوأ بكثـيرٍ".

تحركت نحو سرير أختي وجلست أمامها.

حاولت أن أمسك يدها، لكنها سحبتها.

- كان أحدهـم يتحـدث الإنجليزيـة، وُلـد وتعلّـم في لنـدن. تحدثنـا ثـلاث مـرات، في المـرة الأخـيرة، سـألته كيـف أمكنـه أن يفعـل الأشـياء التـي كان يفعلهـا بي. بالنسـبة إلى الآخريـن هـم يحرقـون

ويُغرقـون ويرجمـون ويقطعـون الـرؤوس، أمـا هـؤلاء فهـم بوذيون في النهايـة. شيء مختلـف أن تعـذب وتقتـل باسـم إلـه تعتقـد أنـه خلـق الكـون، لكـن معتقـد هـؤلاء الأسـاسي أنـه لا يوجـد شيء ثابـت، لا شيء دائـم، مفـترض بهـم أنهـم يؤمنـون بالقضـاء عـلى المعانـاة.

- وماذا قال؟

- كان لديـه أرق صـوت، صـوت عـذب إلى حـدٍّ كبـيرٍ، قـال: أحيانًـا يكـون عليـكِ أن تسـببي المعانـاة كي تقـضي عـلى المعانـاة.

وصمتت لبرهة.

لم يكـن هنـاك إلا صـوت تليفزيـون في غرفـة مجـاورة يتـسرب عـبر الجـدران النحيلـة، قاطعتـه مضخـة الحـرارة في غرفتنـا مـرة أخـرى.

تسـاءلت في نفـسي إن كانـت ذاكرتهـا تعـزَّزت كذاكـرتي. كان لـدي الكثـير مـن اللحظـات المظلمـة في مـاضيَّ والتـي يمكننـي الآن أن أعيشـها مـن جديـدٍ باكتـمالٍ وحـشي، لكـن لا شيء يشـبه مـا وصفتـه لي للتـوِّ.

قلت: "أنا آسف جدًّا لما حدث لك..".

- وأنا أيضًا.

- أما زلت على اتصال بالناس الذين أنقذوكِ؟

ابتسمت كارا: "هم بعض أفضل أصدقائي".

***

أيقظتنـي أصـوات السـارينات في منتصـف الليـل، وعندمـا هرعـت إلى النافـذة، جذبـت كارا بندقيتهـا الآليـة مـن تحـت سريرهـا.

عـبر النافـذة المكسـوَّة بالثلـج، راقبـت عـددًا مـن سـيارات الشرطـة الكهربيـة وسـيارة إطفـاء تتسـابق عـلى الطريـق الرئيـسي. ورغـم أن قلبـي

كان يـدق بشـدة مـن رد فعـل الخـوف الغريـزي، فـإن الجـزء التحليـلي الأبـرد مـن عقـلي همـس لي بأنهـم لـن يأتـوا بسـيارة إطفـاء للقبـض عـليَّ، ولـن تكـون هنـاك بالتأكيـد سـارينات قادمـة.

اقتربت كارا من ورائي.

قلت: "ليسوا من أجلنا..".

عـدت إلى سريـري وأطفـأت الأنـوار، تـاركًا عقـلي يقـوم بتركيـب ذلـك التسلسـل للحمـض النـووي عـلى السـقف ذي الطـلاء الحبيبـي.

ث س س س س س س س ج أ س س س ج أ س س س أ س ج
س أ س س ج س أ س س س ث س ج ث ج ج ث س أ
س س ج س أ س س س أ س س س ج ج ج أ س س س س أ س
ج ج ج ث س س س س س س س س س س س س س س س
س س س س س ج أ س س أ س س س ج أ س س ج س أ س س
ج س أ س س س س ث ج ج ث ج س ج ج ث س ج ج ث
س ج ج ث س ج ج أ س س س س ج ج ج أ س أ س س س س

كان هنـاك شيء يزعجنـي حيالـه، شيء يحـدق إلى وجهـي وأعجـز عـن فهمـه.

أجريت تحليل تردُّد في ذهني.

اثنا عشر ث.

تسعة عشر أ.

اثنان وتسعون س.

ثلاثة وثلاثون ج.

تسلسل غني جدًّا بالسينات.

وهل كانت هذه الأرقام ذات دلالة؟

تركتها تنجرف عبر ذهني مثل غيوم في نهار صيفي. راقبتها. 12، 19، 92، 33، 12، 19، 92، 33، 12، 19، 92، 33. قلبتها: 21، 91، 29، 33، 21، 91، 29، 33. كان التسعة عشر رقمًا أوليًا، تلاعبت بهذا للحظة، لكن بلا جدوى.

***

انفتحت عيناي فجأة.

كان الوقت صباحًا.

غطّت كارا في نومها قليلًا.

لا بد أن عقلي كان يعالج المشكلة بينما كنت نائمًا، لأني عرفت ما كان يزعجني بشأن التسلسل.

لم تتكرر الثاءات والألفات قطُّ.

قفزت من السرير، أضأت النور، ذهبت إلى الطاولة، التي كانت مغطاة بصفحات من المحاولات الفاشلة لفك الشفرة - إن كانت شفرة أصلًا.

فردت الإيصال الذي جلبته كارا من محل البقالة وكتبت تسلسل النيوكليوتيدات من الذاكرة، مزيلًا المسافات بين الكوندونات وواضعًا خطًّا تحت الثاء والألف.

ث س س س س س س س ج أ س س س ج أ س س س أ س ج س أ س س
ج س أ س س س س ث س ث س ج ث ج ج ث س أ س س ج س أ س س
س أ س س س ج ج ج أ س س س س أ س ج ج ج ث س س س س س س
س س س س س س س س س س س س س س س س ج أ س س س ج أ س س
س أ س ج س أ س س ج س أ س س س س ث ج ج ث ج ث س ج ج ث
س ج ج ث س ج ج ث س ج ج أ س س س س ج ج ج أ س أ س س س

تمتمت كارا من السرير: "ماذا تفعل؟".

قلت: "ثانية واحدة..".

لو قصدت أمي أن تبعث إليّ برسالة عبر شفرتي الجينية، كانت لديها مشكلة يجب أن تتغلب عليها، كيف تتواصل باستخدام أربعة رموز فقط؟ وكيف تنشئ شفرة بـ أ، س، ج، ث لا يمكن أن يكتشفها إلا شخص يبحث عنها؟

اقتربت كارا، ووضعت يدها على كتفي.

رفعت عيني إليها وقلت: "ماذا لو لم تكن الثاءات والألفات تمثل بالفعل حروفًا أو رموزًا أخرى؟".

- ولِمَ لا؟
- لأنها لا تتكرر أبدًا. ربما الغرض منها الإشارة إلى بداية كلمة أو..." وفجأة، رأيت كيف أنشئ شفرة بديلة بناء على حروف الحمض النووي الأربعة، "يا إلهي!".
- ماذا؟

قلت: "لو أنشأتِ هذه الشفرة، ما الوحدتان الأساسيتان للتواصل الضروريتان كي تشير إليهما هذه الشفرة؟".

- الأرقام والحروف.
- ماذا لو أن الثاءات والألفات تشير إلى ما سيكون عليه الرمز التالي؟ أحدهما -الألف ربما- يعني أن الرمز سيكون رقمًا، والثاء تعني أنك يجب أن تمضي خطوة أخرى وتترجمي الرقم إلى حرف أبجدي.
- تقصد أن واحدًا يساوي أ، واثنين يساوي ب، وهكذا حتى نهاية الأبجدية؟

- تمامًا.

تساءلت كارا: "إذن حروف الجيم والسين تمثِّل أرقامًا؟".

- هكذا كنت لأفعلها. ولو كان لديَّ فقط رمزان كي أكتب بهما أي رقم، كنت لأستخدم شيئًا مثل نظام الأرقام الرومانية، لنفرض أن ج تساوي خمسة، وأن س تساوي 1، أو العكس، انظري إلى التسلسل الأول.

كتبت: ث س س س س س س س ج.

"افرضي أن ث تعني أن س س س س س س ج تكوِّن رقمًا. يمكن أن يرمز التسلسل إلى اثني عشر أو ستة وثلاثين، أو يمكن أن تشير الثاء إلى أن التسلسل يشكِّل حرفًا، ما يعني أن نقوم بعملية أخرى لنحصل على حرف من الأبجدية. فليكن حرف اللام أو... انتظري، لا" تفحصت الشفرة مرة أخرى، مبتسمًا الآن: "نعم، لو أن نظريتي صحيحة، فأنا أعلم ماذا تكون السين والجيم، ج يعني واحد، س يعني خمسة".

- متأكد؟

- انظري إلى التسلسل الثاني: أ س س س ج. لنفترض أن س يساوي واحدًا، لن تكتبي رقم ثمانية بهذه الطريقة بالأرقام الرومانية، ستكتبينه ج س س س.

- إذن ج يساوي واحدًا، سين يساوي خمسة.

- لنفترض ذلك حاليًا، ما يعني أن السؤال البارز الوحيد هو: إلام يرمز الثاء والألف؟ بناء على افتراضنا أن الجيم واحد والسين خمسة، يجب عليَّ فقط أن أحل هذه الشفرة كما لو أن الثاء تمثِّل حرفًا، والألف رقمًا، وبعد ذلك أقوم بعملية التحويل.

قالت: "لا يمكن أن تشير الثاء إلى حروف..".

نظرت إلى التسلسل الأول مرة أخرى: "أنتِ على حق" سبع سينات تتبعها جيم واحدة تساوي ستة وثلاثين، أعلى من أن تتطابق مع أي حرف من حروف الأبجدية.

صنعت إبريقًا من القهوة، وبينما كانت تغلي، ألقيت نظرة على الخارج مرة أخرى عبر الستائر، كان الثلج قد توقف، الساعة الثامنة صباحًا، والمدينة تستيقظ.

عدت إلى الطاولة وبدأت عملية تبديل النيوكليوتيدات، جاعلًا الثاءات تشير إلى أرقام، والألفات تشير إلى حروف.

تحولت الرموز التسعة الأولى إلى رقم 36.

وشكلت التسلسلات الخمسة التالية كلمة: نقطة.

أسرعت بتبديل البقية.

36 نقطة 5625 شمال 106 نقطة 217777 غرب

- كارا، حللتها.

أخذتُ رشفة من القهوة بينما اقتربت كارا وحدقت إلى شاشة الحاسوب.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قالت: "إحداثيات؟".

- نعم.

جذبت مقعدًا إلى جواري، ووضعت الحاسوب المحمول أمامها، وفتحت محرك بحث.

داخل مربع الاستعلام كتبت: 36.5625 ش، 106.217777غ.

ملنا نحو الشاشة، منتظرين تحميل الصورة التالية.

ظهرت خريطة.

التصقت أيقونة رأس الدبوس لنظام الجي بي إس ببقعة خضراء.

قلت: "لا يمكنني تحديد هذا المكان..".

قرَّبت كارا الصورة.

إلى أن أبرزت الشاشة كلمات (غابة كارسون الوطنية).

قرَّبت كارا الصورة أكثر، وأخيراً، رأيت اسمًا ميزته:

سانتا في.

كانت الإحداثيات تشير إلى غابة وطنية على بُعد نحو ثمانين ميلًا شمال-شمال غرب من سانتا في، نيو مكسيكو.

صغَّرنا الصورة من جديد عائدين إلى مؤشر تحديد الأماكن، وغيَّرنا الشاشة إلى رؤية القمر الصناعي. كانت صورة فائقة الدقة لأشجار دائمة الخضرة بها القليل من الذؤابات الصفراء التي أشارت إلى شجر الحور الرجراج.

حركتُ الصورة حركة دائرية، باحثًا عن شيء، أي شيء، مثير للاهتمام.

قالت كارا: "أرى أشجارًا فقط..".

- وأنا مثلك.

- ما هي احتمالات أن تكون هذه الشفرة ألقت بأرقامٍ عشوائية تصادف فقط أن تكون إحداثيات جي بي إس لمكان حقيقي؟

- احتمالات ضيئلة للغاية، لقد أوضحت النقطة والغرب والشمال.

- لكن هذا موضع ضائع في اللا مكان، لا أرى أي مبانٍ أو بنية تحتية.

- قد يكون هناك شيء فاتَنا في الظلال، أو ربما هي فقط صورة قديمة.

نظـرت كارا إلى الإحداثيـات مـرة أخـرى: "ثانيـة واحـدة مـن خـط العـرض تسـاوي مائـة وواحـد قـدم، ثانيـة واحـدة مـن خـط الطـول تسـاوي ثمانـين".

قلـت: "هـذه الإحداثيـات لا تحيـط إلا بثمانيـة آلاف قـدم مربـع، ليسـت مسـاحة كبـيرة".

تساءلت كارا: "ما هذا؟".

- لا أعـرف، أتريديـن أن ننطلـق في رحلـة بالسـيارة إلى نيـو مكسـيكو ونكتشف؟

ومـض حاسـوب كارا بإنـذارٍ، لقـد تركـت طائـرة مـن دون طيـار للتـوِّ عبوتـين مـن الحشـوات الجلديـة أمـام بـاب غرفتنـا بالنُـزُل.

***

قصصـت وصبغـت شـعري في حـوض الحـمَّام، تحـوَّل إلى اللـون أسـود، مفارقًـا الرمـادي الـذي صـار إليـه بعـد أن أتممـت الأربعـين. وبعـد أن قضيـت مـن غـير قصـد أكـثر مـن ثلاثـة أسـابيع مـن دون حلاقـة منـذ سـجني في المزرعـة، صـارت لـديَّ لحيـة لطيفـة مـا زالـت تحتـوي مزيجًـا مـن الأبيـض والرمـادي والأسـود، صبغتهـا كلهـا بالأسـود كي تتوافـق مـع الشـعر.

سيسـاعد تغيـير لـون الشـعر عـلى إخفـائي عـن أعـين البـشر، لكـن كامـيرات المراقبـة وعـالم الطائـرات مـن دون طيـار حاملـة برامـج تمييـز الوجـوه لا تقـوم بالمسـح بحثًـا عـن علامـات مميـزة عاديـة مثـل لـون الشـعر أو العـين، شـكل العـين وشـحمة الأذن، المسـافة بالمليمـتر بـين طـرف عـين وطـرف فـم، بنيـة العظـام.

حضرت حلقتين دراسيتين حول تقنيات تمييز الوجوه الناشئة في السنوات الخمس الأخيرة، وصارت لديَّ الآن قدرة على الوصول إلى كل كلمة في خريطة ذاكرة عقلي.

استخدمت كُحلًا شبه دائم لمد طول عينيَّ بشكل مصطنع ولخلق الوهم بأنهما أكبر وأقرب.

على عكس البوتوكس (سم عصبي يسبِّب شللًا هازمًا للتجعدات في المناطق المستهدفة من الوجه)، كانت الحشوات الجلدية تملأ ببساطة المساحات الفارغة بسبب التقدم في العمر بمادة رخوة جيلاتينية تُحقن تحت الجلد.

مقارنةً باختراقي السري لخوادم الجي بي إيه، كانت إحاطتي بخصال الحشوات أكثر رعبًا بكثير. وفقًا لمخاطر خاصة بتعقيدات جمالية وصحية، جرى التحذير من الحقن الذاتي مرارًا وتكرارًا.

شاهدت كل فيديو تعليمي استطعت أن أصل إليه، مع التركيز على المرضى الباحثين عن تغيرات دراماتيكية في ملامح الوجه، درست كيف كان الأطباء المحترفون يمسكون الإبر، وأي المنتجات يُوصى بها لأي الملامح، وجرعات الحقن المناسبة، ومواقعه.

وحان الوقت أخيرًا.

أعددت الإبر وحقنت نفسي في نثرتي (الشق العمودي بين قاعدة أنفي وحافة شفتي العليا) وحواجبي وشحمتي أذنيَّ، وفي زوايا فمي.

لم يبدُ أن أي حقن مفرد صنع فارقًا كبيرًا، لكن التأثير التراكمي كان عميقًا .

حدقت إلى النتيجة النهائية منعكسة في مرآة مشروخة في غرفة النُزُل.

لم أبدُ شبيهًا لذاتي، ورغم أني لم أكن لأشعر بالراحة لو خاطرت بمواجهة الأمن المشدد ونظم المراقبة في مطار أو محطة قطار، شعرت

بالثقـة بـأن في إمـكاني الذهـاب مـن دون أن يكشـفني أحـد إلى حيـث كان يجـب أن نكـون أنـا وكارا.

أخيراً ناديت أختي: "لقد انتهيت! مستعدة لتغيير وجهك؟".

6

وصلنـا إلى مدينـة سـانت لويـس مـع حلـول الليـل، أوقفنـا السـيارة في محطـة شـحن، وخرجنـا بحثًـا عـن مطعـم مفتـوح وسـط كل واجهـات المحـال المغلقـة.

كان الأثـر الأخـير لقـوس البوابـة -بـرج مائـل ارتفاعـه سـبعون قدمًـا ملفـوف في قـشرة مـن الفـولاذ المقـاوم للصـدأ- يومـض في ضـوء الشـمس الغاربـة. كان قـد دُمـر في عاصفـة منـذ سـبع سـنين، وبـدلًا مـن إعـادة بنائـه، رأى المحافـظ أنـه مـن الأفضـل إنفـاق هـذه الملايـين عـلى قسـائم الطعـام والمسـاعدات لأحيـاء سـانت لويـس الأخـرى التـي دمرتهـا العاصفة.

وجـودي في العـالم بعـد مـا حـدث لي مـن تحسـين كان خـبرة مذهلـة، تشـبه مـا تخيلـت أن يكـون عليـه الحـال عنـد رؤيـة الألـوان لأول مـرة.

كل شيء أوضح وأكثر سطوعًا، والتناقض بين الدرجات أعلى.

اجتذبني الناس على نحو خاص.

مررنا بعازف جوَّال ينوح على آلة الساكسفون، ولم أستطع التوقف عن التعامل مع كل تفصيلة ضئيلة: بقع الشمس على وجهه، معدل تنفسه، ملابسه، القبعة الرثة المقلوبة طلبًا للعطاءات، وفرة ندوب الشظايا بامتداد رقبته، كيف كان يفضل ساقه اليسرى بطريقة أشارت إلى إصابة قديمة -استطعت فعليًا أن أرى انفجار القذيفة الذي تلقَّاه في جانبه الأيمن، وكان هذا قبل أن أميز جزءًا من وشم يطل من تحت كم قميصه الأيسر، هلب من شعار مشاة البحرية الأمريكية المكون من نسر وكرة أرضية وهلب- وفجأة تجسد بورتريه للرجل. لقد حارب في أوكرانيا، وجُرح، وعاد إلى الوطن لتستقبله هيئة شؤون المحاربين القدامى البائسة، بمعاشها الهزيل، ورعايتها الصحية التافهة، و...

مرَّت امرأة ترتدي فستانًا أحمر ضيقًا، وحذاءً عالي الكعبين، ونظارة شمس، وثمة انشداد متوتر في وجهها: خدان مسحوبان، تسارع في نبضات القلب، آثار دموع ممسوحة. منذ تسع عشرة ثانية، رأيتها تخرج من حانة في مربع المباني التالي، حيث انتهت علاقة من نوع ما للتوِّ.

كان الصراع الحقيقي متمثلًا في مقاومة الغرق أمام هجمة المحفزات الجديدة. بعيدًا عن الناس، كان تعقيد المدينة دائمة التغير -زوارق بخارية، طائرات من دون طيار، حركة المشاة، الحركة الجوية، الحركة البرية- كل شيء يتنازع تركيزي وفضولي، متحديًا إياي أن أستوعب الأنماط الجديدة، أن ألاحظ أشياء لم ألاحظها من قبل.

بالطبع، كانت هذه مسألة بوابات التمرير الحسي.

لم يكن الأمر متعلقًا بتخفيض الحجم لكن بتعلُّم التعامل مع كل شيء في ذات الوقت، بتعلم أن أعيش وأتنفس وأنا أستوعب **كل شيء**.

شعرت بفضول لا نهائي.

المطعم الوحيد المفتوح كان مكانًا يقدم البيتزا المطهوة على الحطب. إطلالة على نهر المسيسبي والجسور السبعة التي وصلت بين ضفتي النهر في المنطقة القريبة من وسط المدينة.

أكلنا بسرعة، متلهفين كي نعود إلى استكمال طريقنا.

***

جاء الآن دوري في القيادة.

سلكنا الطريق السريع آي-44 عبر ميسوري عندما هبط الليل.

شعرت بالسعادة لأني أقود في الظلام، بوجود محفزات أقل تجذب انتباهي بعيدًا عن الطريق.

نامت كارا قبل مرور ساعة، وعندئذٍ صرت أنا وحدي مع أفكاري والطريق المنهوب أسفل الأضواء الأمامية للسيارة شبه الصامتة.

فكرت في أمي.

لقد عادت إلى أمريكا بعد أن أفلت منها زمام الأمور في الصين. في فترة جهلي، لم تكن لديَّ أي فكرة كم فشلنا فشلًا ذريعًا، ظننت فقط أن تجربة الجراد قد فشلت.

بالطبع كانت تعرف تمامًا ما هو آتٍ.

كانت تعيش في بيتنا العائلي في بلدة إلموود في بيركلي، وهو ما وجدتُه أمرًا غريبًا وحزينًا للغاية. مع رحيل أبي وماكس، وتنقُّل كارا وراء البحار، لم يساعد الصمت في المنزل إلا على تذكيري بكل ما فقدناه.

كبسولة زمنية تبين البُعد الذي سقط إليه آل رامزي.

ثمة ألم في اكتمال الذاكرة.

لم أكن لآتي قط لو لم تستدعني أمي.

تُعد لنا العشاء، ونجلس إلى مائدة غرفة الطعام القديمة في نوع ما من الصمت التراجيدي.

لا نتحدث عن شينزين أو ما يفعله جرادنا بحقول الأرز.

أمي نادرًا ما يصيبها الحنين، لكن الليلة تثبت أنها استثناء.

تسألني عن لحظاتي المفضلة في أثناء صباي هنا.

بل وتشاركني بعض لحظاتها.

وبعد ذلك تقول لي شيئًا لم يسمح لي حتى عقلي المتوسط أن أنساه: "لا تمضي الحياة فعليًّا بالطريقة التي تريدها أو تتوقعها. عادةً، حتى حصولك على ما أردته بالضبط يتبين أنه لم يكن ما أردته بالفعل. لذا يا ولدي، لو حدث أبدًا أن وجدت شريحة من السعادة والسلام، كن ممتنًّا فقط وعِش. لا تصبو إلى المزيد، لأن هذه الشريحة أكبر مما يجده أغلب الناس أصلًا".

أسألها: "هل هذا ما فعلتيه؟ أردتِ المزيد؟".

لن أنسى أبدًا الطريقة التي حدجتني بها عبر المائدة.

فيما بعد، ستجلس على البيانو الجراند الصغير وتعزف مقطوعتي المفضلة: "ترومِيري" من مجموعة (مشاهد من الطفولة) لشومان. هي ثملة قبل هذه اللحظة، والبيانو غير مدوزن قليلًا، وبعض نغماتها تندغم معًا.

أذكر أوقاتًا أخرى أفضل، عندما كانت تعزف من دون أخطاء من أجل عائلتنا كلها - ليالي الكريسماس أو السنة الجديدة أو مجرد ليال عشوائية عندما كنًّا معًا جميعًا وسعداء وفي نعمة الجهل بأن هذا لن يكون الحال دائمًا.

تعرض أمي أن تُعد لي سريري القديم، لكني أتحجج بحاجتي إلى الرجوع إلى غرفتي في السكن والمذاكرة لامتحان نهائي وشيك.

لذا تصحبني إلى الباب، وعلى العتبة تعانقني.

ثمة ضراوة في الطريقة التي تحتضنني بها، كأنها تتشبث بشيء ينفلت بعيدًا بلا هوادة.

تقول: "ستكون الأمور بخيرٍ.." لا أفكر كثيراً في هذه العبارة لحظتها، أظن أنها شربت أكثر من اللازم وعلقت في دوامة نادرة من العاطفية.

بينما أسير إلى سيارتي، أسمع الباب ينصفق ورائي.

الهواء معطر بأريج النعناع والصنوبر والعسل الصادر عن شجرة اليوكالبتوس الكبيرة المشرفة على الحديقة الأمامية، رائحة مرتبطة على نحو لا ينفصم بطفولتي وأعمق إحساس بهويتي.

لا أعرف هذا وقتها، لأنك في الحياة لا تدرك أبدًا غالبًا متى تعيش في فصل أخير - لكني لن أرى أمي مرة أخرى أبدًا.

بعد ثلاثة أيام، ستقود سيارتها وتخرج بها عن الطريق السريع رقم 1 وتغطس بها ألف قدم في المحيط الهادي.

***

بزغ الفجر على مروج شمال تكساس.

كان صباح الكريسماس.

كنت ما زلت أقود السيارة، وبسبب الطفرات في جينات معينة، لم أكن متعبًا حتى ولو من بعيد.

تخيلـت أسرتي، زوجتـي وابنتـي، ولم يكـن هنـاك أي خلـل في عـين العقـل يحـول دون اسـتحضار وجهيهـما. رأيتهـما بوضـوح كـما لـو كانتـا معــي بجســديهما.

تسـاءلت مـاذا كانتـا تفعـلان مـن دوني، وبينـما كانـت عينـاي تمتلئـان بالدمـوع التـي تكـسر فيهـا نـور الصبـاح، أخـذتُ الشـعور الخـام الـذي كان يتخللنـي ودفعـت بـه داخـل القفـص العقـلي الـذي كانـت جدرانـه تـزداد مِنعـة كل يـوم.

كرهت القيام بهذا.

كل مـرة، كان الأمـر يـزداد سـهولة، ورغـم أن تحويـل قلبـي إلى حجـر في هـذه المرحلـة كان مـا زال عمليـة واعيـة مُجهِـدة، اسـتطعت أن أتخيـل وقتًـا في المسـتقبل غـير البعيـد تمامًـا عندمـا يصبـح التحكـم في الشـعور وكبتـه طبيعـة ثانيـة.

***

توقفنـا في مدينـة أماريلـو لنشـحن بطاريـات السـيارة، وخطفنـا الإفطـار عنـد حافلـة طعـام عـلى جانـب الطريـق، واسـتكملنا طريقنـا عـبر الـبراري السـابحة في نـور الشـمس.

في نيو مكسيكو، تحولت الطبيعة إلى الجدب.

في غضـون سـاعة، رأيـت أربعـة صواريـخ تنطلـق إلى الجنـوب الغـربي مـن قاعـدة إطـلاق المركبـات الفضائيـة بالقـرب مـن مدينـة تـروث أور كونسيكوينسـيس - حيـث يقـضي المليارديـرات صبـاح الكريسـماس في مـدار قريـب مـن الأرض.

قـرب وقـت الغـداء، كنَّـا ندخـل الأرض الصحراويـة العاليـة بالقـرب مـن سـانتا في، المدينـة المختلفـة، كـما يسـمونها، كانـت ثـاني أقـدم مدينـة

في أمريكا. عندما اقتربنا، اختبأت سانتا على مرأى من الجميع، حيث امتزجت الأبنية الواطئة ترابية اللون بالتلال البُنية في هدوء.

دخلنا الساحة واستأجرنا جناحًا في فندق ضخم مبني من الطوب اللبن اسمه (لا فوندا). في البهو، تدلت المصابيح من الدعامات الخشبية المكشوفة، شجرة ارتفاعها عشرون قدمًا، وعائلات في كل مكان يرتدون سترات بشعة.

نمت طوال ما بعد الظهر واستيقظت بشهية مفجوعة.

عندما حل المساء، خرجنا بحثًا عن وجبة.

بدا من الطيب السير في الشوارع المتعرجة التي بدت متجمدة في الزمن. بدا أن هذه المدينة السياحية تتيح خبرة معاينة أمريكا قبل الكساد الكبير - فرصة أن تكون في مكان ما زال المستقبل يبدو فيه أشبه بالمستقبل.

توهجت أشجار الكريسماس عبر نوافذ البيوت المشيدة من الطوب، وعطرت رائحة دخان الحطب المتصاعد من المدافئ الهواء البارد النظيف. كانت الجبال شرقي المدينة بادئة للتوّ في التوهج تحت نور قمر صحراوي. توجعت من الحنين، وللحظة، تركت الوجع على حريته.

تناولنا العشاء في مطعم تاباس[1] مجاور للساحة الرئيسية، وكانت الأسعار باهظة بشكلٍ فظيعٍ بما أنه كان يزهو بقائمة طعام من البروتين غير الصناعي.

---

(1) أطباق صغيرة بها سبيط محمر أو زيتون أو جبن. تمثِّل جزءًا لا يتجزأ من المطبخ الإسباني، وتعني باللغة العربية «الأغطية» جمع «غطاء». تقدم عادة مع البيرة أو النبيذ كمقبلات أو وجبات خفيفة بين الوجبات الرئيسية لتخفف وطأة الجوع.

تساءلت كارا: "أظن أنه ليس تمامًا بالكيفية التي تخيلتها للكريسماس هذا العام؟".

هززت رأسي وأخذت رشفة من نبيذ (ريبيرا ديل دويرو) الممتاز. كان من المستحيل تقريبًا أن تجد نبيذًا إسبانيًا، بما أن مناطق النمو الأساسية انتقلت إلى الشمال، لذا لم يعد هناك إنتاج لكثير من مصانع النبيذ الأيقونية.

كانت خبرة تذوق نبيذ فاخر بعد التحسين تُذهب العقل، لطالما فكرت أن لديَّ ذائقة جيدة، لكني الآن كنت أسجل انفجارًا من النكهات والروائح وأجد أن بمقدوري تذوقها فرادى وجماعات، في نفس الوقت - التراب ونور الشمس والثمار السوداء المغبرة وبتلات الورود والتغلغل المذهل للبلوط[1] والزمن.

سألتها: "ماذا كنت لتفعلي الليلة؟".

تناولت كارا شريحة من الخبز بالطماطم عليها قطع من لحم الخنازير المتبَّل المقدد.

قالت: "يتوقف الأمر على الطقس، إذا كانت تمطر ثلجًا، أبقى في البيت، أصنع نبيذي الدافئ الشهير، أتفرج على فيلم (سانتا الشرير). لو كانت الطرق جيدة، سأقود سيارتي إلى البلدة، أشرب بضع كؤوس مع جمهور الكريسماس ممن لا يملكون مكانًا آخر للذهاب إليه غير حانة المورو، لا" صححت نفسها: "كان هذا ما لأفعله قبل التحسين، أما الآن؟ كنت لأبقى في البيت وأقرأ وأفكر".

سألتها: "هل تحسنت ذاكرتك بدرجة تقارب الكمال؟".

---

(1) يستخدم البلوط في صناعة النبيذ لتغيير اللون والنكهة، لمحة التانين والملمس في النبيذ. يمكن إدخاله في شكل برميل في أثناء فترات التخمير أو الشيخوخة، أو كرقائق أو عصي طافية حرة تضاف إلى النبيذ المخمر في وعاء من مادة مثل الفولاذ المقاوم للصدأ.

- نعم.

- وأنا مثلك.

قالت: "هذا صعب؛ قامت حياتي في مونتانا على مفهوم أن أنسى من كنت، من أين جئت" نظرت كارا إليّ عبر الطاولة، وقد بدت ندبة وجهها شائهة في نور الشموع. "ثمة ذكريات أحب أن أفقدها إلى الأبد. أنت تمر بوقت صعب، أليس كذلك؟".

كنت أعرف ما تعني.

قلت: "عواطف؟".

أومأت برأسها.

- نعم.

قالت: "هناك أشياء يمكنك أن تفعلها..".

- أعرف، أفعلها.

- وهي تزداد سهولة.

- هذا ما يخيفني.

- لماذا؟

ألقيت نظرة على الطاولة المجاورة لنا، رجل وامرأة يسترقان السمع لحديثنا، أظن أن ما جذب انتباههما لم تكن الكلمات التي كنَّا نقولها، بل سرعة تبادلنا للحديث.

عدت بنظري إلى طاولتنا وقلت بهدوء لكارا: "ينبغي لنا أن نجري حديثنا بسرعة عادية".

- صحيح.

أجبت عن سؤالها، مجبرًا نفسي على الحديث ببطء أكبر وبتأنٍّ: "يخيفني لأني أخشى من فقد القدرة على الشعور العميق بالأشياء".

قالت: "قل لي ميزة الشعور العميق بالأشياء، ألا يلقي الشعور غشاوة على المنطق والعقل؟".

- إلى حد ما. المشاعر أيضًا هي جوهر الرحمة والتعاطف، نحن نغدو قادرين على عقلنة أي شيء، ربما تساعد العاطفة في المراجعات والتوازنات.

- صحيح، أو ربما أنت خائف فقط من تجاوز أحبابك.

أتى المزيد من الطعام.

تطلب الأمر كامل قوة إرادتي كي أفلتر الحوارات السبعة المختلطة في نطاق سمعي والروائح التي لا حصر لها التي هبَّت من الأشخاص الآخرين، ومن المطبخ، ومن الطاولات.

سألتني كارا: "أتتمنى لو لم تحظَ بهذا التحسين؟".

- هذا سؤال صعب، أخيرًا حصلت على العقل الذي لطالما أردته.

رشفت من نبيذها، "لا بد أنه كان أمرًا صعبًا".

- ماذا؟

- الجري في دوائر أمي، عارفًا أنك لا تستحق أن تكون هناك.

- أتعرفين أني شعرت بهذا الشعور؟

- طبعًا، لدى أمي عقل يوجد مرة واحدة في كل جيل، لطالما اعتقدت أن هوسك بالسير في أعقابها أمرٌ مُهلك.

- يقول لي أطبائي النفسيون إن الأمر بسبب ماكس، عندما تفقد توأمًا...

- تفقـد نصـف ذاتـك. سـاعد ارتباطـك بماما عـلى مـلء هـذا الجـزء الآخـر المفقـود مـن ذاتـك.

قلـت: "فكـرت فيـه ليلـة الأمـس بينـما كنـت أقـود السـيارة، أشـياء نسـيتها منـذ زمـن طويـل، لحظـات كنـت أتذكرهـا قليـلًا، والآن كل شيء واضـح جـدًّا، ومـؤلم".

ابتسمت كارا: "لا يجب أن يكون هكذا".

***

عدنا سيرًا إلى الفندق تحت سماء عميقة الزرقة مرصعة بالنجوم.

في مركـز السـاحة، كانـت فرقـة كـورال تغنـي. أمسـكوا بشـموع مرتعشـة، وارتفعـت أصواتهـم مائلـة في الـبرد القـارص نحـو السـماء.

لم أرَ اللحظة. ليس بشكل حقيقي.

رأيـت القصـة خلـف اللحظـة - حكايـة مُـرِّرت طـوال أكـثر مـن ألفـي عـام عـن طفـل خـارق أُرسـل لإنقـاذ العـالم.

لم أر البـشر مـن قبـل قـط بهـذا الوضـوح: نـوع -في مسـتواه الأسـاسي- مـن الحكائـين.

مخلوقـات تفـرض قصـة عـلى كل شيء، لكـن بشـكل خـاص عـلى حياتهـم، وبفعلهـم لذلـك، يمكنهـم أن يصبغـوا وجـودًا بـاردًا وعشـوائيًّا، وأحيانًـا وحشـيًّا، بمعنـى ملفـق.

***

اسـتيقظت عنـد الفجـر عـلى قـرع أجـراس كاتدرائيـة سـانت فرانسـيس الأسـيزي، وهـي بازيليـكا حجريـة مهيبـة في الجهـة الأخـرى أمـام الفنـدق.

سخنت القهوة وفتحت الباب الزجاجي المنزلق إلى الشرفة.

خرجت إليها.

كان الجو باردًا بشكلٍ لاذع.

وكانت سانتا في صامتة وساكنة.

بالفعل، كنت على الحافة.

وبدا اليوم حاسمًا.

***

انطلقنا على الطريق قبل الثامنة، مسرعين شمالًا على طريق يو إس 84، لندخل أرضًا ذات طبيعة من أكثر المناظر التي رأيتها في حياتي إذهالًا، صارت أكثر نبضًا بالحياة مع منظوري الجديد.

بدا كل شيء صافيًا وغنيًّا.

كل الألوان مفرطة التشبع.

فيما وراء ضواحي سانتا في، تجلّت الصحراء.

كان الإحساس بالبراح يخطف الأنفاس.

مع كل لحظة تمر يكشف لون جديد عن نفسه.

مشاهد تتغير من لحظة إلى أخرى.

الضوء والظل يتبدلان على الحجر الرملي.

قيعان مجارٍ جافة.

هضاب مستوية.

آثار ملحمية.

شعرت أني أنظر عبر الزمن بينما كنا نسرع عبر المنطقة الانتقالية بين هضبة كولورادو وصدع ريو جراندي.

رأيـت طبيعـة الأرض بطريقـة لم تكـن لـديَّ مـن قبـل، طبقـات عـصر الزواحـف مكشـوفة عنـد سـفح الجبـال، ورواسـب حقبـة الحيـاة الحديثـة تحـت أكتـاف الـذرى.

لفـترة، مـن بعيـدٍ، اسـتطعنا رؤيـة الأسـطوانة البيضـاء للهايبرلـوب الممتـد عـبر الصحـراء - الخـط الواصـل بـين دنفـر وألباكـركي.

عبرنا أنهارًا سمعت عنها وأنا أشاهد أفلام الغرب الأمريكي مع أبي.

إلى الـشرق، تحولـت التـلال المغطـاة بأعشـاب المريميـة والعرعـر إلى غابـات صنوبريـة، إلى ذرى عاليـة التمعـت متألقـة بالثلـج أعـلى خـط الشـجر.

وكل هـذا تحـت سـماء شاسـعة كالمحيـط، تطـل عـلى صحـراء كانـت منـذ 450 مليـون عـام -خـلال العـصر الطباشـيري المتأخـر- بحـرًا ضحـلًا.

توقفنـا لشـحن البطاريـات سريعًـا في أوجـو كاليينتـي؛ محطـة الشـحن الوحيـدة التـي رأيناهـا منـذ تركنـا سـانتا في، وتابعنـا انطلاقنـا.

كنـت قـد وضعـت فاليسـيتوس في تطبيقنـا الخـاص بالملاحـة. فاليسـيتوس مجتمـع غـير مدمـج داخـل غابـة كارسـون الوطنيـة وأقـرب بلـدة لموقعنـا الـذي حـدده الجـي بي إس.

وصلنـا في التاسـعة والنصـف صباحًـا لنكتشـف أن فاليسـيتوس ليسـت مدينـة ولا حتـى بلـدة، كانـت قريـة مـن زمـن آخـر. بضـع مئـات مـن الأشـخاص فقـط يدعونهـا موطنًـا، ورغـم أن بعـض المسـاكن كانـت مأهولـة بوضـوح، فـإن عـددًا مسـاويًا بالضبـط كان متداعيًـا.

مررنا بكنيسة قديمة انهارت وحدها.

وبعـد ذلـك أطـلال حانـة، تدلّـت إعلانـات بـيرة قديمـة بالنيـون مـن أسـلاكها في نوافـذ عـرض بـلا زجـاج، وثمـة لافتـة خشـبية تحمـل اسـم

(ميس أميجوس) ما زالت تتأرجح فوق مدخل يؤدي إلى لا شيء، بهتت بفعل عقود من ضوء الشمس الشديد.

كانت كارا هي التي تقود.

وكنت أنظر في هاتفها.

قلت: "لا توجد شبكة هواتف، لكن نظام تحديد المواقع الخاص بالسيارة ما زال يعمل، سأُدخل فقط الإحداثيات الأصلية وأرى ما سيحدث".

حوَّلت الدرجات العشرية إلى الدرجات/الدقائق/الثواني العادية، وبعد ذلك أدخلت ″45′33°36 شمالًا، ″04′13°106 غربًا في نظام تحديد المواقع.

تغيَّرت الخريطة على شاشة العرض الضخمة لتُظهر موقع مؤشر التحديد، الذي كان على بُعد 8.7 ميلًا.

قال الصوت الآلي: **تحذير... نظام الملاحة الخاص بالقيادة يمكن فقط أن يأخذك إلى حدود نصف ميل من وجهتك.**

***

بعد ميلين خارج القرية، تحوَّل الطريق من أسفلت إلى حصى غليظ.

صعدنا تلالًا.

تكدست أشجار دائمة الخضرة على جانب الطريق.

بعد خمسة أميال، لم نكن قد مررنا ببناية أو نفس أخرى.

نحن فقط والسيارة وذيل من الغبار في أثرنا.

عندمـا قطعنـا 5.9 ميـلًا، صرنـا في طريـق أقـل عرضًـا، وأكـثر امتـلاء بالصخـور، وبـه بقـع ذائبـة مـن الثلـج في الظـل.

كان عـلى كارا أن تبطـئ كثـيرًا، وصـار واضحًـا أن ارتفـاع سـيارتنا الجوجـل لم يكـن مناسـبًا لطـرق الغابـات القديمـة.

عندما وصلنا إلى إشارة 8.2 ميلًا، انتهى الطريق.

قـال صـوت مسـاعد الملاحـة الآلي: **لقـد وصلـت إلى أبعـد مـا يمكـن عـلى الطـرق المعروفـة، وجهتـك تقريبًـا عـلى بُعـد ألفـي قـدم شـمال-شـمال غـرب موقعـك الحـالي.**

أوقفت كارا السيارة.

خطوتُ خارجًا.

تردد صدى إغلاقي للباب عبر غابة الصنوبر.

خرجت كارا، ودارت حول السيارة إلى صندوقها، وفتحته.

سرت نحوهـا، ورأيـت أنهـا قـد فتحـت حقيبتهـا القماشـية الخشـنة، كانـت تسـحب موصـل جارمـن بالأقـمار الصناعيـة الصغـيرة لتتبـع الجـي بي إس خـارج الشـبكة.

ناولته لي: «هل يمكنك أن تُدخل الإحداثيات؟».

بينـما كنـت أُدخل الإحداثيـات ″45′33°36 شـمالًا، ″04′13°106 غربًا في الجهـاز، ألقمـت كارا خزانـة رصـاص في مسـدس جلـوك، ثـم وضعتـه داخـل جـراب معلـق عـلى فخذهـا وأمّنتـه بمشـبك مغناطيـسي، بعـد ذلـك حشـت بالطلقـات البندقيـة الآليـة التـي اسـتخدمتها لتُخرجنـي مـن المحبس.

***

تركنـا الطريـق سـائرين وتوجهنـا إلى داخـل غابـة الشـجر، والجهـاز الموصـل يقودنـا في مسـار شـمالي.

كان الجو باردًا وصحوًا.

مال ضوء الشمس عبر الأشجار، خالقًا آبارًا من النور في الغابة.

وكان الهواء مترعًا برائحة الصنوبر والتنوب.

صعدنا تلًّا هينًا.

رغم كوننا على ارتفاع يقارب التسعة آلاف قدم، لم يواجه واحد منًّا أي مشكلة في بذل الجهد؛ كان الهيموجلوبين في دمنا يستخلص بكفاءة الأكسجين من الهواء الشحيح بفضل التعديلات التي حدثت في الجينات المتعلقة بهذه العملية.

كانت الغابة فسيحة وقد تناثرت فيها الشجيرات والأحراش أسفل الشجر الكبير. لو كانت معنا سيارة ذات تجهيز أفضل، لأمكننا أن نقودها صاعدين هذا الجبل.

ألقيت نظرة على جهاز الموصِّل.

كنا على بُعد ألف وربعمائة قدم من إحداثياتنا.

قالت كارا: "هناك شيء ما بالأعلى إلى الأمام..".

لم أرَ شيئًا.

- أين؟

- بعد خمسين ياردة مباشرة، رأيت بريقًا بين الأشجار.

سرنا قليلًا إلى الأمام.

وبعد ذلك رأيت سيارة نصف نقل قديمة.

كان نصفها الأمامي في بقعة من ضوء الشمس، وكانت المرآة الجانبية المصنوعة من الكروم هي ما رأته كارا يلمع.

اقتربنا.

لا صوت غير وقع أقدامنا على أرض الغابة المفروشة بورق الصنوبر.

توقفنا على مبعدة عشرين قدمًا.

كانت سيارة شيفروليه قديمة، صفراء وبيضاء؛ واحدة من أوائل سيارات نصف النقل الكهربائية بشكل كامل. كانت أوراق الصنوبر قد التصقت تقريبًا بالزجاج الأمامي، وكان الإطار الأيسر الخلفي مرتخيًا.

اقتربنا أكثر، وبسلاسة استلت كارا البندقية الآلية من فوق كتفها وصوبتها نحو باب مقعد السائق، الذي صار في مجال الرؤية، كانت النافذة مكسوة بالثلج من الداخل.

توقفت كارا على مبعدة عدة أقدام.

شعرت بانقباض في صدري، وهاجس بأني أسير إلى داخل فخ.

مرة أخرى.

نظرت كارا إليّ وأشارت إلى الباب: "افتحه.." قالتها همسًا.

- واثقة من هذا؟

- هل لديك فكرة أفضل؟

- نعم، نغادر ونعود ببدلات واقية.

دارت بحدقتيها في عينيها وسارت إلى السيارة وفتحت باب السائق بعنفٍ.

كان هناك شخص ممدد عبر المقعد العريض.

قالت كارا: "يا إلهي!".

خطت إلى الوراء مع هبوب رائحة التعفن، كنت قد قابلت نصيبي من الجثث خلال مسار عملي كعميل للجي بي إيه، ورغم أني مررت بالتأكيد بما هو أسوأ، كان هذا بشعًا بشكل وحشي.

أسـندت كارا بندقيتهـا عـلى الشـجرة وجذبـت رقبـة سـترتها الغليظـة فـوق أنفهـا. اقتربـتُ أكـثر، ملقيًـا نظـرة سريعـة داخـل قـاع السـيارة، كان مليئًـا بثلـج قديـم قـذر يغطـي بقايـا حمولـة مـن الحطـب.

استدرت إلى الباب الآخر.

أصدر صريرًا خشنًا وأنا أجذبه بقوة لينفتح.

كنـت أتنفـس عـبر فمـي الآن، وقـد دمعـت عينـاي مـن غـازات التحلـل أيًّـا كانـت التـي تراكمـت في كابينـة السـيارة.

اقتربت كارا خلفي.

كانـت الجثـة ترتـدي سـترة صوفيـة زرقـاء، وبنطـالًا مـن الجينز الأسـود، وحـذاء رياضيًّـا عـالي الرقبة.

تهدلـت كتلـة مـن الشـعر الفـضي عـلى المقعـد، واسـتقر الـرأس في تجويـف الـذراع اليمنـى، الجـزء الوحيـد المكشـوف مـن الجلـد كان اليـد، حيـث رأيـت آثـار انـزلاق وآبـار سـوداء اسـتقر فيهـا الـدم والمـواد الداخلية المُسـالة.

اختفى الوجه تحت الشعر المتهدل.

في لـوح الأرضيـة أمـام مقعـد الراكـب، رأيـت إبـرة وزجاجـة فارغـة، اسـتخدمتُ الموصِّـل لقلـب الزجاجـة كي أرى البطاقـة الملصقـة عليهـا.

قلت: "مورفين..".

نظـرت إلى الجسـد مـرة أخـرى - كان هنـاك شيء مسـالم جـدًّا ويائـس جـدًّا في اسـترخاءته الأخـيرة. للحظـة نسـيت السـبب وراء قدومنـا إلى هنـا، كنـت خـارج ذاتي، مسـتغرقًا تمامًـا في اللحظـة، تسـاءلت أي حالـة عقليـة تجعـل شـخصًا يقـود سـيارته إلى منتصـف الـلا مـكان ويحقـن جرعـة قاتلـة مـن المورفـين في عروقـه.

انحنيت وأزحت في حرص الشعر من فوق الوجه.

كان الجلـد جافًـا، أرجوانيًـا غامقًـا، ومتشـققًا في مواضـع منـه، كـما لـو أنـه تعـرض لفـترات مـن التجمـد والذوبـان، كانـت العينـان مغلقتـين، والشـفتان الزرقـاوان منفرجتـين.

تدلت قلادة من الرقبة، وتعلقت بالمقعد الفينيل الأبيض.

ملتُ لأرى الحلية المعلقة فيها.

كانت حلزونًا مزدوجًا من البلاتين - بنية الحمض النووي.

أرى أوراقًـا مطويـة متناثـرة حـول الشـجرة، أفتـح صنـدوق لعبتـي الليجـو الجديـدة، ماكـس راقـد عـلى الأريكـة، مرهـق بالفعـل مـن المراحل الأولى للمـرض الـذي سـيودي بحياتـه في العـام التـالي. كارا تجـرب لوحهـا الحاسـوبي الجديـد، وثمـة رائحـة حلـوة دافئـة لكعـكات السـكونز التـي تصنعهـا مامـا كل صبيحـة كريسـماس وتخبزهـا في الفـرن. أسـمع مامـا تقـول: "أوه يـا هـاز، إنهـا جميلـة.." وأشـاهدها ترفـع قـلادة بهـا حليـة لحلـزون مـزدوج مـن علبـة صغـيرة عنابيـة اللـون.

يقـول أبي: "صنعهـا لي خصيصًـا جواهرجـي في فيلادلفيـا، هيًـا دعينـي أسـاعدك"، ثـم يـدور وراءهـا ويرفـع القـلادة برقـة فـوق رأسـها ويثبـت المشـبك بينـما ترفـع أمـي شـعرها عـن عنقهـا.

تراجعت مترنحًا مبتعدًا عن الشاحنة.

فمي جاف.

أشرت إلى الكابينة.

خرج صوتي أجش: "أعتقد أنها ماما".

مالت كارا داخل الكابينة، وتفحصت وجه الجثة.

- كيف يمكنك أن تجزم؟

- القلادة.

شاهدتُ صدمة التعرف في وجهها.

شاهدت كارا تتأهب لمواجهة موجة العاطفة العارمة، شاهدت الموجة تحطم دفاعاتها، وعلى وجهها تتعاقب لمحات من الارتباك والرعب والغضب والصدمة وانفطار القلب.

سرت قليلًا مبتعدًا في الغابة.

جمدت الريح دموعًا سالت على وجهي.

جلستُ على أرضية الغابة في بقعة شمس.

خلفي، صاحت كارا صارخة في الجثة: "اللعنة عليكِ!".

انهرتُ.

ماتت أمي.

مرة أخرى.

***

عندما نجحت أخيراً في الوقوف على قدميَّ مرة أخرى، كان الضوء قد تغير، كانت الشمس أعلى، وكانت كارا جالسة على الأرض، مستندة بظهرها على عجلة الشاحنة نصف النقل، محدقة إلى اللا شيء.

سرت نحوها، وتمهلت أمامها.

كانت هناك خطوط من الدمع على وجهها.

والغضب يشع منها.

لم أقل شيئًا.

أخيرا نظرت إليَّ.

حابسة دموعها.

وذقنها ترتعش.

- أي نوع من الناس يفعل هذا بأبنائه؟

سألتها: "ماذا ينبغي لنا أن نفعل بها؟ نبلغ أحدًا؟ ندفنها؟".

- من تظنه يبالي بأن ميريام رامزي ميتة؟ مرة أخرى، وإذا كنت تظن أني سأقضي اليوم بأكمله كي أضعها في الأرض... أقول فلننس أن هذا حدث أصلًا. نعود إلى سانتا في -ما زالت لدينا غرفة الفندق- ونشرب حتى الثمالة، اللعنة على هذا اليوم، اللعنة على كل جزء منه.

قلت: "أنا مستعد لهذا، لكن ثمة أمرًا آخر"، نظرت إليّ كارا، رفعتُ الموصِّل: "وفقًا لهذا، ما زلنا على مبعدة 1250 قدم من وجهتنا".

أخذت كارا الموصِّل مني وحدقت إليه.

قالت: "أليس من الواضح أن هذا ما كان مفترضًا بنا أن نجده؟".

- ربما، لكننا قطعنا كل هذه المسافة، هل يمثل ربع ميل آخر شيئًا؟

مددتُ إليها يدي وساعدتها على النهوض، ثم صعدنا التل متثاقلين.

شعرتُ بالضعف.

كل خطوة مرهقة.

ما بين دفقة الأدرينالين عند اكتشاف الجثة والصدمة العاطفية عند إدراك من كانت، لم يتبق شيء.

دخلنا فُرجة في الغابة.

نمت الأشجار بكثافة على الجانب الآخر.

غابة من أشجار التنوب أكثر ظلامًا وبرودة.

كنَّا نصعد في الثلج.

اهتز الموصِّل في يدي، أطرقت ناظرًا إلى الشاشة.

لقد وصلتَ إلى وجهتك.

قلت: "يقول إننا وصلنا.." .

تطلعت حولي وإلى أعلى. كانت الغابة في محيط وجهتنا غير مميزة، أشجار تنوب جبلية، بضع جلاميد من الصخر، قشرة من ثلج قديم على كل شيء. نمت الأشجار متقاربة بشدة على نحو حال دون وصول نور الشمس إلى أرضية الغابة.

كان من المستحيل أن نحدد بدقة أين كنَّا بالنسبة إلى الإحداثيات التي لدينا.

وضعت الموصِّل الجارمن على الأرض ليحدد المحيط.

نظرت كارا إليَّ.

قلت: "نظام الجي بي إس لا يكون دقيقًا إلا في حدود خمسة أمتار، لذا ينبغي لنا أن نوسع بحثنا إلى ستة وتسعين في مائة وسبعة عشر قدمًا مربعًا".

- سأبدأ من هنا.

توجهت نحو الأشجار.

بدأتُ السير.

خطوات بطيئة منهجية تهرس الثلج.

نظرتُ إلى الأرض.

إلى كل شجرة.

كل جلمود مررت به.

كلما غطيت مزيدًا من الأرض، بدأ شكي يزداد في أن كارا كانت على حق، لقد وجدنا ما كان مطلوبًا منَّا أن نجده. إصبع أوسط مرفوع للمرة الأخيرة من ماما لأسباب ربما لن نعرفها أبدًا.

عندما انتهيت من اجتيازي الرابع لمحيط المكان وبدأت أعود في الاتجاه العكسي، سمعت كارا تقول: "لوجان".

كانت على مبعدة خمسين أو ستين قدمًا، متوارية في الشجر.

سرت عبر الثلج، متتبعًا اتجاه صوتها. عندما لمحتها أخيرًا، كانت كارا واقفة بجوار جذع مقطوع لما كانت فيما مضى شجرة صنوبر صفراء، كانت الشجرة قد سقطت منذ زمن طويل، من الواضح أنها أصيبت بصاعقة برق؛ كانت هناك ندبة حرق عبر نصف الجذع الضخم.

اقتربتُ من كارا وجِلًا.

كان ارتفاع الجذع الباقي أربعة أقدام.

مسنن، مسودّ، مجوف.

نظرت من فوق الحافة.

برز من الثلج مقبض من الفولاذ المقاوم للصدأ. نظرت إلى كارا، ثم انحنيت وأمسكت به، أيًا كان ما هو متصل به مدفون في الثلج.

- أتساعدينني؟

مدت يدها، وقبضت على المقبض.

جذبنا نحن الاثنان، بأقصى ما لدينا.

بعد لحظة، انفصل عن الثلج وتراجعنا متعثرين إلى جانب الجذع، ممسكين بحقيبة سوداء صلبة، بعرض قدمين تقريبًا في كل جانب.

مختومة، لكنها على قدر ما استطعت أن أميز، لم تكن موصدة.

وضعتها على قاعدتها.

بدت باهظة الثمن، مانعة لتسرب الماء، مضادة للصدمات، مضادة للغبار.

هيكلها من البوليمر الخفيف وعدتها كلها من الفولاذ المقاوم للصدأ.

جثت كارا، ورفعت الأقفال الثلاثة.

فتحتُ الغطاء بحرصٍ.

في الداخل، محاطًا بطبقة من الإسفنج الأسود، كان هناك حاسوب محمول أكبر من الطبيعي، كنت قد رأيت أفراد قوات التدخل السريع يستخدمون أجهزة كهذا للتحكم في تحليق طائرات من دون طيار للتصوير الحراري، لكني لم أتعامل مع أحدها بنفسي من قبل.

"هذا جهاز عسكري.." قالت كارا، وهي تفتح الشاشة.

- ما هي سماته؟

- يتحمّل الحرارة والبرد والانفجارات، مقوّى بالإشعاع، ثقيل جدًّا.

ضغطتُ زر التشغيل عدة مرات، لكن لم يحدث شيء.

عندما قلبت كارا الجهاز ، كشفت مساحة فارغة أسفله.

قالت: "لا توجد بطارية..".

انتزعت طبقة من الإسفنج. تحتها، وجدت بطارية معبئة بالتفريغ وستة أقراص تخزين بالتضمين النبضي المرمز[1].

- إذا لم يفلح هذا، لديَّ مقبس طاقة في السيارة.

ألقمت البطارية في مكانها من الحاسوب وضغطت على زر التشغيل مرة أخرى.

توهجت الشاشة منبعثة إلى الحياة.

---

(1) يُعد التضمين النبضي المُرمز إحدى الوسائل المستخدمة لتحويل عينات الإشارات التناظرية إلى إشارات رقمية، وقد ابتكرت هذه الطريقة في عام 1937، وتُعد هذه الطريقة هي المُستخدمة بشكلٍ واسعٍ في نقل المواد السمعية الرقمية في أجهزة الكمبيوتر وأقراص الـ Blu-ray والأقراص المدمجة العادية والـ DVD، هذا إلى جانب استعمالاتها الأخرى.

لم تكـن لـديَّ فكـرة كـم قـضى مـن الوقـت مسـتقرًا في مكانـه هنـا، لكنـه بـدا شـغالًا بشـكل عـادي، وبعـد عـشرة ثـوان، كنَّـا نحـدِّق إلى شاشـة رئيسـية فارغـة في وسـطها أيقونـة صـورة مصغـرة واحـدة - ملـف سـمعي بـصري بعنـوان "إلى أبنـائي".

شعرت بمعدل نبضي يشطح من 78 إلى 105 نبضة في الدقيقة.

نظرت إلى كارا: "أتريدين أن نفعل هذا هنا؟".

حركتْ المؤشر إلى الصورة المصغرة ونقرتْ على الملف.

اسـتغرق لحظـة كي ينهـي التحميـل، وانتظرنـا، وكلانـا جـاثٍ في الثلـج أمـام الحقيبـة كأنهـا مذبـح مـن نـوعٍ مـا.

ظهرت أمُّنا على الشاشة.

تمتمت كارا: "اللعنة!".

بالنسـبة إليَّ كان إخبارهـا بـأن أمَّنـا حيـة شيء، وشيء آخـر تمامًـا أن تراهـا بعينيهـا.

تراجعـت ميريـام خطـوة مبتعـدة عـن الكامـيرا، كأنهـا وضعـت للتـوِّ هاتفًـا في حامـل ثـلاثي، لم تكـن في هـذه الغابـة، عـلى هـذا الجبـل، كانـت في الصحـراء التـي قطعناهـا كي نصـل إلى هنـا، وبنفـس الثيـاب التـي وجدناهـا ترتديهـا في الشـاحنة.

أوحى الضوء بصباحٍ مبكرٍ.

كانـت الريـح تهـب لتطـير شـعرها الفـضي، أزاحتـه إلى الـوراء مـن فـوق وجههـا وجلسـت عـلى صخرة.

انحـشر غطـاء السـيارة الشـيفروليه البيضـاء والصفـراء بفضـول في يسـار الـكادر، وكانـت الخلفيـة أميـالًا مـن الصحـراء الورديـة تنتهـي عنـد هضبـة مسـتوية أرجوانيـة محلِّقـة كنـت قـد رأيتهـا في وقـت سـابق مـن اليـوم.

نظرتْ إلى الكاميرا.

«لا أعرف إن كنت أتحدث إلى لوجان وكارا، أم واحد فقط منكما، لكن لو كنتما تشاهدان هذا، فأنا فخورة بكما، فهذا يعني أنكما وجدتما الرسالة التي أدخلتها في جين AAVS1، هذا يعني أن التحسين نجح».

لاحظتُ حزمة من أشجار الحور خلفها.

الأوراق صفراء فاقعة.

لقد سجلتُ هذا في الخريف... لعله أكتوبر؟

"جئت إلى هنا مرة مع أبيكما".

وابتسمتْ.

"كنت حبلى بكِ يا كارا، رغم أني كنت لم أعرف بهذا بعد. كنّا في العشرينيات من عمرينا، بلا مالٍ، نَقود سيارتنا من بوسطن إلى بيركلي لاستلام أول زمالة لي ما بعد الدكتوراه. أقمنا في نُزُل على ضواحي سانتا في اسمه ديزيرت آير. في اليوم التالي، انطلقنا شمال المدينة. لطالما أردت أن أرى طبيعة الأرض التي أنفقت جورجيا أوكيف[1] عمرها وهي ترسمها. هذا الجبل ورائي؟"

ألقت نظرة وراءها إلى الهضبة المستوية الأرجوانية، التي ارتسمت خطوطها الخارجية على خلفية من سماء الفجر.

"هذا هو سيرّو بيدرنال، رسمته أوكيف ثماني وعشرين مرة. وقالت ذات مرة: (إنه جبلي الخاص، يخصني، أخبرني الرب أني لو

(1) جورجيا توتو أوكيف (1887-1986) فنانة أمريكية وُلدت بالقرب من صن براري، ويسكنسن، حيث بزغ نجمها لأول مرة لدى جماعة الفنانين في نيويورك في عام 1916، وذلك قبل عقود عديدة من اكتساب النساء حقهن في الحصول على التدريب في مجال الفنون في كليات وجامعات أمريكا.

رسـمته مـرات كافيـة، يمكننـي الحصـول عليـه) أشـعر نفـس الشـعور حيـال عمـلي.

عندمـا تصلـون إلى نهايـة حياتكـم، تبـدؤون في التفكـير حـول الأوقـات الطيبـة والأوقـات الأفضـل، تلـك الرحلـة مـع والدكـما كانـت واحـدة مـن أفضـل الأوقـات. ربمـا أنـا أصبـغ لحظـة واحـدة بالمثاليـة، لكنـي وهـاز كنّـا قـد أنهينـا الدراسـة للتـوّ، وكان المسـتقبل مفتوحًـا عـلى اتسـاعه مثـل هـذه الصحـراء، لم يكـن قـد حـدث شيء سـيئ، ولم يكـن هنـاك شيء لا يمكـن أن يحـدث.

وصلنـا إلى هـذه القريـة الصغـيرة في سـفوح التـلال المسـماة فاليسـيتوس. كان يومًـا خريفيًـا دافئًـا، وتوقفنـا لـشرب البـيرة في حانـة يبـدو أنهـا لم تسـتقبل سـائحين كثيريـن ولا تعـرف كيـف تتعامـل معهـم، كان اسـمها ميـس أميجـوس".

أشاحت بناظريها إلى البعيد للحظة، ثم عادت إلى النظر في الكاميرا.

"لوجـان، أجرينـا أنـا وأنـت حـوارًا منـذ سـنين عديـدة. سـألتني، إن كان باسـتطاعتي، هـل سـأصنع مزيـدًا مـن النـاس في العـالم مثلنـا؟

مـرّت عـشرون سـنة منـذ تلـك الليلـة، وسـاءت الأمـور أكـثر مـن أي وقـت مـضى. طـوال العقديـن الماضيـن، كنـت أعمـل في مختـبرٍ صغـيرٍ في مـكاني المفضـل مـن العـالم، محاولـة أن أصنـع شـيئًا يمكنـه أن يجعـل كل فـرد في نوعنـا أقـرب إلينـا، محاولـة أن أمنـح الإنسـان العاقـل شـيئًا قـد يسـمح لنـا بالبقـاء لخمسـمائة، أو ألـف، أو عـشرة آلاف سـنة أخـرى.

هـذه الهديـة هـي تحسـين وراثي يرفـع أداءنـا المعـرفي بحيـث يمكننـا، بشـكل جماعـي، أن نـدع محـركات العقـل ترشـد سـلوكنا بـدلًا من وسـائد العاطفة.

إن الجينات التي دفعتنا نحو العاطفة وتيار نماذج معتقداتها ما زالت حاضرة في شريطنا الوراثي، كانت نافعة في فجر الجنس البشري، عندما لم يكن لدينا فهمٌ للكون، قادتنا إلى ابتكار الأساطير والأديان والتقاليد، وهذه الأنظمة وضعتنا بلا شكٍّ على الطريق نحو الاستقرار والتعاون.

لكنها الآن تجعلنا نتجاهل الحقائق المحيطة بنا جميعًا. الفقر والمرض والمجاعة، وكل الكراهية التي تربيها هذه المصاعب، والتي تزداد سوءًا كل عقد - بينما نعتصر القطرات الأخيرة من موارد كوكبنا، لا يمكننا الاستمرار في العيش في حالة إنكار لما يحدث أو نتمنى أن تكون مشكلة يجب أن يحلها شخص آخر.

لم ترَ الديناصورات أن نهايتها قادمة قطُّ، انقرضت لأنه ذات صباح، من السماء الزرقاء الصافية، اصطدم كويكب عرضه 6.2 ميلًا بشبه جزيرة يوكاتان بسرعة 67.000 ميلًا في الساعة. إن نهاية الإنسان العاقل تلوح في الأفق، يمكننا أن نراها بألف مقياس، وهذا يعني أن لدينا فرصة، لكن فقط لو قررنا أن نعمل بشكل جماعي. إذا لم يتغير شيء، سننقرض لأغبى سبب يمكن تخيله... أننا رفضنا -لأسباب طفولية كثيرة جدًا- أن نقوم بالأشياء الواضحة التي يمكنها أن تنقذنا".

تحوَّل شيء ما في عيني أمُّنا.

أصبحتا نائيتين، مظلمتين.

"النسخة الأولى من التحسين اكتملت، لكن ما زال هناك عمل يجب أن يتم، أنا لم أطور آلية انتشار، ولن تواتيني الفرصة كي أفعل ذلك".

ما حدث بعد ذلك، لم أره تقريبًا في عمري كله.

أصبحت أمي عاطفية.

شيء نادر كسقوط الثلج في صحراء.

"لأول مـرة في حيـاتي، يخذلنـي عقـلي، وبسـبب ماهيتـي، البحـث عـن عـلاج ليـس خيـارًا. لكـن بعـد أن مـات مائتـا مليـون شـخص، ربمـا أسـتحق أن يُنتـزع منـي الـشيء الوحيـد الـذي أحببتـه أصـلًا في نفـسي. أنـا أنـسى الأشـياء. أحيانـًـا، لا أسـتطيع التفكـير عـلى الإطـلاق. اليـوم في الحقيقـة أفضـل يـوم عشـته منـذ شـهور، لـذا قـررت أن يكـون هـذا اليـوم هـو يـوم مـماتي، أريـد أن أقـول وداعًـا بشروطـي، بينـما مـا زلـت أعـرف مـن أكـون".

مسحت عينيها.

"لم أسـتطع تحمُّـل فكـرة أن يمـوت التحسـين عنـد خـط البدايـة، لـذا فعلـت شـيئًا قاسـيًا. كارا، اسـتأجرت رجـلًا يوصـل طائـرة مـن دون طيـار إلى كوخـك، محملـة بتحسـيني. لوجـان، وأنـا متأكـدة أنـك تعـرف قبـل الآن، اسـتأجرت هنريـك سـورين كي يغويـك بالذهـاب إلى ذلـك البيـت في دنفـر. لا يوجـد في حيـاتي شـخص آخـر يمكننـي الثقـة بـه غيركـما، وآمـل ألا تكـون هـذه الثقـة قـد وُضعـت في غـير محلهـا، آمـل أن يكـون التحسـين قـد أفلـح، آمـل ألا تكونـا غاضبـين منـي أكـثر مـما يجـب.

إذن يـا أبنـائي، لـو أنكـما تشـاهدان هـذا، اعلـما أنكـما الخطـوة التاليـة في التطـور البـشري. وباعتباركـما الشـخصين الوحيديـن عـلى هـذا الكوكـب اللذيـن يتلقيـان تحسـيني، في أيديكـما مصـير نوعنـا. في الحقيبـة الصلبـة التـي تحـوي هـذا الحاسـوب الـذي تشـاهدانني فيـه، سـتجدان أقـراص ذاكـرة مرحليـة بتسلسـلات ووظائـف التحسـين الجديـد رقـم واحـد، اعتـبرا هـذا إرثكـما. مـا تفعلانـه بـه الآن أمـر يعـود إليكـما".

رغم البرد، كنت أتعرق.

محاولًا أن أحيط بعقلي ضخامة ما تحتويه هذه الحقيبة الصلبة.

"آسفة بشأن الطريقة التي كان عليكما أن تجداني بها، لم أقصد قط أن أؤذي كل هؤلاء الناس. أفكر في هؤلاء الذين ماتوا كل يوم، أفكر فيكما أنتما الاثنين، وماكس، وحبيبي هاز. أعرف أني لم أكن الأم التي أردتماها، لكني أحببتكما بالطريقة الوحيدة التي أعرفها".

نهضت أمنا.

سقط الضوء المبكر على وجهها.

نظرت بعيدًا عبر الصحراء.

"المكان جميل جدًّا هنا، أتمنى لو كان بمقدوركما أن ترياه معي".

وبعد ذلك اقتربت من الكاميرا.

"وداعًا يا كارا، وداعًا يا لوجان".

وانكسر صوتها.

"والآن انقذا نوعنا".

مدَّت يدها نحو الكاميرا.

توجهت الشاشة نحو السماء لبرهة قصيرة وبعد ذلك أظلمت.

كنَّا أنا وكارا ما زلنا راكعين في الثلج أمام الحقيبة الصلبة.

لم أنظر نحوها بينما كان الفيديو شغالًا، لكني نظرت الآن.

كان وجهها خاويًا، لا دموع، لا غضب. بدت فقط في مكان آخر.

أغلقتُ الحاسوب.

نظرتُ إلى أقراص الذاكرة المرحلية الستة المحفوظة في الإسفنج بأمان، وكل قرص في حجم يدي. انتزعت كارا واحدًا، تحسَّست ثقله، ثم أعادته بحرصٍ وأغلقت الحقيبة.

اندفعت الريح عبر قمم الأشجار، مصدرة صوتًا موحشًا مستمرًا.

نظرتْ إليَّ: **ماذا بعد ذلك؟**

- أعتقد أننا يجب أن نغمر هذه الحقيبة بالبنزين ونشعل فيها النار.

ضاقت عيناها.

قلت: "حاولت ماما أن تعدل بضع حقول من الأرز وانتهى الأمر بقتل مائتي مليون شخص".

قالت كارا: "ما فعلته بنا نجح، أفلح".

- على شخصين. ليس هذا بالدليل القاطع على أن هذا التحسين آمن لكل إنسان على الكوكب.

- لماذا يجب أن يكون آمنًا للجميع؟ لماذا يجب أن تكون هذه هي العتبة؟

سألتها: "هل تفكرين في هذا بجدية؟".

- إذا لم تكن مخطئة بشأن انقراضنا الوشيك، فما الذي لدينا لنخسره؟

وقفت ونظرت إلى أختي.

- كل ما يعنيه أن تكوني إنسانة.

نهضت كارا واقفة على قدميها: "أعرف أنك كنت هناك في اليوم الذي أطلقت فيه ماما جرادها في الحقول، ولا يمكنني التظاهر بمعرفة كيف يكون الشعور بالمضي في الحياة بذلك العبء، لكن ماذا لو كانت هذه اللحظة -وأنا وأنت في هذه الغابة- هي مفترق الطرق لنوعنا كله؟ علينا أن نواجه هذا بمنطق بارد، وليس بالعاطفة، ليس بالنوستالجيا لنوع محكوم بالهلاك. يمكننا ألا نفعل شيئًا، وتنقضي

البشرية خلال مائة وخمسين عامًا، يمكننا أن نقود نوعنا إلى المستقبل، أنا وأنت".

- يا إلهي! تبدين متغطرسة مثل ماما.
- هل مفترض بهذا الوصف أن يجرحني؟
- أنت ترتكبين نفس الخطأ الذي ارتكبتْه، الذكاء لا يجعل الناس معصومين من الخطأ، بل يجعلهم أكثر خطورة.

تفحصتني كارا للحظة.

كان شيئًا صغيرًا.

أصغر الأشياء.

لكن فكّها ارتفع بشكلٍ غير محسوس، انقبض ما بين حاجبيها ثم ارتفع - تعبير ضئيل عن الحزن ومض وغاب في أقل من ربع ثانية.

كما لو أنها تحاول أن تخفيه.

تساءل صوت في رأسي: **لماذا تحاول أن تخفي أنها حزينة؟**

لأنها كانت حزينة من شيء لم تردني أن أعرفه.

ماذا تريدني ألا أعرفه؟

جاءت الإجابة بهدوء، من دون جهد، كما لو أنها محمولة على نسيم رقيق.

أنها ترى هذه اللحظة على حقيقتها. شخصان في بريّة نيو مكسيكو يحملان مستقبل البشرية في أيديهما، تعتقد أني مخطئ وأنها محقة، ولأن الرهان هو الانقراض، هي على استعداد لأن تفعل شيئًا لا يُصدَّق.

انحنيتُ وأمسكت بمقبض الحقيبة الصلبة.

تساءلت كارا: "ماذا تفعل؟".

- لا يمكننا أن نتركها هنا. ألا ينبغي لنا أن نعود؟

حدقت إليَّ للحظة. "لا بأس".

كان كل ما استطعت أن أفعله ألا أنظر إلى سكين الخندق المغمدة في جراب على فخذها الأيمن، والمسدس الجلوك المعلق على فخذها الأيسر في جرابه.

التفتُّ بسرعة، ورفعت ياقة سترتي كي لا تستطيع أن ترى شرياني السباتي ينبض بقوة.

كان معدل نبضي قد ارتفع إلى 144، ورغم أني كنت أتحسن في السيطرة عليه، لم تكن لي القدرة على إعادته إلى المعدل الطبيعي بسرعة كافية لخداع كارا، وخفت أنها لو لاحظت معدل نبضي المرتفع، ستستدل من هذا على شكي فيما كانت تفكر فيه، وهو ما يمكن أن يُصعّد من هذا الموقف قبل أن تواتيني الفرصة للتفكير في مخرج لي منه.

هل قمت بضبط نفسي في الوقت المناسب؟ هل لاحظت كارا بالفعل؟ هل كانت هناك دلائل أخرى قد تحذرها من أن نظامي العصبي يتحول إلى استجابة الكر أو الفر؟ حدقتان متسعتان؟ توتر عضلي؟

كان للحقيبة الصلبة عجلات، لكنها لم تتدحرج على الثلج القديم. جررت الحقيبة ورائي، هابطًا التل رأسًا من جديد عبر نطاق إحداثياتنا.

شعرت بدوار وخفَّة في رأسي.

هل جُننت؟

بالطبع لم ترغب أختي التي أحببتها وأحبتني، التي عشت معها تحت نفس السقف طوال ستة عشر عامًا، في قتلي، كان هذا حقيقيًا

فعلًا، هي لم ترغب في قتلي، لقد أقنعتها أمنا بأهمية هذا التحسين وعرفت أنها يجب أن تتخذ قرارًا هنا والآن.

لم يكن خطؤها أنها أظهرت حزنها - كان يمكنها بسهولة أن تجد لها مخرجًا بتفسير آخر، مثل العثور على أمنا ميتة في شاحنة أسفل ذلك التل ذاته.

كان خطؤها أنها حاولت التحايل، محاولة كبت الحزن.

انحنيت وأمسكت بالموصِّل الجارمن عندما مررت به.

كانت خطوات كارا ورائي في الثلج - على مبعدة تسعة أقدام.

عبرنا إلى أرض جافة، وصارت عجلات الحقيبة الصلبة تتدحرج بسلاسة ونحن نهبط التل الآن، وهي تصطدم أحيانًا بالجذور والصخور.

كنت بحاجة إلى الالتفات إليها، لجمع المزيد من البيانات، لكني كنت خائفًا أن تقرأ الخوف في وجهي وتقرر أن...

- ربما أنت على حق يا لوجان.

كانت هناك رتابة في نبرتها خطر لي أنها درعٌ وفخٌ معًا، لو استجبت، من المحتمل أن تكشف نبرتي ونمط كلامي عن حالتي الداخلية.

مسحتُ خيطًا من العرق عن جبيني قبل أن يحرق عينيَّ، وارتفع معدل نبضي بسرعة الصاروخ إلى 165، وتجاوز ضغط دمي السقف.

اهدأ. اهدأ.

أخذتُ نَفَسًا عندما ولجنا فُرجة الغابة المشمسة.

ستقتلني في هذه الغابة. لا يوجد معنى من الانتظار بالنسبة إليها، هذا هو المكان المثالي لفعلها، ستتركني فقط مع أمنا.

ورغم ذلك، لم أكن قريبًا من اليقين بأي شكل من الأشكال، لعلّي أتخيل كل هذا، أقيمه على تعبير ضئيل وحيد رأيته في جزء من الثانية.

عدت بتفكيري إلى الطريقة التي تعاملت بها كارا في المزرعة. لقد قتلت ثلاثة رجال في ثلاث ثوان. ورغم أني كنت بالقطع أقوى وأسرع مما كنت سابقًا في حياتي، أشك في قدرتي على مجاراة سرعتها وسيطرتها وبصيرتها البدنية؛ لقد كانت أستاذة قتال قبل التحسين، ولم أكن. شككت في أن الفجوة بين قدراتي البدنية وقدراتها ما زالت واسعة تمامًا، زائد أني لست مسلحًا، وهي تسير خلفي بسكين خندق ومسدس جلوك وقدرتها الفطرية والمضبوطة بدقة والمعززة جينيًّا على الفتك.

رأيت شاحنة أمي من بعيدٍ، على مبعدة خمس وثمانين ياردة.

لقد تركت كارا بندقيتها الآلية مستندة على الشجرة بالقرب من الشاحنة، رأيت مسارًا نحوها، نمت فيه أشجار الصنوبر متقاربة، قد تزودني بقليل من التغطية، لكن أولًا يجب أن أكسر دفاعات كارا، أن أقلل حدة تعاملها المعرفي ومرات رد فعلها، أجعلها تفكر كما اعتادت أن تفكر، وأمنح ذاتي الأضعف فرصة للقتال.

قلت فجأة: "هل تذكرين ما أخبرتِني به تلك الليلة في المستشفى بعد أن مات ماكس؟".

توقفت خطوات كارا.

- لوجان.

تابعتُ المسير.

- لوجان.

توقفتُ، ملقيًا نظرة أخيرة على مساري عبر أشجار الصنوبر، والتفتُ ببطء.

كانت واقفة على مبعدة اثني عشر قدمًا، أعلى التل قليلًا، تحدق إليَّ، كانت في عينيها دموع، ويداها إلى جانبيها، والمشبك المغناطيسي الذي أغلق على مسدسها الجلوك في جرابه مفتوح. كنت أعلم بيقين قاطع أنه كان مغلقًا عندما غادرنا بقعة الإحداثيات، لقد فتحته بهدوء بينما كانت تتبعني أسفل التل.

كان هذا كل ما احتجت إليه من تأكيد، وتأكدتُ أنها قرأت انفطار القلب في وجهي، لأن عيني الآن كانتا تدمعان أيضًا.

قلت: "قلتِ لي...".

- توقف.

- ... أنا أختك الكبيرة، وسأكون دائمًا...

- ماذا تحاول...؟

- ...وسنعبر هذه الخسارة معًا، قلتِ لي إنك ستكونين موجودة دائمًا من أجلي.

انزلق قناع سيطرتها، وللحظة عابرة بدت مثل كارا القديمة، والصراع المعذب ينزف عبر عينيها، وفي أعقابه عزم صارم.

خففت قبضتي عن الحقيبة الصلبة، سقطت وسط ورق الصنوبر.

- ماذا تريدني أن أقول يا لوجان؟

- أريدك أن تقولي إني أخوكِ وإن هذا يهمك أكثر من...

- لكنه لا يهم، أتمنى لو كان يهم، أتمنى هذا أكثر من أي شيء، لكنها مجرد عاطفة جميلة، و...

جريت في منتصف الجملة.

بلا تحذيرٍ.

فقط التفتُّ واندفعت هابطًا الجبل في المسار الملتف الذي رسمت خريطته في ذهني لنفسي عبر أشجار الصنوبر.

سمعت كارا تهتف باسمي من مسافة ما ورائي، وكدت أتوقف، شيء ما في صوتها -شيء من الدهشة أو جرح ما- جعلني أتساءل إن كنت قد أخطأت القراءة تمامًا...

وعندئذ جاءت الرصاصة.

انفجرت قطعة من شجرة على مبعدة قدمين إلى يساري.

كانت شاحنة أمي إلى الأمام مباشرة، على مبعدة خمسين قدمًا.

ألقيت نظرة سريعة ورائي، ولمحت حركة سريعة بين الأشجار.

رصاصة أخرى.

انحرفتُ يسارًا، ثم يمينًا، محاولًا أن أجعل من نفسي هدفًا صعبًا.

والآن أعدو بأقصى سرعة.

تردَّد صدى رصاصتين أخريين عبر الغابة في تتابع سريع، وشعرت بشيء يجذب كتفي الأيسر بقوة.

استمررت في الجري، والشاحنة تقترب أكثر.

صار بمقدوري أن أرى البندقية الآلية التي أسندتها كارا إلى الشجرة.

كان كتفي الأيسر يتذبذب الآن، وفي الذبذبة ألم، ألم ينتشر في بقية ظهري وفي عنقي.

رصاصة أخرى.

اخترقت رصاصة الزجاج الأمامي للشاحنة.

بـؤرة ألم في كتفـي الآن، سـخونة مشـعة رطبـة. مـددت يـدي خلفـي ولمسـته وعـادت يـدي داميـة، لقـد أصابتنـي كارا.

تحسَّستُ مقدمة صدري وكتفي - لا يوجد جرح خروج للرصاصة.

تباطـأتُ عندمـا وصلـت إلى الشـاحنة وقبضـت عـلى البندقيـة الآليـة ودرت حـول الشـجرة لأتخذهـا سـاترًا.

كان الألم يخفـق بتثاقـل، وقـد غطـى عليـه الأدرينالـين. دقَّ قلبـي كالطبـل بسرعـة 203 نبضـة في الدقيقـة، سـمعت غصينًـا ينكسر في مـكان مـا أعـلى التـل.

حاولت أن أنظِّم أنفاسي.

كانـت البندقيـة ماركـة بينيلـلي نصـف آليـة، اسـتخدمتها مـرة مـن قبل، سـلاح صلـب ذو سـعة عاديـة 5+1، رغـم أن كارا عدَّلـت هـذه البندقيـة بخزانـة أطـول بكثـيرٍ.

شددت أجزاء البندقية.

استرقت النظر من وراء الشجرة.

خيَّم الصمت على الغابة.

لا ريح، لا غناء طيور، لا شيء يتحرك.

كان كتفـي يوجعنـي كأن أحـدًا ضربـه بمـضرب بيسـبول والـدم يجـري منسـالًا داخـل سـاقي اليـسرى، متقاطـرًا مـن طـرف بنطـالي، ناحتًـا مسـارًا داكنًـا عـبر أوراق الصنوبـر البُنيـة المهشـمة.

ألقيت نظرة ورائي.

لا شيء.

مـاذا كانـت تفعـل؟ تـدور لتهاجمنـي مـن الجانـب؟ مـاذا كنـت لأفعـل لـو كنـت مكانهـا؟

كانــت لديهــا بندقيــة ذات منظــار في حقيبتهــا القماشــية - بندقيــة تشــيتاك مفكوكــة، بندقيــة القنــص طويلــة المــدى في الجيــش الأمريــكي، يمكنهــا إصابــة الأهــداف مــن بُعــد كيلومتريــن، وكانــت في صنــدوق الســيارة الجوجــل. إذا كانــت لا تريــد المجازفــة باصطيــادي بالمســدس، ســتتكفل هــذه البندقيــة بالعمــل، لــن أراهــا أبــدًا، لــن أســمع حتــى صــوت الرصاصة.

أمــا البينيلــلي فهــي ســلاح قصــير المــدى، محشــوة بخرطــوش عيــار 00 لا يكــون قاتــلًا إلا مــن مســافة خمســين يــاردة، ربمــا عــادت لتــأتي بأقــراص الذاكــرة المرحليــة، ثــم ستســارع إلى الســيارة الجوجــل في دائــرة واســعة تبقيهــا خــارج مــدى نــيراني.

أســندت البندقيــة عــلى كتفــي بــألمٍ ومســحت الغابــة عــبر فتحــة التصويــب الأمامــي.

كل شيء هادئ.

نهضــت متعــثرًا عــلى قدمــي، مترنحًــا، الرؤيــة غائمــة، فــردة حــذائي اليــسرى تفيــض بالــدم وأنــا أتحــرك نحــو الشــاحنة.

كان بــاب مقعــد الســائق مــا زال مفتوحًــا، زحفــت داخــل الكابينــة، محــاولًا أن أبقــى منخفضًــا، عــلى أمــل أن يكــون المفتــاح في مــكان مــا بالداخــل.

كانت الرائحة تثير الدموع.

صعــدت فــوق أمــي وأمســكت بكتفيهــا، جاذبًــا إياهــا خــارج الكابينــة بقــدر مــا اســتطعت مــن حــرص، لكــن سرعــان مــا تبــيَّن أنــه لا مجــال للتأنــق أو الرحمــة في هــذه المهمــة، كان الأمــر أشــبه بمحاولــة تحريــك جــوال عمــلاق مــن الحســاء والبقســماط.

جذبتهــا بقــوة وانزلقــت مــن الكابينــة وســقطت بطريقــة خشــنة عــلى أرضيــة الغابــة.

قلت: "آسف يا ماما..".

دخلـتُ الكابينـة وأغلقـت بابيهـا، ومـلأ صريرهـما المعـدني أرجـاء الغابـة.

لـو كانـت كارا قريبـة، لـو لم تكـن قـد جـرت بسرعـة إلى السـيارة الجوجـل، لكنـت هدفًـا سـهلًا أمامهـا الآن.

والآن كل ما كنت بحاجة إليه أن تدور الشاحنة اللعينة.

عـلى حسـب تقديـري، كانـت رابضـة هنـا منـذ أكتوبـر، مـن ثمانيـة إلى اثنـي عـشر أسـبوعًا. عندمـا تقـف في وضـع اسـتهلاك منخفـض، وهـي مشـحونة تمامًـا، مـن المفـترض أن تسـتغرق سـتة شـهور قبـل أن تنفـد بطاريتهـا. ولـو أن أمـي توقفـت في نفـس محطـة الشـحن التـي توقفنـا عندهـا في أوجـو كالييـنتـي، قبـل 28.4 ميـلًا، فيجـب أن يكـون بهـا شـحن وافـر، حتـى في موديـل قديـم مثـل هـذا. أمـا لـو لم تفعـل، حسـنًا، ربمـا سـأموت خـلال الثلاثـين دقيقـة القادمـة.

ضغطت زر تشغيل المحرك.

لا شيء.

حاولت مرة أخرى.

أزَّت المحركات ببطء.

ثم توقفت.

"هيًا".

ألقيت نظرة عبر الزجاج الأمامي، ومرآة الرؤية الخلفية، والمرايا الجانبية.

لا وجود لكارا.

حاولت مرة أخرى.

أزَّت المحركات مرة أخرى، أسرع هذه المرة.

"هيَّا!".

في المحاولـة الرابعـة، أزَّ المحـرك منبعثًـا إلى الحيـاة وظـلَّ يئـز. غـيَّرت السرعـة، دارتْ الإطـارات الجـرداء حـول نفسـها لعـدة ثـوانٍ بـدت بـلا نهايـة، ثـم وجـدت لنفسـها سـبيلًا للحركـة.

تمايلـت الشـاحنة إلى الأمـام، وأدرتُ عجلـة القيـادة، معيـدًا الشـيفروليه في اتجـاه الطريـق، ضاغطًـا عـلى بـدال السرعـة الآن بقـوة لأن كل ثانيـة معطلـة تمنـح كارا فرصـة لـــ...

انهمـر الرصـاص عـلى الجانـب الأيمـن مـن الشـاحنة، مفجـرًا النافـذة، ومـا تمنيتـه أن تسـتقر شـظايا الزجـاج فقـط في جانـب وجهـي، ولم تكـن الضربـة لرصاصـة قنـص واحـدة مخترقـة بـل رنـين متقطـع لطلقـات آليـة كاملـة.

رأيـت أسرع لمحـة منهـا، واقفـة في ذلـك المعطـف الأسـود في بقعـة مـن ضـوء الشـمس جعلـت شـعرها الباهـت الشـقرة يتوهـج، وهـي تسـند بندقيـة آليـة إلى كتفهـا.

رأيت ومضة فوهة البندقية...

غطسـتُ إلى أسـفل بينـما يتلقـى الزجـاج الأمامـي الرصـاص، ثـم رفعـت رأسي مـرة أخـرى، منحرفًـا في الوقـت المناسـب لأتجنَّـب الاصطـدام بشـجرة.

بينـما كانـت مؤخـرة الشـيفروليه تتلقَّـى وابـلًا ثقيلًا مـن النـيران، ألقيت نظـرة عـلى الطريـق مـن بعيـد ولمحـت الجوجـل الزرقـاء وصندوقهـا مـا زال مفتوحًـا.

خرجـتُ مـن الغابـة، وضغطـتُ عـلى الفرامـل، وأوقفـتُ الشـيفروليه التـي صرخـت بحـدة إلى جـوار سـيارة كارا ببضـع أقـدام.

كان إطلاق النار قد توقف.

أمسكت بالبندقية، وفتحت الباب المجاور لي.

قبضت على البندقية في مستوى الخصر، وأطلقت دفعة رصاص عبر الإطار الخلفي الأيمن، غاصت الجوجل قليلًا، أطلقت النار على الإطار الخلفي الأيسر. في الوقت الذي كان يمكنني بالتأكيد أن أسبق كارا فوق الامتداد الصخري الأخير من الطريق، كانت سيارتها لتلحق بالشاحنة في يسر على الأقسام الأكثر انبساطًا.

ظهرت كارا من الغابة.

لم أتردد - فقط وضعتها في دائرة التصويب وأطلقت ثلاث طلقات، غطست خلف شجرة واقعة وألقيت البندقية داخل الشاحنة، وقفزت بداخلها، وضغطت على بدال السرعة حتى التصق بأرضية السيارة.

طرتُ على الطريق وسط هزات مدمرة، والشاحنة يبدو كأنها قد تتفكك في أي لحظة.

رفعت السرعة إلى أربعين ميلًا في الساعة، وأنا لا أكاد أرى عبر الزجاج الأمامي المتكسر. تغطى مقعدي بالدماء، وأحسست كما لو أن أحدهم يدفع منخاسًا ملتهبًا في رقبتي.

ظللت أراجع المرآة الجانبية، في شبه توقُّع بأن أرى الجوجل تندفع مقتربة، لكن لم يكن هناك إلا ذيل من الغبار البرتقالي.

خفت اندفاع الأدرينالين في دمي، وبدأ ألمي يزداد قوة.

بعد عدة أميال، كان عليَّ أن أبطئ سرعتي لأني لم أعد واثقًا بقدرتي على إبقاء الشاحنة على الطريق، شعرت بمشكلة في الرؤية ودوار شديد...

لم أعرف كم مرَّ من الوقت منذ أصابتني كارا، لكني كنت أنزف منذ وقت طويل، كنت متأكدًا من هذا، احتجت إلى إيقاف النزيف وإلا سأموت.

مـددت يـدي وسـددت بهـا الجـرح، نـزَّ الـدم مـن بـين أصابعـي، لم أسـتطع القيـادة والضغـط عـلى الجـرح، لكـن كان عـليَّ أن أسـتمر في القيـادة، كان عـليَّ أن أبتعـد عنهـا قـدر المسـتطاع.

بـدأت أدخـل في صدمـة نقـص حجـم الـدم؛ التـي تحـدث بعـد أن يفقد الجسـم البـشري عشريـن في المائـة مـن دمائـه. صـار معـدل تنفـسي أسرع وأقـل مـما يجـب، وشـعرت أن ضغـط الـدم الانبسـاطي لـديَّ يهبـط إلى مسـتويات خطـيرة.

شـعرت فجـأة بحلـول ارتبـاك بـارد عـليَّ، وحاولـتُ أن أظـل متعاليًـا عـلى كل هـذا، حاولـت أن أسـتخدم قـوة عقـلي لأظـل منتبهًـا، حيًّـا، لكـن عدمًـا رماديًّـا كان يزحـف حـول أطـراف رؤيتـي.

***

نغمة.

مدوية.

مستمرة.

نادتني، بخفوتٍ، في أعماق هذا الظلام الثقيل.

كان رفـع رأسي أصعـب عمـل بـدني في عمـري، وعندمـا رفعتهـا، انتهـت الضجة.

فتحت عينيَّ.

دخل الضوء متكسرًا.

ذقـت الـدم في فمـي، كان ينسـال عـلى وجهـي، كنـت مـا زلـت جالسًـا وراء عجلـة القيـادة في الشـيفروليه القديمـة. وأمـام غطـاء المحـرك تمامًـا، رأيـت الجـذع المتمـوج الضخـم لشـجرة حـور، كنـت قـد اصطدمـت بهـا.

كانت هناك أبنية في الجوار.

رأيت أطلال ميس أميجوس.

كان هناك شخص ما واقفًا إلى جوار نافذتي، وببطء أدرت رأسي، وعيناي تطرفان في مواجهة شمس الشتاء الساطعة.

كان في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره، وكان ينظر إليَّ عبر النافذة، إلى ما تخيلت أنه واحد من أكثر المشاهد إزعاجًا في حياته الصغيرة.

أنا أنزف حتى الموت في الكابينة الفائحة بنتن الجثة لشاحنة مغربلة بالرصاص.

"نيثيسيتاس أيودا؟"[1]

أتى صوته عاليًا ومكتومًا عبر الزجاج.

قلت: "سي.." بدا صوتي ضعيفًا جدًّا، "بور فافور".[2]

ظهر الآن أشخاص آخرون في الشارع خلفه، ينجرفون نحو حادثة السيارة الوحيدة تلك في قلب قريتهم الهادئة.

ولم يكن بمقدورهم أن يعرفوا -ولا بمقدور أي أحد- أن الرجل المحتضر داخل الشيفروليه حارب للتوِّ معركة من أجل مصير نوعنا.

معركة خسرها.

(1) أتحتاج إلى المساعدة؟ بالإسبانية في الأصل.

(2) نعم.... من فضلك.

الجزء الثاني

"إن قدرتنا على قراءة تسلسل شريطنا الوراثي بها مقومات مفارقة فلسفية. هل يمكن لكائن عاقل أن يفهم التعليمات اللازمة لصنع نفسه؟"

ـ جون سولستون

7
بعد عام

اليوم 11 فبراير، وقد رأيت الماء اليوم في لمحة عابرة فقط حيث هبَّ خيط من البخر من جهة البحر. الرياح تصلصل في مصاريع النوافذ المضادة للعواصف والمطر يغطي النوافذ باستمرارٍ، وضعت فقط كتلة خشب أخرى في الموقد.

كنتُ أخطط للبقاء هنا أسبوعًا واحدًا فقط، لكن ربما أبقى لوقتٍ أطول، ثمة برِّية منسيَّة في هذا المكان تتحدث إليَّ.

تخبرني من أكون.

وما أنا صائر إليه.

أغلب الوقت أجلس فقط بالقرب من نافذة المطبخ، أراقب تحولات البحر، خلال الوقت القصير الذي قضيته هنا، رأيته في

عكارته الرمادية وفي سكونه اللامع. رأيته غامضًا بينما تضرب عاصفة ما البرّ (كما يحدث اليوم) ورأيته ورنيشًا أسود لامعًا تحت القمر.

ثمة شعور هنا -أكثر من أي مكان آخر ذهبت إليه- بأن البحر له حضور، وحضور متقلب... مزاجي، شرس، رائق.

ومتحول دائمًا.

أعتقد أنكِ وآفا كنتما لتحبان المكان هنا. عندما يكون الطقس جيدًا، ثمة ممرٌ قصيرٌ يهبط الجرفَ إلى الشاطئ، والبلدة على مبعدة ميلٍ واحدٍ فقط.

آمل أن تكوني سالمة، آمل أن تجدي طريقك نحو السعادة من جديدٍ، آمل أنك -لو حدث واجتمع شملنا مرة أخرى أبدًا- ستتفهمين لماذا كان عليَّ أن أدعك تعتقدين أني رحلت، هذا لأني أعرف قلبك يا بِث، ستعرضين سلامتك وحريتك للخطر كي تجديني.

أفتقدك بجنون، وأضحي بأي شيء...

توقفتُ عن الكتابة، رفعت عينيَّ عن منضدة المطبخ، ونظرت خارجًا عبر النافذة إلى البحر، شطبتُ الجملة الأخيرة، ووضعت القلم على الورقة مرة أخرى.

أنا لستُ صادقًا يا بِث، أنا أكتب أشياء كان ليكتبها لوجان القديم، مدفوعًا بأثرٍ من حنين إلى حياتي الماضية. إذا لم يكن باستطاعتي أن أكون صادقًا معك، حتى عندما يكون ذلك مؤلمًا، فما الجدوى من الأمر؟

لقد أصبح التفاعل مع الناس تحديًا. تخيلي معرفة ما يحاول أحدهم أن يقوله قبل وقتٍ طويلٍ من أن يتمكّن من قوله بأسلوبه الركيك. تخيلي أن تكوني مدركة بشدة لكل تعبير متناهي الصغر يكمن وراء كلماته. تخيلي وجود هوة بينك وبين كل شخصٍ آخر.

تخيلي الشعور بأنك لم تعودي بشرية على الإطلاق. بالنسبة إليَّ، الآن، يشبه التحدث إلى شخصٍ بالغٍ ألمعي ما اعتدت أن أشعر به وأنا أقيم حوارًا مع طفل في العاشرة من عمره، أعرف أن هذا يبدو حقيراً، لكنها الحقيقة.

يمكنني استدعاء كل لحظة من وجودنا المشترك، لا أراك فقط كلمحة لما كنتِ عليه في لحظتنا الأخيرة معًا - مطبخنا في أرلينجتون، وأنت تضبطين قهوتك الثانية لذلك اليوم، قليل من اللبن، نصف عبوة صغيرة من سكر سبليندا البديل، وأنا أتوجه نحوك لأقبِّلك قبلة الوداع في طريقي إلى الخروج من الباب، وأنت توقفين ما كنت تفعلين وتنظرين إليَّ في عينيَّ وتقبِّلينني بصدقٍ، وليس بطريقة آلية، ولا أحد منَّا يشك في أنه لن يرى الآخر مرة ثانية.

أراك بِث التي كنتيها ذلك اليوم في السجن، فتاة الخامسة والعشرين في طقمها الرسمي الأول، تحاول أن تخفي توترها. أرى بِث في سريرها بالمستشفى، مرهقة ومبتهجة، تحتضن ابنتنا لأول مرة. أراكِ في الصباح الذي سمعتِ فيه بأن أباك قد مات. وفي مساء يوم أربعاء منذ ستة أعوام ونصف لم يكن به شيء مميز على الإطلاق إلا حقيقة أننا حظينا بأكبر متعة نلناها معًا على الإطلاق... زجاجتا نبيذ وضحك وحوار عظيم وقليل من الدموع... كل ما هو حقيقٌ بنا.

كل هذه اللحظات تتساوى في واقعيتها جميعًا بالنسبة إليَّ، كل هذه اللحظات لك، ما يكسر قلبي أني لا أستطيع أن أعيشها مرة أخرى. وربما ما يزيد من ألمي معرفتي أني -حتى لو استطعت- لن أشعر الآن بما شعرت به وقتها.

في السنة الأخيرة، مررتُ بما يساوي عمرًا من التغيير.

أنا بالكاد أشبه ذلك الرجل الذي قال لك وداعًا في مطبخنا، أظن أنك ستعتقدين أني أصبحت متحفظًا، منسحبًا، منطويًا، وربما باردًا حتى.

لقد توقف المطر، السحب تنقشع، نور الشمس يضرب المسلات البحرية. إحدى هذه النتوءات الصخرية، لو ضيقت ما بين عيني تمامًا، تشبه سفينة منحوتة من الصخر.

ها هي الحقيقة، التي أقسمتُ ذات مرة أن أقولها لك دائمًا: لو أرخيت العنان لنفسي، ربما أسقط في دوامة شديدة الظلمة، ربما أدع فراقنا ووحدتي يمزقانني، لكني أقوى من ذلك الآن.

هذه أشياء من الصعب كتابتها.

أخشى أني لن أراكِ مرة أخرى أبدًا.

وأنا خائف أيضًا بنفس القدر من أني سأتغيّر أكثر من اللازم، وكذلك علاقتنا.

***

تركت القلم، وأغلقت الدفتر، كان ممتلئًا برسائل متشابهة -بعضها لبِث، وبعضها لآڤا- لقد أصبحت الكتابة إليهما شكلًا من الروتين الذاتي. كتبتُ رسائل لن أرسلها أبدًا كي أتذكر كيف كان الشعور بكونك فردًا في عائلة. كي أتذكر كيف كان الشعور بكوني إنسانًا، كي تقودني العاطفة، إلى حدٍّ ما على الأقل. إن قدرتي على الشعور عضلة ضامرة، لو توقفتُ عن استخدامها تمامًا، سأفقدها كليةً.

كان الوقت أول المساء، وكنت جائعًا.

كتبت رسائل سريعة إلى المحققين السيبرانيين والسريين والعاملين في شركات ممن جنّدتهم للعثور على كارا. ثم نهضت، وتمطيت، وجذبتُ معطف المطر من مشجب المعاطف قرب باب المطبخ.

خرجت إلى امتدادٍ من العشب الزمردي نحو حافة الجرف.

ارتطمت الأمواج في صوتٍ كالرعد بالصخور، إلى الأسفل بتسعين قدمًا.

وبينما كنت أهبط ممرًّا منحدرًا بزاوية حادة إلى الشاطئ، فكرت في كارا للمرة الثامنة اليوم.

عندما أطلقت أختي النار عليَّ، دخلت الرصاصة عضلتي الدالية اليسرى، ومزَّقت العضلة لكنها أخطأت ترقوتي وضفيرتي العضدية، استقرت في عضلة صدري اليسرى، أعلى قلبي ببوصتين. بوصتان فقط كانتا الفارق من دون أن تكون رصاصة قاتلة.

نزفت تقريبًا حتى الموت في شاحنة أمي المحطَّمة على ما يمكن أن نسميه بالطريق الرئيسي في قرية فاليسيتوس.

نُقلت إلى مستشفى في سانتا في، حيث أنقذ الأطباء حياتي.

لا يوجد في نيو مكسيكو إبلاغ إلزامي عن حوادث إطلاق النار، ولم يكن بمقدوري إلا أن آمل أن يحترم الفريق الطبي العلاقة السرية بين الطبيب والمريض وألا يتصلوا بقوة إنفاذ القانون لسؤالي عمَّا حدث في فاليسيتوس.

لكن لم يكن هناك سبيل للتيقن من سير الأمور.

كل لحظة رقدت فيها في هذه المستشفى كنتُ أخاطر بالقبض عليَّ.

بعد اثنتي عشرة ساعة من دخولي، أجبرت نفسي على النهوض من السرير. كانت ملابسي قد مُزقت عني في حجرة العمليات، وبدا السير متعثرًا في شوارع سانتا في برداء المستشفى في منتصف الليل أشبه بطريقة مؤكدة النجاح للكشف عن نفسي واحتجازي.

لـذا فتشـت في أدراج حجـرات المـرضى الآخريـن حتـى وجـدت طقـم ملابـس لسـيدٍ أكـبر سـنًا وافـق مقاسـها مقـاسي.

خرجـت مـن مستشـفى سـان فنسـان في الساعة 3:45 صباحًـا إلى ليـلٍ قـارس الـبرودة ومعـي مـا يزيـد قليـلًا عـلى خمسـمائة دولار نقـدًا مـن بقايـا الفـترة التـي قضيتهـا مـع كارا.

لم تكن معي بطاقة شخصية، ولا بطاقات ائتمان، ولا هاتف.

كانت أصعب ليلة في حياتي.

أصعب من السجن.

أصعب من فترة الشك في المحبس.

كنت في عذاب.

مرهقًا.

متجمدًا من البرد.

دون تحسيني، أنا واثقٌ أني كنت لأموت.

دخلـت محطـة القطـار عندمـا فتحـت واشـتريت تذكـرة ذهـاب فقـط في أول قطـار سريـع إلى ألباكـركي. كانـت سـانتا في بالنسـبة إليّ أصغـر مـن أن أمكـث فيهـا، وبـدت ألباكـركي مـن نوعيـة الأماكـن التـي يحـدث فيهـا مـا يكفـي مـن العنـف اليومـي لأن تواتينـي فرصـة الإفـلات مـن رادار البحـث.

أدفأ الضوء القادم عبر النافذة وجهي.

والهدهدة الرقيقة لعربة القطار أرسلتني إلى النوم.

هزَّني المحصِّل ليوقظني عندما دخلنا محطة مونتانيو.

ترنَّحتُ نازلًا من القطار، وتقيَّأت في سلة مهملات.

اشـتريت شاشًـا، وضـمادات إسـعافات أوليـة، ومرهـم مضـاد حيـوي، وأقـراص تايلينـول المُسـكنة مـن أول صيدليـة رأيتهـا.

خلعـتُ قميـصي في الحـمَّام. كنـت أنـزف عـبر آخـر لفـة ضـمادات وضعوهـا لي في المستشـفى. وضعـت منشـفة ورقيـة عـلى جـرح دخـول الرصاصـة حتـى تجلـط مـن جديـدٍ، وغمرتـه بالمضـادات الحيويـة، وأعـدت ربـط كل شيء بضـماداتٍ جديـدة.

قبـل انتهـائي مـن هـذا، كنـت أكـثر تعبًـا حتـى مـن أن أقـف، نمـتُ عـدة سـاعات في مقصـورة، مسـتندًا إلى جانـب مرحـاض قـذر حتـى وجـدني عامـلٌ في متجـر وطـردني.

في الخارج مرة أخرى، ثقلت عليَّ ورطتي.

كنتُ مفلسًا، مشردًا، مصابًا بشدة، مطاردًا.

ولأني لم أسـتطع التوقـف عـن رؤيـة الأنمـاط في كل مـكان حـولي، كنـتُ مـدركًا بشـكلٍ مـؤلمٍ ألا شيء مـما أعانيـه جديـد. كـم مـن النـاس كانـوا متعَبـين، مفلسـين، بردانـين، ووحيديـن في الشـوارع؟ ولا أحـد منهـم كان يملـك المـوارد الضخمـة التـي وفَّرهـا لي تحسـيني كي تنقذهـم.

لاح بـرج جـرس كنيسـة مـن بعيـدٍ، بمنظـرٍ جانبـي عـلى خلفيـة مـن سـماء نيـو مكسـيكية زرقـاء عـلى نحـو يفطـر القلـب.

استجمعت نفسي بأفضل ما يمكنني ودخلت إلى المكتب الأمامي.

أشفقت عليَّ امرأة طيبة وسمحت لي باستخدام الهاتف.

في ثالث ملجأ اتصلت به وجدت سريرًا متاحًا.

***

بعـد بضعـة أيـام في الملجـأ، كان جرحـي مـن الرصاصـة يلتئـم بسرعـة، واسـتطعت أخـيرًا أن أسـير مـن دون الإحسـاس بالرغبـة في السـقوط.

تحـوَّل تركيـزي إلى إيقـاف كارا. قبـل أن يمكننـي فعـل ذلـك، كنـت بحاجـة إلى حريـة الحركـة، وكي أمتلـك حريـة الحركـة، سـأحتاج إلى هويـة مضـادة للرصـاص، وسـيتطلَّب هـذا وقتًـا ومـالًا.

كانت مشكلة المال معضلة.

مع تحسيني، يمكنني أن أحصل على أي وظيفة في العالم.

إلا أني لا أستطيع.

كنـت لوجـان رامـزي، وهنـاك أنـاس يقلبـون هـذا البلـد رأسًـا عـلى عقـب ليجـدوني.

السـطو، السرقـة، التزويـر - كل هـذا بـدا موجهًـا إلى العمـل ضـد جهـودي كي أظـل متواريًـا.

لكـن وفقًـا لبحثـي عـلى الإنترنـت في المكتبـة التـي كنـت أتـردد عليهـا خـلال النهـار، كانـت هنـاك سـتة كازينوهـات في ألباكـركي.

هكـذا اشـتريت بعـض الثيـاب في متجـر للملابـس المسـتعملة، وهيَّـأت نفسـي، ودخلـت أول كازينـو بعـد أسـبوعٍ مـن إطـلاق كارا للرصـاص عـليَّ.

جعلتنـي الكامـيرات متوتـرًا، كانـت موجـودة في كل مـكان. ستسـتمر حشـياتي الجلديـة عامًـا عـلى الأقـل، لكنـي سأكتشـف خـلال فـترة قصـيرة إن كانـت التغيـيرات التـي أحدثتهـا بوجهـي في فرجينيـا الغربيـة كافيـة لخـداع الـذكاء الاصطناعـي المميـز للوجـوه الـذي كان بـلا شـكٍّ يمسـح قواعـد البيانـات الخاصـة بكامـيرات المراقبـة في كافـة أنحـاء البلـد.

لكن في ضوء كل ما حدث، لم يكن الأمر مهمًّا في الحقيقة.

كنت بحاجة إلى المال، ولم يكن لديَّ أي خيارات أخرى.

سـتكون ماكينـات الحـظ مضيعـة كاملـة للوقـت، وبالنسـبة إلى لعـب الـورق، يمكـن لعبقـري رياضيـات مثـلي أن يحسـب بالتأكيـد أوراق اللعـب،

لكن ضد صندوق أوراق لعب -يحتوي ما بين ست إلى ثمان رُزَم ورق لعب- سيستغرق الأمر ببساطة وقتًا أطول من اللازم، وأي نجاح سيكون بدافع الحظ الخالص.

لكن البوكر كان يمثِّل فرصة شيقة، لقد لعبت حصتي العادلة منه ولم أكن قط بارعًا فيه في حياتي السابقة،

لكن الآن...

صار حساب احتمالات الرهان فجأة أمرًا لا يتطلَّب جهدًا، وما إن أجلس إلى الطاولة، حتى يمكنني على الفور استدعاء كتب استراتيجيات البوكر السبعة التي قرأتها سريعًا بالأمس في المكتبة، والتي ركزت على كيف تقرأ أوراق الخصم بناء على مراهناته، وكيف تراهن في الرهان المبدئي الكبير إن كنت تاليًا على أول لاعب بعد موزع الورق مقابل الرهان المبدئي الصغير إن كنت أول لاعب بعد الموزع، مقابل المواقع المتأخرة.

تلك لعبة تتطلب قوة حصانية على الحساب والقدرة على استيعاب العديد من مجموعات القواعد المحددة بسرعة. وبعيدًا عن التقنيات الرياضية، البوكر في النهاية هي فقط قراءة الناس، انفعالهم، محاولتهم لإخفاء ذلك الانفعال، خوفهم، سأمهم، خداعهم، ندمهم؛ ومن ثم القيام بالاختيارات وفقًا لذلك.

جلست إلى طاولة تكساس هولديم بلا حدٍّ أقصى[1] مساء يوم جمعة ووضعت على اسمي 432 دولار. كنا ثمانية لاعبين على الطاولة،

---

(1) تيكساس هولديم هي إحدى أنواع البوكر، وتُعد أكثر لعبة شيوعًا في البوكر في جميع الكازينوهات وصالات لعب البوكر في الولايات المتحدة وأوروبا، تتكوَّن لعبة التكساس هولديم من الموزِّع وهو الذي يقوم بتوزيع الأوراق على اللاعبين، وتسع لاعبين كحد أقصى. يبدأ الموزع بتوزيع الأوراق بمقدار ورقتين لكل شخص. ويعني لعب تكساس هولديم بلا حدٍّ أقصى أن باستطاعة اللاعبين المراهنة بأي مبلغ يفوق الحد الأدنى للرهان على مجموع الفيشات لدى اللاعب فوق الطاولة.

وعندما وزَّع الموزِّع أول مجموعة ورق، بدأ جرح كتفي ينبض، قمتُ بتقسيم الألم إلى أجزاء صغيرة، وبدأت اللعب.

لاحظت -حتى مع اللاعبين الأفضل- ارتفاعًا بسيطًا في الحاجبين عندما يلتقطون بطاقة لعب ممتازة لم يكونوا يتوقعونها. و"غوصًا إلى الداخل" بطريقة غير محسوسة عندما لا تأتيهم. صغتُ معادلات لكل خصم لتتبع تسريباته العاطفية. لو رأى فيديل -الشخص الجالس أمامي- ورقة وكان رد فعله كشف ما يزيد على عشرة بالمائة من بياض عينيه، كنت أعرف أنه أتاه شيء أفضل من زوج من الأوراق المتشابهة. ولو كشف عشرين بالمائة؟ سأمتنع عن المراهنة في هذا الدور، إلا إذا اعتقدت أن لديَّ من أوراق اللعب ما يضمن لي هزيمته.

سرَّب اللاعبون المختلفون أسرارهم عبر تعبيرات مختلفة متناهية الصغر.

ثمة امرأة كانت دائمًا تُجعد أنفها بحركة اشمئزاز لا تكاد تبين عندما ترى ورقة لعب لا تساعد دورها، كأنها تفوح برائحة سيئة.

وولد صغير كان معدَّل نبضه يرتفع أعلى من 110 عندما يحاول الخداع، كل مرة.

تطلَّب الأمر مني بضعة أدوارٍ كي أقرأ كل واحد منهم، لكني سرعان ما صنَّفت ردود أفعالهم المتباينة، مراقبًا حالاتهم المزاجية وهي ترتفع وتنخفض مع توزيع الأوراق الثلاث الأولى المكشوفة، والجولة الثالثة من المراهنة، والجولة الأخيرة.

عندما لعبت أدواري وازداد حسابي من الفيشات، لم أستطع أن أمنع نفسي من التساؤل إن كان هذا ما كانت تحس به أمي طوال أغلب حياتها الرشيدة. كأنها تدير وتفكر وتعمل أسرع عشر مرات من أي شخص آخر. فهمت كيف أن هذا ربما بنى واجهة من الغطرسة، وفي الداخل الأعمق، عزلة شديدة. لم تكن لديها قدرتي على التقسيم

العاطفي، لذا لا بد أن إحساسها بالبُعد عن الجميع -مساعديها من باحثي ما بعد الدكتوراه، أصدقائها، وحتى عائلتها- كان إحساسًا ساحقًا.

غادرت تلك الليلة ومعي 1907 دولار، وبدا مبلغًا طيبًا مثل أول نقود كسبتها في حياتي عندما قمت بجزٍّ العشب للجيران في الصيف الذي أتممت فيه عامي الثاني عشر.

كل ليلة، كنت أذهب إلى كازينو مختلف.

وببطء أعدت بناء ثروتي.

قبل نهاية الأسبوع الثاني، كان لديَّ ثمانية آلاف دولار، وكنت ألعب على طاولات أكثر تنافسية، بل إن لاعبًا أسرَّ إليَّ ناصحًا بأمر لعب عالي المخاطر في مكان تحت الأرض بمدينة ريو رانتشو.

غادرت الملجأ وتركت لهم أكبر تبرع استطعت أن أقدمه، بعد ذلك حجزت في أرخص نُزُل أمكنني أن أجده، وكان يؤجر الغرف بالأسبوع.

كنت ألعب البوكر في الليل، وفي النهار، بدأت عملية بناء هويتي الجديدة.

كان صنع هوية من الصفر يتجاوز مجموعة مهاراتي، ولم أثق بأن تزودني شبكة الإنترنت السوداء بوثائق موثوق بها.

بأرباحي، اشتريت حاسوبًا محمولًا وبدأت البحث عن شخص بعينه يمكنني سرقة هويته.

يجب أن يكون هذا الشخص في مثل سني تقريبًا، وله وجه مشابه لوجهي بدرجة كافية حتى يمكنني تكبير ملامحي لخداع نظام الذكاء الاصطناعي واسع الانتشار لتمييز الوجوه. ويجب أن يكون مولودًا في مدينة بعيدة عن مدينة ميلادي في بيركلي، كاليفورنيا، في مكانٍ لم أذهب إليه من قبل وحيث لا أعرف أحدًا. يجب أن يكون هذا

الشخص ميتًا، لم يتزوج قط، وبلا أطفالٍ. كنت بحاجة إلى شخص له أثرٌ خفيفٌ على وسائل التواصل الاجتماعي. والنموذجي أن يكون موته قد حدث خارج البلاد، في كارثة ما تسبَّبت في خسائر جماعية.

كانت الفكرة أني لو وجدت أحدًا تنطبق عليه هذه المعايير، فمن غير المرجح أن ترتبط سجلات ميلاده الشخصية بسجل وفاته، ما يعني أن هويته وحرية الحركة التي ستتيحها لي كانتا تطفوان هكذا في الأثير البيروقراطي، منتظرتين أن أمسك بهما.

بالطبع سيكون هذا بحثًا شاقًّا، لكن الآن صار لديَّ التركيز والسعة لحرث آلاف من سجلات الوفيات في أمسية واحدة، بينما أنصت إلى كتب صوتية بسرعة مضاعفة وألتزم بتذكر كل كلمة منها.

عندما أجد هذا الشخص، سأنقب على نحو أعمق لأكشف تاريخ ومكان ميلاده، واسم والديه، واسم أمه قبل الزواج.

ما إن أحوز هذه المعلومات، سأبحث عن أرخص مساحة مكتبية في ألباكركي، وأجعلها مقرًّا لي، وأكتب خطابًا لقسم السجلات الحيوية باسم شخصيتي الجديدة، لأطلب شهادة ميلاد جديدة.

بشهادة ميلاد وبضع خطابات معنونة على مكتبي في ألباكركي لتكون دليلًا بمحل إقامتي، يمكنني الحصول على رخصة قيادة.

بعد ذلك يمكنني طلب رقم تأمين اجتماعي جديد.

وبعد ذلك جواز سفر.

هكذا سأشق طريقي.

***

وصلت إلى الشاطئ وتوجهت شمالًا، مخلفًا آثار أقدامي في الرمل البارد المشبع بالماء.

عوت الرياح.

كنت أتضور جوعًا.

فكرت أني يمكن أن أسير إلى البلدة لأتناول العشاء، أجلس في حانة، أطلب شرابًا.

كانت الهوية التي وجدتها لرجل اسمه روبي فوستر، كان من مدينة دولوث بولاية مينيسوتا، وفقد حياته في رحلة عمره، عندما شبَّت النيران في قارب نهري وغرق في منتصف الليل داخل نهر الأمازون في بيرو.

بنيت هويتي الجديدة من هويته.

كسبت ما يكفي من المال من المقامرة لشراء سيارة.

كنت قد أصبحتُ معروفًا في مجتمع البوكر الصغير في ألباكركي؛ وهو ما كان يعني أن الوقت قد حان للرحيل.

كانت الرغبة في العودة إلى الديار، إلى بِث وآقا ما زالت موجودة، لكني بشكل عقلاني كنت أعرف أني لو تركت نفسي لفكرة الذهاب إليهما، لن أنهي ألمي، بل سأخلق المزيد منه.

سأجذبهما إلى موقفي المستحيل.

كنت متأكدًا أني اكتسبت الموضع السري الأعلى في قائمة أكثر المطلوبين من وكالة الحماية الجينية. لم يعرفوا أن أختي هي التي حررتني من المزرعة، رغم أنهم لو كانوا أذكياء، لارتابوا في أمرها إلى هذا الحد وحاولوا أن يتتبعوا أثرها، لكنها كانت جانية بنفس القدر، وشريكتي. من منظورهم، أنا قتلت العديد من العملاء ومتعهدي الأمن، وهربت عازمًا على العمل مع أمي لإدخال تحسين جيني في النوع البشري كله.

مجـرد السـماح لزوجتـي وابنتـي بمعرفـة أني حـي سـيعرض حياتهـما للخطـر.

ورغم ذلك - كان ضعفي يكاد يغلبني.

أردت فقط أن أخفف ألمهما، أن أجعلهما تعرفان أني حي.

***

بدا ذلك أشبه بعملٍ صغيرٍ.

لكـن طريـق رجوعـي إلى أسرتي، طريقـي إلى البيـت، لم يكـن عـبر البـاب الأمامـي لمنزلنـا، لكـن فقـط عـبر العثـور عـلى كارا وإيقافهـا، عـبر دفـن لعنـة رامـزي، يمكننـي العـودة إلى البيـت مـن جديـدٍ.

عـلى الأقـل هـذا مـا قلتـه لنفـسي، لكـن حقيقـة أصعـب وأعمـق وأكـثر ألمًـا بـدأت بالفعـل تهمـس بذاتهـا إليّ:

ربما حلقتَ بعيدًا عن البيت أكثر من اللازم. ربما لا سبيل هناك للعودة.

***

كنت دائم التنقل.

صرت بدويًا.

ذهبت إلى أجزاء من البلاد لم أرها قط من قبل.

مرتفعات الأوزارك.

جبال وايت في نيوهامبشير.

كانـت رؤيـة أمريـكا مرتحـلًا -الأماكـن البعيـدة عـن الطريـق، الأماكـن النائيـة، الشـوارع الرئيسـية- خـبرة عميقـة. فهمـت معاناتنـا الجماعيـة الآن في ضـوء جديـد. واجهـات المحـال الفارغـة والرفـوف العاريـة، النظـرات القاسـية واليائسـة مـن الشرفـات الأماميـة عندمـا أمـرُ إلى جوارها بسـيارتي.

كان هناك تفاوت صارخ في نوعية الحياة.

يمكنـك أن تقـف في وسـط مدينـة واشـنطن العاصمـة وتعتقـد أنـك تعيـش في المسـتقبل اللامـع والمـشرق. ثـم تقـود سـيارتك إلى سـاحل خليـج المسيسـبي، الـذي ضربتـه سـبعة أعاصـير مـن الفئـة الثانيـة في العِقـد الأخـير وتركتـه بـلا اقتصـاد يمكـن الحديـث عنـه، وتتسـاءل متعجبًـا كيـف وجـد النـاس الإرادة كي يسـتمروا في العيـش.

في أماكـن أكـثر مـما تتخيـل، لم يكـن هنـاك إلا القـدرة الكالحـة عـلى البقـاء.

وخلفها: الغضب.

كان يمكنني البقاء في مكانٍ واحدٍ، لكن فضولي دفعني إلى الترحال.

قضيـت شـهرًا عـلى بحـيرة في ويسكونسـن، حيـث كان ضـوء مسـاءاتي الصيفيـة الموحشـة يمتـد إلى مـا بعـد العـاشرة، ويبـدو المـاء كالزجـاج إلى أن تقفـز سـمكة، وتبقـى الشـمس متوانيـة؛ كأنهـا ضيـفٌ لا يرغـب في الرحيـل.

ذات أصيـل في منتصـف أكتوبـر، وأنـا أقـود سـيارتي عـبر جبـال سـموكي، رأيـت لافتـة لموضـع إطلالـة عاليـة توقفـت عندهـا مـع أسرتي قبـل ثـلاث سـنوات في عطلـة نهايـة أسـبوع طويلـة.

انعطفت إلى ساحة انتظار السيارات، وأطفأت المحرك.

أطلَّ المنظر على غابة نارية غطَّت أقدم جبال في العالم.

قفزت من فوق السور الحجري، وهبطت إلى مرج منحدر.

عندما دخلت الغابة، اكتشفت سريعًا ضجة ماء جارٍ.

كان جـدولًا صغـيرًا، والهـواء أبـرد ولـه رائحـة أحـلى بالقـرب مـن الضفـة. منـذ ثلاثـة أعـوام -1115 يومًـا كي أكـون دقيقًـا- جلسـتُ في هـذه البقعـة تحديـدًا. تذكـرت بشـكل تـام خـبرة مشـاهدة الجـدول متدفقًـا عـبر

هـذه الغابـة العتيقـة. كان المشـهد مهيبًـا بالنسـبة إليَّ، أثـرت فيَّ بعمـق سـكينة هـذا المـكان، وامتـلأتُ بهجـة وأنـا أنصـت إلى آفـا وبِـث تتحدثـان عـلى الناحيـة الأخـرى.

لكـن، في الحقيقـة، لم أكـن قـد رأيـت أي شيء مـن هـذا، لم يكـن هـذا المـكان إلا مـرآة تعكـس حالتـي العاطفيـة الهشَّـة لي.

لم أعد ذاك الرجل.

الأشياء التي أثرت فيه لم تعد تؤثر فيَّ.

اليوم، رأيت المكونات ذاتها التي خلقت هذا المشهد.

جلاميـد الحجـر الرمـلي المتحولـة في التيـار، سريـان الجـدول، نمـوذج التعريـة عـلى الناحيـة الأخـرى مـن الضفـة، الـذي أظهـر أدلـة عـلى فيضـان صيفـي، سـمكات السـلمون المرقـط الأربـع الثابتـة في التيـار - واثنتـان منهـما مصابتـان بـداء الميخـوط الدماغـي. الطريقـة التـي انكسر بهـا الضوء فـوق المـاء بزوايـا لا حـصر لهـا، والتوازنـات التـي خلقتهـا خلـف الظـلال، وكل ورقـة شـجر سـاقطة، زاهيـة، ميتـة، دفعتهـا نسـمة رقيقـة رطبـت في تبخرهـا ظهـر عنقـي، والرائحـة القويـة للزيـوت الطبيعيـة الأساسـية في أيـكات شـجر الـورد والغـار الجبـلي ورائحـة المـوت الخريفـي للسـكريات والمركبـات العضويـة المتحللـة في مليـار ورقـة، وخلـف كل هـذا رائحـة التحلـل الأضعـف والمتناميـة رويـدًا رويـدًا -التـي لم أسـتطع أن أشـمَّها إلا عندمـا هبَّـت ريحٌ خفيفـة مـن الشـمال- لتشـير إلى بقايـا غـزال أو حيـوان قـارض عـلى مبعـدة ربـع ميـل.

قضيت ساعة ألاحظ فقط ما حولي.

وكان يمكننـي أن أقـضي عامًـا في دراسـة كيـف تشـكَّلت كل الأجـزاء المكوِّنـة لهـذه البقعـة الغُفـل مـن الأرض معًـا.

وشعرت بوخزة افتقاد لذاك اللوجان، للرجل الذي كنته منذ 1115 يومًا، الذي استمتع في بساطة بمكان شاعري.

***

تحوَّلتُ إلى لاعب بوكر على الإنترنت. كان الأمر أصعب دون ميزة قراءة الوجوه، لكني وجدت النقاء الخالص للرياضيات مريحًا. راعيتُ أن أخسر مرات كافية كي أمنع الخوارزميات من حظري، لكن بضع مراهنات كبيرة كل أسبوع كانت كافية للعيش، وكل شيء قابل للدفع بالعملة المشفرة، لم تكن للمال أي أهمية بالنسبة إليَّ تتجاوز الحرية التي يوفرها.

استأجرت محققين سريين في كل ولاية للبحث عن أختي.

وضعت نفسي مكانها وحاولت أن أتخيل الأشياء التي ستحتاج إليها كي تكمل عمل أمي.

عدت بتفكيري إلى حواراتي مع إدوين.

نفس الأشياء التي أخبرته أن أمي ستحتاج إليها كي توزع تحسينها ستحتاج إليها كارا أيضًا: مختبر في المستوى الرابع من السلامة البيولوجية، فريق عمل ما بين فردين إلى خمسة أفراد، رغم أنها نظرًا إلى افتقارها إلى الخبرة قد تحتاج إلى عددٍ أكبر. أشخاص بارعين في البيولوجيا الجزيئية، علم الفيروسات، علم الوراثة الحاسوبي، الأمن.

سيتوجب أن يعرف فريقها ما يخلقونه، سيتوجب أن يكونوا مستعدين للمخاطرة بتعرضهم للسجن، كيف لي أن أجد مثل هؤلاء الناس؟

سيكون الأمر شاقًّا، وأنا الذي جئت من ذلك العالم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

لـو كنـت مـا زلـت أعمـل لصالـح الجـي بي إيـه ولـديَّ القـدرة عـلى الوصـول إلى مواردهـا، لدخلـت إلى نظـام ميسـتيك، وحاولـت أن أعـثر عـلى كارا باسـتخدام قاعـدة بيانـات تمييـز الوجـوه الخاصـة بكامـيرات المراقبـة.

ظللـت أعـود إلى المعالـج فائـق النطـاق أو معالـج التلديـن الكمـي الـذي سـتحتاج إليـه.مكتبة .. سُر مَن قرأ

أمـا بقيـة معـدات المختـبر فيمكنهـا شراؤهـا في السـوق السـوداء، وهذه المعامـلات سـيكون مـن المسـتحيل تتبعهـا تقريبًـا. لكـن المعالجـات ليسـت بالـشيء الـذي تسـتطيع شراءه سرًّا، لم يكـن هنـاك شيء غـير قانـوني فيهـا، هـي فقـط باهظـة الثمـن جـدًّا وليسـت شـائعة للغايـة، لكنهـا تعلـم أني لهـا بالمرصـاد، وسـتحاول أن تخفـي مسـاراتها.

ثمـاني شركات فقـط هـي التـي أنتجـت نـوع المعـدات التـي سـتحتاج إليهـا: أتـوم كومبيوتينـج، زانـادو، آي بي إم، كولدكوانتـا، زاباتـا كومبيوتينـج، آزور كوانتـم، سـترينجووركس.

اسـتأجرت محققـين سريـين مشـتركين لإيجـاد قوائـم العمـلاء وأوامـر الـشراء، مـدركًا بالطبـع أن هنـاك احتماليـة أخـرى.

لعـل أمـي أنشـأت بالفعـل مختـبرًا بـه كل شيء نحتـاج إليـه لتحقيـق ثمـار تحسـينها، وربمـا كان موقعـه مدسوسًـا في الحقيبـة الصلبـة التـي تركتهـا لنـا في تلـك البريـة النيـو مكسـيكية، والتـي ربمـا ضمَّـت طرقًـا للاتصـال بفريـق عمـل.

لـو كان هـذا هـو الحـال، فـإن كارا في طريقهـا بالفعـل إلى إنهـاء عمـل أمـي وبـدء المرحلـة التاليـة.

***

الآن بعـد أن امتلكـت المـخ الـذي طالمـا أردتـه، قـررت أن أتأكـد مـن صـدق ادعـاء أمـي: **إن نهايـة الإنسـان العاقـل تلـوح في الأفـق، يمكننـا أن**

نراها بألف مقياس. بالطبع كنت أصدق هذا، لكني أردت أن أعرفها حقًّا، أن أفهم تلك المقاييس بنفسي.

هناك بيانات تساوي عدة أعمار كي أُلِمَّ بها، ولا جدوى -بعد أن جرى تنظيم بوابات التمرير لديّ بالنقص- من قراءة كتاب واحد فقط في كل مرة ثانيةً.

يمكنني أن أقرأ بعيني في نفس الوقت الذي أسمع فيه كتابًا صوتيًّا، وأستوعب كل واحد منهما بدقة تصل إلى سبعين في المائة.

قرأت كل شيء، قرأت باستمرارٍ، قرأت بسرعة، لم أنم تقريبًا.

آلاف المجلات العلمية، والدراسات التي استندت إليها المقالات، والبيانات التي وراء الدراسات.

تمعَّنتُ في مخاطر كارثية بشرية على الكوكب -تلك التي سبَّبها السلوك البشري- في مقابل المخاطر الطبيعية، مثل البراكين الهائلة، والكويكبات، والتهديدات الكونية الأخرى: الإرهاب النووي، الإرهاب البيولوجي، الأوبئة الطبيعية والمخلَّقة، حوادث تكنولوجيا النانو، الذكاء الاصطناعي الفائق، المجاعة، الحرائق، الفيضانات، ارتفاع مستوى البحار، ارتفاع درجة حرارة المحيطات والاحتباس الحراري، تطرف الطقس، نقص المحاصيل، الانهيار الزراعي، إزالة الغابات، التصحر، التلوث الضخم للماء وندرته، استنفاد الموارد المعدنية، انهيار شبكة الطاقة، كل أنواع الحروب (السيبرانية، النووية، الأهلية، الجينية، المدارية).

فيما عدا الذكاء الخارق الجامح أو ثورة تكنولوجيا النانو، سنكون أمام مزيجٍ من التهديدات، تعمل جميعًا بخطة مشتركة على انحطاط الحضارة البشرية إلى درجة الخطر الشديد.

لقـد محـت مجاعـة أمـي اثنـين في المائـة فقـط مـن تعـداد الكوكـب، لكـن بعـد عشريـن عامًـا، مـا زلنـا نجاهـد لإطعـام النـاس. لقـد قتلـت التأثـيرات التاليـة ملايـين آخريـن وتركـت حتـى الطبقـات العليـا مـن الحضـارة في حالـة مـن الدمـار.

ولم يمكـن تقييـم التهديـدات ذاتهـا في معـزلٍ عـن غيرهـا. كان لا بـد للانحيـازات المعرفيـة أن تدخـل كعامـلٍ في المعـادلات المعقـدة: انعـدام الحساسـية للنطـاق؛ وهـو مفهـوم يقـول بـأن البـشر لا يحسـنون التمييـز بـين مائتـي ميـت ومليـوني ميـت. الخَصـم القَطعـي؛ وهـو الميـل إلى تثمـين العوائـد الأدنى قصـيرة المـدى عـن العوائـد الأكـبر طويلـة المـدى، أو القيـام اليـوم باختيـارات سـتفضل ذاتنـا المسـتقبلية ألا نكـون قـد قمنـا بهـا. وهنـاك الاسـتدلال المؤثـر؛ حيـث تؤثـر العواطـف في اتخـاذ القـرار المهـم. وهنـاك الشـعور بالثقـة المفرطـة؛ حيـث تكـون ثقـة المـرء بأحكامـه أو أحكامهـا أكـبر بكثـيرٍ مـن الدقـة الموضوعيـة لهـذه الأحـكام، وتلـك مجـرد بدايـة.

كلـما التهمـت المزيـد مـن المعلومـات، بـدأتُ أفهـم حقًـا مـا رأتـه أمـي عندمـا تأمَّلـت حـال البشريـة.

نحـن حفنـة مـن الرئيسـيات اجتمعـت معًـا وشـيَّدت -ضـد كل الاحتـمالات- حضـارة رائعـة، لكـن للمفارقـة -وللمأسـاة- تفـوق تعقيـد إبداعنـا الآن كثـيرًا عـلى قـدرة أدمغتنـا عـلى إدارتـه.

بعبـارة أبسـط: موقفنـا خـرائي، ونحـن لا نفعـل مـا يكفـي كي نمسـح عنـه الخـراء.

رغـم كل غطرسـتها وطموحهـا وغرورهـا الـلا مبـالي، لم تكـن أمـي مخطئـة بشـأن الوجهـة التـي نتجـه إليهـا.

لكنهـا كانـت أيضًـا غـير معصومـة مـن الخطـأ، وقـد أثبتـت شـينزين ذلـك.

وهو ما يعني أنه مهما كانت المشكلة سيئة، لا يمكن أن يكون إطلاق إبداعها الأخير على العالم هو الحل.

***

سرتُ ميلًا بمحاذاة الشاطئ، ثم تتبعت دربًا رمليًا إلى مدينة ترينيداد بولاية كاليفورنيا.

انقلب الجو، وتدفقت زخات من البخر أرسلها الماء.

كانت تمطر، والتمعت أضواء المدينة في الغسق الأزرق - دعوة مريحة.

سرت في الشوارع الهادئة بينما يهبط الظلام، مستقرًا أخيرًا في حانة أكلها الملح ربضت على جرفٍ عالٍ يطل على البحر، تصاعد الدخان من مدخنة حجرية، بدت الرائحة أشبه بشواء سمك حقيقي.

كانت الحانة في الداخل مزدحمة ودافئة، جلست العائلات حول طاولات قرب المدفأة الحجرية يلعبون ألعابًا من مجموعة ملأت رفَّ كتبٍ كاملًا.

جلست على المقعد الوحيد الخالي عند البار.

أظهرت قائمة الطعام المكتوبة على السبورة السوداء خيارين فقط: سمكًا ورقائق بطاطس، وسمك القد بالليمون والزبد.

أتاني الساقي، وجهه الشرس وشعره الأشيب جعلاه يبدو إلى حدٍّ كبيرٍ جزءًا من الطبيعة المحيطة مثله مثل مسلات البحر التي أنهكتها الأمواج لطمًا.

سألته إن كان السمك حقيقيًا.

- اصطيد قرب الشاطئ هذا الصباح فقط.

- سأتناول السمك ورقائق البطاطس.

تعلقت ثلاثة أجهزة تليفزيون أعلى البار.

عـرض اثنـان مباريـات لكـرة القـدم -كان موسـم المباريـات النهائيـة- وواحـد عـرض الأخبـار.

في أثنـاء انتظـاري الطعـام، أخرجـت دفـترًا صغـيرًا بغـلاف جلـدي كنـت أحملـه معـي دائمًـا، وقلبـت الصفحـات حتـى وصلـت إلى أول صفحـة خاليـة، وبـدأت رسـالة جديـدة.

آقـا... أجلـس في حانـة في شـمالي كاليفورنيـا، منتظـرًا أول وجبـة سـمك حقيقـي أتناولهـا خـلال شـهور. أتذكريـن الخـمارة التـي ذهبنـا إليهـا في مدينـة فـورت ويليـام، عـلى شـاطئ بحـيرة لـوخ لاينـي في أسـكتلندا؟ الخـمارة التـي جـاء إليـك شـخص فيهـا وسـألك شـيئًا ولم تسـتطيعي أن تفهمـي كلمـة واحـدة مـما قالـه؟ تُذكـرني بهـذا المـكان.

ثمـة أب وابنتـه يلعبـان الدامـا قـرب المدفـأة ورائي، رأيتهـما عندمـا دخلـت وشـعرت برفـة عاطفيـة لمـا أعتقـد أنـه الوحـدة. لبرهـة، سـمحت لهـذه الوحـدة بالتنفـس، سـمحت لنفـسي أن تشـعر بالغـيرة من هـذا الرجل وابنتـه. سـمحت لنفـسي أن تفتقد مبارياتنـا في الشـطرنج، أحاديثنا في طريقنا إلى المدرسـة، سـمحت لنفـسي أن تفتقـد معرفـة كل شيء عـن حياتـك.

وبعد ذلك، بسهولة النقر على زر إضاءة، أطفأت ذلك الشعور.

عدت إلى قلبي الحجري.

بتجنُّـب مشـاعري، هـل أدفـع ذاتي أكـثر وأكـثر بعيـدًا عنـك؟ أقـول لنفـسي إني لا أملـك أي خيـار... إني لـو لم أغلـق هـذا البـاب، سـأجد نفـسي أحـاول التواصـل معـك ومـع أمـك، معرضًـا إياكـما للخطـر. وربمـا كان هـذا حقيقيًـا، لكنهـا ليسـت الحقيقـة الكاملـة. بالهـروب مـن ثقـل الشـعور الإنسـاني... بالعيـش دون كل ذلـك الغضـب، والحـزن، وانكسـار القلـب... يكـون الأمـر أسـهل بكثـيرٍ، أهـدأ.

"سيدي؟ آسفة على مقاطعتك، أيمكنك أن تناولني زجاجة الكاتشب؟".

رفعت عينيَّ عن دفتري إلى المرأة الجالسة على مقعد البار المجاور لي، كانت في الستينيات من عمرها، ذات عينين طيبتين واسعتين.

أمسكتُ بالزجاجة، وناولتها إياها.

سألتني وهي تلقي بنظرة نحو دفتري: "أتكتب القليل من اليوميات؟".

قلت، محاولًا أن أتحدث بسرعة طبيعية: "أكتب رسالة إلى ابنتي.." كانت تسعة أيام قد مرَّت منذ تفاعلت لآخر مرة مع كائن بشري آخر.

ظهر الساقي ذو الوجه المتعرج حاملًا طبقي -مأدبة مَجيدة من السمك ورقائق البطاطس- وقدحًا ثانيًا من الجعة العنبرية اللذيذة من مصنع بيرة محلي.

أغلقت دفتري ودسسته داخل حقيبة ظهري.

سألتني: "كم عمرها؟".

- خمسة عشر.

- أوه، أنت في قلب المعمعة.

منحتني التمشية من بيتي المستأجر في البرد شهية ضارية. منذ تلقيت تحسين أمي الجيني، وأنا دائمًا جائع، شككت أن للأمر علاقة بزيادة النشاط العصبي.

انكببت على وجبتي، التي كانت استثنائية بسبب ندرتها. لا يمكن لأي قدر من التجهيز أن يتغلب على المطاطية المتأصلة وغرابة الشعور بالوادي الغريب[1] للسمك الصناعي.

(1) يشير مفهوم الوادي الغريب في علم الجمال إلى أن الكائن المخلق الذي يشبه البشر الفعليين بشكل غير تام، يثير مشاعر غريبة مألوفة من الغضب والاشمئزاز عند المراقبين.

لكن هذا السمك، المجهز بطريقة مثالية والذي اصطيد حديثًا في محيط بإمكاني أن أراه من مجلسي، كان يتقشر بسهولة ويذوب في الفم.

قالت لتتابع الحوار: "أبنائي كبار..".

- كم عددهم؟

- اثنان، مارك في شيكاغو، وإيمي تعيش في منطقة الخليج" حكت لي عنهما وأنا آكل، ماذا يعملان كي يكسبا رزقهما، كيف يبدو أحفادها، قالت: "تمر الأيام بسرعة شديدة، ما اسمك؟".

قلت: "روبي..".

- أنا ميراندا، هل أنت من منطقة قريبة يا روبي؟" لم تكن تتصيَّد المعلومات بطريقة خبيثة، هي أيضًا لم تتفاعل مع أحد منذ فترة، استطعت أن أتبيَّن صرير قلة الاستعمال في صوتها.

- فقط أمرُّ بالجوار.

- وأنا مثلك، تلك مقطورتي في ساحة الانتظار، اشتريتها بعد أن رحل فرانسيس.

كنت قد رأيتها في طريقي للدخول، ولن أكون صادقًا لو قلت عنها إنها صالحة للسير.

- زوجك؟

أومأت برأسها.

أخذتُ رشفة من الجعة.

قلت: "أنا آسف جدًّا..".

كنت أتجنَّب عمدًا النظر بإمعانٍ أكثر مما يجب في وجه ميراندا وهي تتحدث، إن قراءة التعبيرات متناهية الصغر والنوايا، خاصةً

في مكان كهذا بينما أريد فقط أن أشعر بطبيعتي للحظة، يمكن أن تكون في غير محلِّها.

نظرت الآن إلى وجهها، رأيت واجهة من السلوكيات الطيبة والشجاعة تخفي أسى ما زال نيئًا لم يستطع أن يطفح على قشرة الجرح.

- فقدت المنزل بعد موته.

- تعيشين في المقطورة؟

- بالطبع، ليست بالسوء الذي ظننت أنها يمكن أن تكون عليه، أحاول أن أجد كارافان أربطه بها. بعضهم يتشاركون الموارد، لطالما تحدثنا أنا وفرانسيس عن شراء مقطورة تخييم بعد تقاعدنا؛ أن نرى كل الأماكن في البلاد التي رأيناها فقط في التليفزيون. لم يخطر ببالي قط أني سأفعل ذلك وحدي، وبدافع الضرورة؛ الحياة مدهشة دائمًا، أليس كذلك؟

تساءلت في نفسي كيف فقدت بيتها لكني لم أسألها، ربما نفس المأساة الهادئة التي طردت عددًا كبيرًا جدًّا من المتقاعدين من بيوت أعمارهم، انخسفت قيمة التأمينات الاجتماعية أرضًا في ظل التضخم.

قرعت قدحي بكأس نبيذها وقلت: "أحسنتِ قولًا".

سألتني: "ألا تسافر أسرتك معك؟".

- لا للأسف، هم هناك في الديار.

- وأين الديار؟

من الصعب تقديم إجابة عن هذا السؤال لشخصٍ يعيش على الطريق، ويرى من البلاد قدر ما يستطيع. تبيَّنتُ في لهجتها شيئًا من الساحل الشرقي -كونيتيكيت أو رود آيلاند- لذا انتقيت موقعًا نائيًا في الغرب.

"أريزونا الجنوبية".

استطعت أن أرى في عينيها أنها لم تذهب قط إلى هناك، استطعت أن أرى أيضًا أنها تريد أن تتطفل أكثر قليلًا على حياتي العائلية، لماذا كنت أسافر دونهم؟ ومرة أخرى، لم يكن هذا من منطلق أي ارتيابٍ خبيثٍ، بالأحرى كان فضولًا ووحدة.

رفعت عينيها إلى إحدى شاشات التليفزيون، ورأيت عينيها تتسعان، تتبعتُ نظرتها، ولأن التليفزيون كان مغلق الصوت، كل ما استطعت أن أراه ما بدت لقطات مصورة من طائرة من دون طيار تحلق فوق طريق سريع على ارتفاع عدة مئات من الأقدام.

كان الجنود يقيمون حواجز صفراء لامعة بعرض الطريق.

قرأت شريط الأخبار أسفل الشاشة:

مدينة جلاسجو بولاية مونتانا توضع تحت الحجر الصحي القسري العسكري بعد موت 95 من مرض غامض

تساءلت ميراندا: "هل كنت تتابع هذا؟".

- لا، ماذا يجري؟

- على ما يبدو نوع ما من الفيروسات.

حدقتُ إلى شاشة التليفزيون، لكنَّ الترجمة النصيَّة لم تكن مُفعَّلة، كل ما استطعت أن أراه هو تلك الطائرة الصغيرة المحلِّقة. انتقلت الشاشة إلى منظرٍ لجنودٍ يرتدون بدلات واقية وأجهزة تنفُّس يسيرون في منتصف ما يمكن أن يكون شارعًا رئيسيًّا، في أي مكانٍ.

بعيدًا عن فضولي العام تجاه قصة إخبارية عاجلة، كان هناك شيء آخر في العنوان الذي احتلَّ شريط الأخبار أزعجني.

شعرت بعقلي الباطن يحفر نفقًا بحثًا عن الرابط، لكن ميراندا كانت بالفعل تتحدث من جديدٍ، وتسألني إلى أين كنت متجهًا بعد ذلك.

حاولت أن أبقى مهذبًا ومنشغلًا ببقية وجبتي، مخفيًّا فضولي داخل ركنٍ ناءٍ من عقلي كي أعود إليه لاحقًا.

عندما قامت ميراندا كي تذهب إلى دورة المياه، دفعت ثمن وجبتي ووجبتها وكنت أنزلق من فوق مقعدي عندما عادت نحو البار.

"هل أنت راحل؟" كانت هناك وخزة من الحزن في صوتها.

قلت: "سأقود غدًا لفترة طويلة، وهو ما يعني ضرورة أن أنطلق مبكرًا".

وعندئذٍ عانقتني، وتوتُّر الحاجة الخالصة والعزلة أشبه بذبذبات في عظامها. لو اخترت أن أسمح بذلك، لغلبني تعاطفي معها.

- استمتعت فعلًا بلقائك يا روبي.

تمنيت لها رحلات آمنة.

ثم خرجتُ إلى البرد والمطر المنهمر.

رغم أني كنت في مدينة، فإن هاتفي كان بلا شبكة.

وكان الجو أكثر ظلامًا ومطرًا من المجازفة بالصعود من الشاطئ إلى الجرف إلى بيتي المستأجر، لذا جريت جنوبًا على الطريق خارجًا من المدينة.

أسرع وأسرع.

إحدى المباهج القليلة التي لا تستدعي الندم في تحولي كانت قدرتي البدنية المحسَّنة، سخن جسدي كماكينة مثالية، لم أكن فقط في الكفاءة التي كنت عليها في سن العشرين، كنت أفضل أضعافًا

مضاعفـة. لم يعُـد يزعجنـي عـلى الإطـلاق كاحـلي المعطـوب الـذي لم يلتئـم قـط بشـكلٍ كامـلٍ بعـد التـواء سيئ في الثلاثينيـات مـن عمـري، ولا التهـاب المفاصـل في ركبتـي اليـسرى. كان بمقـدوري أن أشرب سـتة كـؤوس، وأنـام لبضـع سـاعات، وأصحـو منتعشًـا وممتلئًـا بالنشـاط، ولم أعُـد أصـاب بالمـرض قـط. لقـد كنـتُ عـدَّاء في صبـاي إلى أن انحـدرت بي أخـيرًا أوجـاع وآلام جسـدي في منتصـف العمـر إلى مسـتوى الدراجـات الثابتـة وماكينـات التجديـف في صـالات التمرينـات الرياضيـة مكيفـة الهـواء، لكـن الآن، لم تعـد لـديَّ مشـكلة. جريـت مسـافات ماراثونيـة فقـط لأجـل الجـري. صعـدت الجبـال عَـدوًا، سـبحت في بحـيرات جبليـة، كانـت طاقتـي بـلا قـرارٍ، شـعرت أني لا أُقهـر.

عندمـا لمحـتُ أضـواء كوخـي القريـب مـن البحـر، أدركـت كُنـه مـا يتعلـق بـذاك العنـوان في شريـط الأخبـار الـذي كان يـزنُّ في رأسي كذبابـة. في رحلـة عـودتي إلى الوطـن مـن الصـين إلى أمريـكا، عندمـا تركـت مختـبر أمـي إلى الأبـد منـذ عشريـن عامًـا، قـرأت مقـالًا في مجلـة بالطائـرة يصـف جلاسـجو بولايـة مونتانـا بأنهـا أبعـد مدينـة في أمريـكا، كانـت المعـالم محـددة، مـا هـو المـكان الـذي يزيـد عـدد سـكانه عـلى ألـف، والأبعـد عـن خـط مـترو في مدينـة سـكانها عـلى الأقـل خمسـة وسـبعون ألفًـا؟ كان أقرب خـط مـترو لجلاسـجو عـلى مبعـدة أربـع سـاعات ونصـف.

كيـف يمكـن لأبعـد مدينـة في أمريـكا أن تكـون نقطـة انطـلاق لتفـشي فـيروس جديـد؟

كنت غارقًا تمامًا بالماء عندما دخلت من باب الكوخ.

علقـت معطـف المطـر وتجـردت مـن ثيـابي المبتلَّـة، لم يكـن في موقـد الحطـب شيء إلا جمـرات متوهجـة، فتحـت البـاب الزجاجـي، وألقيـت بضـع قطـع مـن الخشـب بالداخـل.

ثم فتحت التليفزيون وتوقفت عند أول قناة إخبارية وجدتها.

كانت نشرة رأس الساعة، والمذيع يقول:

"... تراقب تطورات الموقف في شمال شرق مونتانا، حيث مات خمسة وتسعون شخصًا في الأسبوع الماضي نتيجة مرضٍ غير معروف. وصلت السي دي سي (مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها) منذ يومين، واستُدعي الحرس الوطني لفرض أمر حجر صحي أصدره حاكم مونتانا يقضي بالتزام الناس بيوتها، كما يجري تطبيق الأحكام العرفية، وكل الطرق المؤدية إلى جلاسجو والخارجة منها مغلقة، ومنذ ثلاث ساعات، تم حظر تغطية الواي فاي داخل جلاسجو".

على الشاشة، تغيَّرت اللقطات لتُظهر فريقًا من الأطباء في بدلات واقية يحملون شخصًا خارج منزل في حقيبة جثث.

"من المتوقع أن تعقد السي دي سي مؤتمرًا صحفيًّا في أي لحظة الآن، وسننضم إلى ذلك ما إن يحدث، في هذه الأثناء ينضم إلينا دكتور...".

انتقلتُ إلى القناة الإخبارية التالية.

وجدت عالِم أوبئة يتكهن بأن هذه يمكن أن تكون سلالة خبيثة من الأنفلونزا تحديدًا، لكن كان من الواضح أنه يُفبرك الكلام لملء الوقت ولا يملك أي معلومة حقيقية.

القناة الإخبارية التالية التي انتقلتُ إليها كانت فقط تلخص ما سمعته بالفعل.

تركت التليفزيون مفتوحًا وذهبت إلى حاسوبي المحمول على طاولة المطبخ، وقمت ببحثٍ إخباري سريع عن جلاسجو، قرأت ثلاثين مقالًا من مصادر إخبارية حقيقية، لكن لم يكن هناك شيء جديد.

وسائل التواصل الاجتماعي كانت بالوعة من نظريات المؤامرة والميمات، لكني ظللت أرى مقطع فيديو واحدًا يجري تشاركه.

كتمت صوت التليفزيون وضغطت مؤشر التشغيل.

كان مقطعًا مدته دقيقة وواحد وعشرون ثانية، مغبش الصورة، ومصورًا بهاتف محمول.

بدأ بفتاة مراهقة تميل مقتربة من الكاميرا التي كانت تحملها. في الخلفية كانت هناك ضجة تشبه ضحكًا هيستيريًا، لم يكن من الممكن أن أتأكد بسبب الجودة الفقيرة، لكن بدا أن ثمة دموعًا في عينيها.

"لا أعرف ماذا يحدث هنا".

وقفتْ وسارتْ عبر مساحة ضبابية.

كان الضحك يتعالى أكثر.

وكانت هي تتحرك نحوه.

عندما توقفت أخيرًا، رأيتُ أنها كانت واقفة في غرفة معيشة كابية الإضاءة بمقطورة مزدوجة الاتساع.

حوّلت كاميرا هاتفها، أظهرت الكاميرا رجلًا هزيلًا يجلس في مقعدٍ كبيرٍ له سنَّادة للأرجل، كان يرتعد بعنفٍ، وكل بضع ثوان، كان يُطلق ضحكة متفجرة لا يمكن وصفها إلا بالمَرَضية.

"بابا، ما الخطب؟".

لم يُجِبها، لم ينظر حتى إليها.

"ماذا يحدث لك يا بابا؟".

حاول أن يقف، لكن توازنه كان ضائعًا.

تعثَّر ساقطًا، وتمدَّد على الأرض.

تشوش المنظر في الكاميرا بينما كانت الفتاة تتحرك مرة أخرى، مندفعة عبر صالة ضيقة، الغرفة التالية التي دخلتها كانت غرفة نوم.

جلست امرأة في رداء حمَّام نصف مفتوح على طرف السرير، كانت تهتز أيضًا، رغم أنها لم تكن تهتز بنفس العنف.

"ماما، دعيني آخذك إلى المستشفى".

"المسـ.تش..فى ملآاااان".

"سأقود بكما أنتما الاثنين إلى بيلينجز".

"اخرجيييي!!! اخرجيييي!!!".

انقضَّت عليها أمها.

حدث قطعٌ، وبعد ذلك كانت الفتاة في غرفتها، تبكي الآن.

"الأمر هكذا في كل مكان، مدينتنا تتمزق، أعتقد أني سأصاب بالمرض أيضًا؛ طوال الليالي الثلاث الماضية، جسدي كله يوجعني. الاتصال برقم 911 لا يفلح، قدت المقطورة إلى المستشفى، لكنَّ هناك طابورًا أمام الباب، نحن بحاجة إلى المساعدة. لا أعرف ماذا...".

انطلقت تلك الضحكة البشعة مرة أخرى، خلفها مباشرة.

أدارت وجهها نحو ظلٍّ يقف في مدخل غرفتها.

وانتهى المقطع.

جلست في صمت الكوخ، والمطر يسقط في خطوط على النوافذ.

كان نبضي يرتفع: 109. 110. 115.

جرت مشاركة الفيديو أربعين ألف مرة.

طالعت التعليقات بسرعة.

"اللعنة! أهكذا تبدأ قيامة الزومبي؟".

"هل هناك شخص آخر يفكر مثلي أن هذا الرجل يجب أن يمثِّل دور الجوكر في الفيلم القادم؟".

"أيتها العاهرة، إنهما على وشك أن يأكلاك، اجري!".

"ضعيهما في سيارة وانطلقي بهما إلى مستشفى فورًا".

لم تكن هناك أي معلومة حقيقية يمكن التقاطها، لم أستطع حتى التأكد إن كان الفيديو حقيقيًا.

عندما ألقيتُ نظرة نحو التليفزيون مرة أخرى، رأيت أن المؤتمر الصحفي قد بدأ.

عدت إلى غرفة المعيشة، وجلست بالقرب من موقد الحطب، ورفعت درجة الصوت.

كان القائد رقيب أول جاكسون تولماك يتحدث أمام حزمة من الميكروفونات بينما تهبط طائرة نقل عسكري بوينج سي 17 على مدرج في الخلفية. وكان يقف وراءه رئيسي القديم: إدوين روجرز.

"... حواجز ضد الصدمات عند تقاطع الطريق السريع رقم 2 والطريق السريع رقم 24 في الجانب الجنوبي الشرقي من المدينة، والطريق السريع رقم 2 في الجانب الشمالي الغربي من المدينة، والطريق السريع رقم 246، وطريق إيتكين، والطريق السريع رقم 42. كل المدارس والشركات والمرافق الحكومية مغلقة. مطار جلاسجو ومحطة القطار مغلقان، كل القطارات في المسار الشمالي سيتم تغيير مسارها حول المدينة. لن تكون هناك خدمة هايبرلوب إلى جلاسجو. يظل أمر البقاء في البيت ساريًا بلا أي استثناءات جوهرية في النشاط. وصلت للتوِّ شحنة من الوجبات الجاهزة من الحرس الوطني الجوي بمونتانا، وسيتم توزيعها على كل السكان المتضررين في جلاسجو. إذا

كنتم بحاجة إلى رعاية طبية فورية، المستشفيات الميدانية تقام عند تقاطع الجادة الشمالية الأولى والشارع الشمالي الأول، والآن، سأنقل الكلمة إلى د. مانبيرل".

تنحّى القائد رقيب أول في الحرس الوطني، واقترب من الميكروفونات رجل يرتدي بدلة وله شعر بلون الأخشاب الطافية في الماء وذقن خفيفة نمت رغم حلاقتها في الصباح.

الرجل العسكري رجل عسكري، ينضح بهدوء الثقة بالقدرة على أداء المهام.

رغم الصورة غير الواضحة تمامًا استطعت أن أرى كم كان ذلك المانبيرل مذعورًا.

"مساء الخير. أنا ديفيد مانبيرل، مدير الاتصالات في السي دي سي. منذ خمسة أيام، جاءتنا التقارير الأولى من مستشفى فرانسيس ماهون ديكونيس فيما يتعلّق بمرض غير معروف الأصل. كانت هناك خمس حالات، وجاء المرضى جميعهم إلى المستشفى في غضون ساعاتٍ من أحدهم الآخر.

تضمّنت الأعراض تغيُّرات مفاجئة في الشخصية، وفقدان ذاكرة، وضعفًا في القدرات المعرفية، وأرقًا، وعدم اتساق، وارتعاشات بدنية، وانفجارات صوتية. كان المرضى قد لاحظوا الأعراض لأول مرة قبل ثلاثة أسابيع، ومرُّوا جميعًا بتدهورٍ عقلي ثابت. في اليوم التالي، أتى إلى المستشفى أحد عشر شخصًا بأعراضٍ مشابهة. في اليوم الثالث، زاد هذا العدد إلى ثلاثين. لدى المستشفى المحلي خمسة وعشرون سريرًا فقط، لذا أصبحت تلك أزمة طبية في وقتٍ قصيرٍ".

ألقى نظرة إلى ملاحظاته، ثم عاد للنظر إلى الكاميرا.

"حاليًا، لدينا 218 حالة فعلية. تحوَّلت المستشفى إلى مرفق فرزٍ ونحن نضيف المزيد من الأَسرَّة والمستشفيات الميدانية بالتنسيق مع الحرس الوطني والوكالة الفيدرالية لإدارة الطوارئ. ونحن نرسل بالطائرات أطباء وعاملي تمريض من كافة أنحاء البلاد. حتى عشر دقائق مضت، مات 104 شخص".

هتف مراسل صحفي:

"ما هو معدل الوفيات؟".

"حسنًا، حتى الآن مائة في المائة".

تساءل مراسل آخر:

"ما هو سبب الموت؟".

"يسقط المرضى آخر الأمر في غيبوبة وبعد ذلك يعانون مجموعة من حالات الفشل العضوي، لكنَّ الالتهاب الرئوي التنفسي هو السبب الرئيسي للموت".

تساءل شخٌص آخر:

"هل اكتشفتم المريض رقم صفر أو حددتم أي نوع من الأمراض تتعاملون معه؟".

"الإجابة باختصارٍ: لا، لكننا نجري عددًا من حالات تشريح الجثث".

أغلقتُ التليفزيون وجلستُ في صمت الكوخ، منصتًا إلى نقر المطر على النوافذ وهدير الرعد الأبدي للأمواج المتكسِّرة على الشاطئ بالأسفل.

في ذهنــي، أعــدت تشــغيل كل كادر مــن الفيديــو الــذي شــاهدته، وخاصــةً جــزءًا معينًــا: "أعتقــد أني ســأصاب بالمــرض أيضًــا، طــوال الليــالي الثــلاث الماضيــة، جســدي كلــه يوجعنــي".

كان بمقـدوري الإحسـاس بنظريـة تنبثـق مـن ضبـاب الاحتـمالات، وكان بمقـدوري الإحسـاس بنفـسي تقاومهـا بطريقـة لا واعيـة، ليـس لأنهـا بـلا جـدارة.

لأنهـا، لـو كانـت صحيحـة، تعنـي أن شـيئًا فظيعًـا قـد حـدث، شـيئًا أسـوأ حتـى مـن كل هـؤلاء النـاس الذيـن يموتـون.

دخلـت غرفـة النـوم الصغـيرة، أخرجـت حقيبـة ملابـسي مـن الخزانـة وملابـسي مـن الأدراج، وبـدأت أحـزم أمتعتـي بسرعـة.

كان الوقـت متأخـرًا والطقـس سـيئًا، لكـن لم يكـن بمقـدوري أن أضيـع ثانيـة واحـدة أخـرى.

سأغادر إلى مونتانا الليلة.

8

بعـد يومـين، كنـتُ منطلقًـا بسرعـة عـبر مونتانـا تحـت أكـبر سـماء رأيتهـا في حيـاتي، غـرب جلاسـجو بمائـة ميـل.

طبيعـة ذات أسى شـفيف. في السـهل الممتـد، كنـت ألمـح مـن وقـتٍ إلى آخـر حظـيرة أو مدرسـة صامديـن أمـام تقلُّبـات الجـو في بحـر مـن العـدم الواسـع الكبـير.

شِـبه مـدن أشـباح بنيتهـا التحتيـة الوحيـدة مكتـب بريـد ومطحنـة حبـوب.

مـزارع الريـاح في كل مـكان، بنصـال مطاحنهـا البيضـاء الـدوارة، كانـت الدليـل الوحيـد عـلى أني أقـود سـيارتي في الغـرب منتصـف القـرن الواحـد والعشريـن.

غير ذلك، بدت طبيعة الأرض كأنها خارج الزمن تمامًا.

ولم تكن المسافات فسيحة فقط، بل بدت فواصل بين مجرّات.

كنت أقود سيارتي المرسيدس سبرينتر الكهربائية رباعية الدفع، التي عدَّلتها لتغدو منامة مؤقتة ومختبر بيولوجيا جزئية أوَّليًا. مرَّت أوقات لم أستطع أن أجد فيها بيتًا للإيجار، وشكَّلت جنبات هذه الشاحنة الصغيرة جدران بيتي. كنت أفرد السرير الملحق بالسيارة، وأطفئ المحركات، وأسقط نائمًا على عواء ذئاب القيوط في صحراء سونورا، أو هدهدة الرياح الضارية فيما عاصفة كولورادو الثلجية تمحو العالم في الخارج.

غرب جلاسجو بخمسين ميلًا، فتحت الراديو وبحثت في الموجات حتى وجدت محطة الإذاعة الوطنية المحلية.

"... تختبر الحيوانات في مزارع المواشي واللحم في متاجر البقالة بجلاسجو. حتى الآن، لا توجد مؤشرات على أن اللحم الملوث باعتلال الدماغ الإسفنجي البقري، المعروف أيضًا باسم مرض جنون البقر، هو المسؤول عن الوفيات الذين بلغ عددهم 177 في جلاسجو منذ الأسبوع الماضي".

مررتُ بإشارتي مرور رقميَّتين متموضعتين على مبعدة بضع مئات من الياردات فيما بينهما:

الطريق السريع رقم 2 شرق بلدة هينزديل مغلق أمام كل حركة المرور المتجهة شرقًا

وبعد ذلك:

غيِّر مسارك شمالًا إلى الطريق السريع رقم 5، أو جنوبًا إلى الطريق السريع رقم 200

ظللت على اتجاهي إلى الشرق.

بلدة هينزديل في مونتانا، تعدادها 242، شيء يمكن أن يفلت منك لو طرفت بعينك، قامت في ظل توربين رياح طوله ألف متر.

بينـما كنـت أتهـادى عـبر الشـارع الرئيـسي، رأيـت أضـواء وامضـة مـن بعيـدٍ.

شرق البلـدة بنصـف ميـل، اصطفـت ثـلاث سـيارات دوريـة طـرق مونتانـا السريعـة لتسـد الجانبـين والحارتـين.

عندمـا اقتربـت مـن المتاريـس، خـرج شرطـي دوريـة مـن سـيارته، كان يرتـدي بنطـالًا كاكيًـا، وقميـص جيـش أخـضر بصـف أزرار، وقبعـة ذات حافـة مسـتطيلة.

أوقفت سيارتي على مبعدة عشرين قدمًا من السيارات الضخمة.

خـلال العـام الأخـير مـن حيـاتي البدويـة المتنقلـة، لم يحـدث قـطُّ، وعلى نحـو إعجـازي، أن أوقفتنـي الشرطـة. شـعرت بالثقـة بـأن التكبـير الشـخصي الـذي أجريتـه لوجهـي سـيصمد أمـام الفحـص، ورغـم أنـه لم يحـدث قـطُّ أن فحصـت قـوة إنقـاذ قانـون هويتـي، فقـد سـاعدتني جيـدًا في مـراتٍ أخـرى لا حـصر لهـا.

جعلت نبض قلبي يستقر عند 70 نبضة في الدقيقة.

رسم رجل القانون دائرة بإصبعه، طالبًا مني أن أخفض النافذة.

امتثلت.

كان يرتـدي نظـارة طيـار شمسـية عكسـت صـورتي خلـف عجلـة القيـادة. تسـاءلت في نفـسي إن كانـت النظـارة ذات إطـاري عـرض بصريـن يمكـن أن ينقـلا معلومـات ذات صلـة بي وبسـيارتي عـلى العدسـتين مـن الداخـل، أم هـي ببسـاطة نظـارة مـن الطـراز العتيـق.

لاحظـت التهابـات شـفرة الحلاقـة عـلى وجهـه وعنقـه مـن حلاقتـه الصباحيـة.

- افعل بي معروفًا وأغلق محركك.

أغلقت المحرك.

لم يعجبني أني لا أستطيع أن أرى عينيه؛ كانت قراءة حركة العين حتى الآن هي الوسيلة الأكفأ لفك شفرة الحالة العاطفية للشخص ومقصده.

سألني: "من أين أنت قادم؟".

كانت على سيارتي لوحة نيو مكسيكو.

قلت: "نيو مكسيكو".

- طيب، هل رأيت اللافتات المعلقة إلى الوراء بعشرين ميلًا؟

- بالطبع رأيتها.

- إذن أنت تعلم أن كل شيء حول جلاسجو مغلقٌ بسبب تفشي الوباء.

- أنا بيولوجي خلوي في مختبر لوس ألاموس الوطني، جلاسجو وجهتي.

رفع نظارته، وحدق إليَّ عبر عينين زرقاوين باهتتين.

- ما اسمك؟

قلت: "روبي فوستر..".

- رخصتك وتسجيلك.

كنت قد أعددتهما.

تناولهما، وسار عائدًا إلى سيارته من دون كلمة.

كانت الريح تسوط البراري.

ارتجفت سيارتي.

بعد خمس دقائق، خرج مرة أخرى من سيارته وسار نحوي.

- أهلًا بك في مونتانا يا سيد فوستر، أنت تعمل لدى السي دي سي؟

- بالأحرى أنا متعهدٌ مستقلٌ.

- طيب، نحن سعداء بوجودك.

كان مكتوبًا على بطاقة اسمه المعلقة على صدره: د. تروتمان. د كما في ديفيد.

كان واحدًا من قوات الولاية في مونتانا البالغ عددها 237 فردًا، وجزءًا من المنطقة الخامسة، وقاعدتها بلدة جلينديف، كانت المنطقة الخامسة تغطي ست عشرة مقاطعة، من ضمنها فالي، المقاطعة التي كنت فيها حاليًا. كان ديفيد في الرابعة والعشرين من عمره وتخرج في الأكاديمية منذ عام.

ما زال أخضر جدًا.

أبلغ الرقيب بيتسي لين، الذي أبلغ بدوره كابتن سام هيوتون، الذي أبلغ الميجور تومي ميدوز، الذي أبلغ كولونيل جينا سوايسجود. لقد قضيت ساعتين هذا الصباح في دراسة سريعة لتسلسل القيادة في دوريات الطرق السريعة بمونتانا وكيف تتفاعل حاليًا مع السي دي سي والحرس الوطني لمونتانا فيما يتعلق بجلاسجو.

كُلفت دوريات الطرق السريعة بمونتانا بمهمة تأسيس أوسع حلقة من نقاط التفتيش على مبعدة خمسة وعشرين ميلًا من مركز الوباء.

منذ ساعتين، اتصلت بالكولونيل جينا سوايسجود على رقم هاتف مزيف من أتلانتا، منتحلًا شخصية رون أورباخ؛ مدير السي دي سي للشؤون الحكومية الدولية والاستراتيجية. أعطيتها قائمة بثلاثة علماء متجهين إلى جلاسجو على الطريق السريع رقم 2، تضم القائمة كذلك أرقام لوحات الرخصة، وأوصاف السيارات، ومواعيد وصولهم المحتملة.

تساءل الجندي: "ماذا يوجد في ظهر الشاحنة؟" لم يكن متطفلًا أو مرتابًا، لمحتُ فضولًا حقيقيًا.

خرجت من السيارة، حتى من مبعدة نصف ميل، كان صوت نصال التوربين البيضاء الهائلة مسموعًا وهي تشق الهواء، مالئة إياه بنغمة متكررة ثقيلة ونائية.

فتحت الباب المنزلق، وكان أول ما رأيناه بدلة واقية معلقة من السقف.

كان هناك مُجمِّد إلى درجة حرارة سالب 20.

وجهاز فصل عينات مصغر.

وميكروسكوب ضوئي به كاميرا فيديو.

وماكينة رمادية فضية في حجم وشكل الميكروويف.

قلت له: "هذا جهاز تسلسل الحمض النووي ذو الموائع الدقيقة الرقمي الآلي. أرتدي بدلتي، وأتوجه إلى منطقة تفشِّي الداء، وأجمع حمضًا نوويًا من الأشخاص المصابين. خلايا جلد، مسحات مخاط، عينات دم. ثم أضع العينات في تلك الماكينة، التي تحلل الحمض النووي للكشف عمّا يمكن أن يحوي من أمراض، لو تمكّنّا من اكتشاف التسلسل، أو التوصل إلى معرفة ما تغيَّر جينيًا، فستكون لدينا فرصة في تصور أي نوعٍ من الأمراض نتعامل معه".

قال: "سمعت أن له علاقة ما باللحم الملوث؟".

شيء ما في صوته... أكثر من مجرد اهتمام مهووس.

- لا نعرف حتى الآن، أتعيش بالقرب من هنا؟

- مالتا.

- أنت تعرف أحدًا مريضًا.

كانت جملة تقريرية، وليست استفهامية، وأخذته على حين غرة.

- زوج أختي، يعيش هو وأختي في جلاسجو.

- أنا آسف لسماع هذا.

- لم أتمكَّن من الحديث معها طوال يومين.

- ما اسماهما؟

- تيفاني وكريس جارفيس.

- ما عنوانهما؟

كتبه لي على ظهر بطاقة تعريف شخصية، دسستها في جيبي.

- سأحاول الاطمئنان عليهما، سنكتشف لماذا يحدث هذا.

كان بمقدوري أن أرى أن عرضي أثَّر فيه، لكن كل ما قاله: "سأقدِّر ذلك كثيرًا جدًّا، لو رأيتها..."

راقبته وهو يحاول إزاحة مشاعره جانبًا.

- سأخبرها.

***

كان الطريق السريع بين هيندزيل وجلاسجو خاليًا كأننا في نهاية العالم، كنت أعرف أن هذا الحاجز الذي اجتزته للتوّ لن يكون الأخير أو الأكثر أمانًا بحالٍ من الأحوال، لكن لم تكن لديَّ أي نية في المجازفة عند نقطة تفتيش أمنية أخرى. ستكون نقطة التفتيش التالية تحت إمرة رجال من الجيش، وليس دورية طريق سريع متمركزة على مبعدة عشرين ميلًا وبعيدة عن متابعة الأحداث إلى حدٍّ كبيرٍ.

على مبعدة ثلاثة أميال من جلاسجو، أوقفت سيارتي خارج الطريق وصففتها تحت الشجرات الوحيدة التي رأيتها طوال اليوم،

مخبئًا إياها قدر ما استطعت. كانت أشجار حور، نمت بمحاذاة ضفة نهر ميلك، وهو رافد طوله 729 ميلًا لنهر ميسوري، الذي تصادف أن تدفق في محيط ربع ميلٍ من جلاسجو.

***

ضمَّت قائمة أمتعتي بدلة الوقاية، والموصل الجارمن، ومنظارًا مقربًا، ومسدسًا نصف أوتوماتيكي، ودرعًا للصدر واقيًا من الرصاص، وزوجًا من النايتشيدز (نظارة رؤية ليلية من الجيل التالي تشبه نظارات شمس أوكلي القديمة)، وحاسوبًا محمولًا، وكيسًا يضم حقنًا وأنابيب جمع عينات الدم وتخزينها.

بعد أن انتفخت تمامًا، لم تبدُ العوَّامة بالضخامة التي توقعتها، كنت قد اشتريتها بالأمس مقابل تسعين دولارًا من قسم الأدوات الرياضية في متجر سبوكين وولمارت.

حمَّلتُ أدواتي في العوَّامة وانتظرتُ الظلام.

من وقتٍ إلى آخر كانت تمر فوق رأسي حوَّامات وطائرات من دون طيار وطائرات عادية وهي تنخفض في طيرانها مقتربة من جلاسجو، لكن لم تمر مركبة واحدة على الطريق.

جلست مستندًا إلى جذع شجرة حور، مراقبًا الشمس وهي تنزلق تحت الأفق.

مع غياب الضوء، زاد البرد.

شاهدت أول نجمة تظهر في صفحة السماء.

في الساعة الثامنة، جررت العوامة إلى حافة النهر، وصعدت إليها، واستخدمت أحد المجاديف لأدفع نفسي في التيار.

كان الماء قارص البرودة.

طفت كتل من الثلج إلى جانب العوامة.

وكان القمر قرصًا من الفضة الوهَّاجة. ورغم أن رؤيتي الليلية الأصلية كانت قوية، فإن نظارات النايتشيدز جعلت كل شيء واضحًا جليًّا.

ولم يكن هناك صوتٌ إلا ذاك الصادر من وقتٍ إلى آخر عن مجدافي وهو يغطس في الماء الأسود المتجمد.

كان نهرًا مثاليًا للسباحة، حيث يمضي ببطء إلى اللا مكان، واسعًا ولا يفور ويزبد كثيرًا.

مضت الرحلة الهوينى، في مسارٍ لا يتتبع الطريق الداخل إلى المدينة، لكنه يلتوي وينعطف في خط سير أفعواني متعرج عبر بقع من الأراضي الزراعية.

استطعت رؤية الأضواء البعيدة للبيوت الريفية تتوهج كشموس خضراء والألق الممتد الجماعي لأضواء جلاسجو.

مرت ساعات عليَّ في الماء.

وفي كل مرة تتأرجح فيها العوامة دائرة حول منعطف في النهر، تتوهج أضواء المدينة أكثر قليلًا، وأقرب قليلًا.

ظللتُ منتبهًا يقظًا، مراقبًا بحرصٍ كل شبر على البرِّ. رغم أني كنت متشككًا في وجود أي نقطة تفتيش أمنية عند النهر، فإنك لا تعرف أبدًا ما يمكن أن يحدث. كان ظني أنه رغم عدم رغبة الحرس الوطني والسي دي سي في دخول الناس المدينة، فإن تركيزهم الأساسي سيكون على منع أهل المدينة من مغادرتها.

في الساعة 10:45 أصدر مُوصِّلي الجارمن طنينًا.

قضيت زمنًا طويلًا ليلة الأمس في دراسة صور جوجل إيرث بالأقمار الصناعية لجلاسجو والتضاريس المحيطة، وقبل أن أنطلق في

الماء، وضعت مؤشر نظام تحديد المواقع لما اخترت أن تكون نقطة وصولي.

جدفت إلى البر، وقفزت خارجًا من العوامة، وسحبتها إلى الأرض الجافة.

كان طرف المدينة على بُعد أقل من ألف متر شرق موقعي، على الجانب البعيد من حقل مفتوح.

أخرجت المنظار المقرب وتطلعت إلى المدينة.

من موقعي في مكمني، تمكّنتُ من رؤية نقطة تفتيش عسكرية عند الطريق السريع 246، على مبعدة نحو مائة ياردة غرب المدينة. كانت هناك حواجز خرسانية وأسلاك شائكة ممتدة بعرض الطريق، ونصف دستة جنود في زي الأمن البيولوجي ملتفين حول بضع سيارات هامفي العسكرية.

في أحد أبراج المركبات، رأيت جنديًا بنظارات رؤية ليلية يمسح ببطء وثبات الحقول المجاورة، ومن ضمنها الحقل الذي يتوجب عليَّ أن أعبره كي أصل إلى المدينة. لو اتخذت مسارًا أطول عبر الحقول وظللتُ منحنيًا نحو الأرض، فأنا متأكد بشكل معقول أني سيمكنني البقاء مختفيًا وراء المنحدَر.

خبّأت العوامة في الأشجار، ووضعت الحقيبة على كتفي، وبدأت الزحف الطويل البطيء نحو جلاسجو.

***

وصلت حافة المدينة عند منتصف الليل.

أنزلت حقيبة الظهر وأخرجت بدلتي الواقية، وأنا أقل قلقًا من أن أصاب بشيء وأكثر اهتمامًا بالتغطية التي من المأمول أن توفرها

لي. كم إشارة إنذارٍ يمكن أن يثيرها شخص يرتدي بدلة واقية يسير في منطقة تفشٍّ لداء؟

ارتديت درعي المغناطيسي وقضيت عدة دقائق مريرة وأنا أحاول أن أرتدي بصعوبة البدلة الواقية في الظلام. ثم ركَّبت جهاز التنفس الخاص بي، ثم دسست مسدسي نصف الآلي في جراب بديل اختلقته على فخذ البدلة، ووضعت حقيبتي على كتفي.

سرت بحذرٍ عبر مجموعة أشجار فصلت الحقل الذي كنت أزحف عبره عن أرض جلاسجو، كان أقرب مبنى عبارة عن محل لأدوات التجميل على حافة المدينة محاط بهياكل مركبات تصدأ بين الحشائش.

جثوت أرضًا وانتظرت لحظة لألاحظ ما حولي.

توهَّجت منازل متواضعة من بعيدٍ.

وفقًا لبروتوكول الحرس الوطني بمونتانا، تضع دورية تطبيق حظر التجول جنديًّا واحدًا على كل مربع سكني في المدينة من الغسق إلى الفجر، وستكون هناك أيضًا دوريات راكبة من سيارات هامفي أو مركبات برادلي القتالية تمر من وقتٍ إلى آخر.

دخل في الكادر جندي من الحرس الوطني يرتدي قناع وجه تكتيكيًّا يتوجه بعيدًا عني عبر منتصف شارع خالٍ إلا منه، وبندقيته الآلية في وضع استعداد. بعد أربع عشرة ثانية، ظهر جندي آخر يذرع أقرب شارع متقاطع في مسار متعامد، وبعد خمس ثوانٍ -وعلى بُعد مربعين من الأبنية- ظهر جندي ثالث، سار قليلًا في اتجاهي، ثم انعطف يمينًا.

سجلتُ سرعاتهم على التوالي، التي اختلفت بدرجات تراوحت بين .2، .1، .35 ميلًا في الساعة، ثم أجريت معادلة عقلية سريعة، راسمًا لنفسي مسارًا وسطهم وباحثًا عن حلٍّ لمنفذي الخفي.

في اللحظة المناسبة، تركت مخبأ الأشجار، متحركًا في خطوات سريعة خفيفة على رصيف ومنزعجًا من الرؤية المحدودة بسبب درع وجهي والهمود العام للمدخلات الحسية بسبب بدلة الوقاية.

سمعتُ:

كلبًا ينبح.

رجلًا ينشج بالبكاء وهو يتوسل إلى من تحمل اسم جين أن انهضي أرجوكِ.

صوتًا يخرج عبر مكبر صوت على مبعدة خمس أو ست مربعات سكنية، يصيح بتعليمات موجهة إلى جمهور ما.

ما بدا مثل طلقات نارية على الجانب الآخر من المدينة.

ومن أكثر من منزل سمعت تلك الضحكة المجنونة التي سمعتها في ذلك الفيديو المنتشر.

أقمشة -مماسح أطباق، مناشف، تيشرتات ممزقة- معلقة على كل باب تقريبًا مررت به، ثلاثة ألوان كانت كلها: الأخضر، والأحمر، والأسود.

وفقًا لـ (كي إل تي زد)؛ المحطة الإذاعية المرخصة لخدمة جلاسجو، كانت السي دي سي والحرس الجمهور قد أمرا كل بيت بالإبقاء على علامة بصرية متدلية من بابه الأمامي تحدِّد حالة الناس بالداخل.

الأخضر = لا مرض.

الأحمر = شخص بالداخل ظهرت عليه الأعراض.

الأسود = شخص مات بالداخل.

بينما كنت أقطع شارع إس التاسع، كان المنظر مروعًا - كل تاسع أو عاشر بيت كانت تتدلَّى قطعة قماش أسود من ثقب بابه.

عندما لمحت جنودًا جددًا يقومون بدوريتهم، أضفت المتغير الزائد إلى معادلتي.

أول بضع منازل اقتربت منها كانت أماكن لا يمكن الاقتراب منها؛ إما كلاب تنبح وإما أضواء بالداخل أو مغلقة بالأقفال. لم أكن بحاجة إلى أن ينطلق بسببي جرس إنذار، كنت بحاجة إلى منزل مظلم، بلا كلاب، وبباب غير موصد بأقفال.

إلى الشمال، لمحت مركز النشاط.

خيام بيضاء تلمع تحت كشافات الضوء القوية.

طوابير من الناس ينتظرون العلاج.

وطائرات من دون طيار تحلق أعلى كل شيء.

توقفت لحظة، محاولًا أن أستوعب المشهد كله.

تكاد تشعر بالخوف في الهواء - كأنه شيء حي. هؤلاء الناس المساكين. لا بد أن الرعب أفقدهم عقولهم، متساءلين أي انحرافة سيكوباتية للقدر ألقت بهذا الداء بينهم. وعلى عكسي، لم يكن لديهم سبيلٌ لوضع خوفهم جانبًا.

كنت بحاجة إلى العثور على بيت.

والحصول على عينتي.

والعودة إلى السيارة.

في الوقت المضبوط، في انعكاس على زجاج سيارة أمامي في الناحية الأخرى من الشارع، لمحت حركة - جندي في زي التمويه الليلي يدور حول المربع السكني.

حتى من على بُعد أربعين ياردة، أمكنني أن أتبيَّن أنه في مسار سيجعلني في مجال رؤيته خلال أقل من ثانيتين.

انبطحت أمام سيارة، ملصقًا جسدي الممدد بالرصيف.

انتظرت حتى مرَّ.

في المربع السكني التالي، رأيت عنوانًا مألوفًا. صعدت إلى الشرفة الأمامية المغطاة، كان القماش الأسود المعلق بمسمار في الباب بقايا تيشيرت للمطربة بيونسيه، من جولة حفلات وداعها الأخير.

طرقت على الباب.

توهَّج مصباح الشرفة الأمامية فوقي، لكن لم تكن هناك أضواء في الداخل، رفعت ذراعي إلى داخل الشبكة الحاملة وفككت المصباح.

ثم ألصقت أذني بالباب.

لا خطوات قادمة.

لا أصوات.

انحنيت وجربت مقبض الباب.

لم يكن موصدًا بالقفل، وظللت أديره، حتى انفتح الباب أخيراً.

كان المنزل مظلمًا.

صامتًا.

خطوت إلى الداخل، وأغلقت الباب ورائي.

لفحتني رائحة الموت حتى من وراء كمامة قناعي.

دخلت غرفة معيشة صغيرة.

ومن ممرٍّ مقوس، دخلت مطبخًا.

نقرت زر الإضاءة على الجدار.

سطع صف مصابيح معلَّقة في قضيب معدني على نضد رخامي مغطًّى بأبراج من الأطباق ذات رائحة عفنة.

هتفت: "هالو؟".

ابتلع الخواء صوتي ولم يرد بالجواب.

صعدت السلالم المكسوة بالبساط نحو الطابق الثاني، لأصل إلى بسطة تتيح الدخول إلى عدة أبواب،

كلها مغلقة.

فتحت الباب الأوسط - حمّام به باب في كل ناحية، لعلَّه مرتبط بغرفتي النوم المجاورتين.

أدى الباب على اليمين إلى مكتب منزلي.

أضأت مصباحًا علويًا.

كانت هناك منضدة قصاصات صحف مغطاة بالصور وأدوات القص المختلفة.

على الحائط فوق المنضدة عُلق بورتريه مؤطر لعائلة متعددة الأجيال تقف أمام شجرة كريسماس ضخمة في زمن أفضل لا ريب.

تحركت عائدًا عبر الحمّام وفتحت الباب المؤدي إلى غرفة النوم الثانية في الطابق العلوي.

بدأت عيناي تدمعان.

سمعت صريرًا واهنًا - زاده قناع وجهي وهنًا على وهن.

رميت كل شيء، وجذبت مسدسي، وكدت أطلق النار على امرأة في قميص نوم حريري تجلس في أبعد ركن من الغرفة وأكثرها ظلامًا.

اكتفت بمراقبتي، وهي جالسة بلا حراكٍ وذراعاها ملتفّتان حول ركبتيها، وشعرها متهدلٍ على وجهها.

"ماذا تفعل في بيتي؟" أشارت رتابة صوتها إلى أنها تعاني من صدمة، وكانت هناك نغمة مشدودة في صوتها.

قلت: "رأيت القماش الأسود على بابك، طرقت الباب، لكن أحدًا لم يرد".

لم تتحرك المرأة، كانت شبه مختفية في الظلام.

أخفضت مسدسي، وأخذت بضع خطوات نحوها.

سألتها: "هل هناك أي شيء يمكنني أن أفعله من أجلك؟".

ظننت أني رأيت رأسها تهتز.

ذهبت إلى الجدار، ونقرت زر الإضاءة.

توهج مصباح على طاولة الفراش الجانبية وعاد إلى الحياة، ليلقي الضوء على رجل منتفخ متمدد على جانبه فوق سرير عريض. كانت عيناه مفتوحتين. بشرته شاحبة، وبها لمعة شمعية. عمره ما بين الأربعين والخامسة والأربعين، وكان يرتدي تيشيرتًا وبنطلون بيجامة، وكانت هناك عشرات الصور الفوتوغرافية المؤطرة موضوعة حوله من كل ناحية كأنه نصبٌ تذكاري مؤقت.

كانت الصور للرجل الميت والمرأة الجالسة في الركن.

أماكن ومعالم كثيرة حول العالم:

عجلة لندن.

مدينة تشيتشن-إيتزا الأثرية في يوكاتان بالمكسيك.

قاعدة إبرة سياتل الفضائية.

في حفل موسيقي.

على زحافات جليدية.

سألتها: "متى رحل؟".

- منذ ثلاثة أيام، حاولت أن أتصل بأمه، لكنكم أغلقتم شبكة الواي فاي الخاصة بنا يا قوم، وحظرتم كل اتصال خلوي إلا تسعة واحد واحد.

- هل كان يتصرف بطريقة غريبة قبل موته؟

- نعم.

- كان جالسًا في السرير فقط؟ يرتعش؟

أومأت برأسها.

- ضحك لا إرادي؟

- ساء الأمر أكثر وأكثر، لم يكن يأكل أو يشرب، لم يكن يحمل نفسه ليذهب إلى الحمَّام، ورفض أن يذهب معي إلى المستشفى. قبل أن أتمكَّن أخيراً من طلب النجدة، كانت الفوضى في المدينة.

- ألم يأتِ أحدٌ لمساعدتك إطلاقًا؟

هزت رأسها: "قرب النهاية، لم يعُد حتى يتعرَّف عليَّ" انحدرت الدموع على وجهها. "فقدت أبي بسبب الخرف منذ خمسة أعوام، كان هذا أشبه بالمرور بمسار ذلك المرض كاملًا في عشرة أيام. في آخر مرة حاولت أن أجعله يشرب الماء، ضربني، كسر فكي" مالت إلى الأمام، ورأيت الجانب الأيسر من وجهها، كان متورمًا داكنًا. "في النهاية أصبح عديم الاستجابة، كان يحدق لساعات بلا نهاية إلى العدم. وبعد أن

انزلـق في نـوعٍ مـا مـن الغيبوبـة، رقـدت معـه في سريرنـا، ويـدي عـلى صـدره، أحسُّـه فقـط يصعـد ويهبـط. سـقطتُ نائمـة، وعندمـا اسـتيقظت، وجـدت أن صـدره لم يعـد يتحـرك".

- هل تمانعين لو أخذت مسحة من داخل فمه؟

- لماذا؟

- ستساعدنا مادته الجينية على فهم المرض الذي قتله.

- إنه ميت، ألم يهلك هذا الشيء؟

- ثمة احتمال.، أتمنى ألا يكون.

- أظن أن الأمر لا يمثِّل أهمية الآن.

وضعـت حقيبتـي عـلى الدكـة الخشـبية عنـد طـرف السريـر، أخرجـت عـدة تجميـع العينـات: قنينـة بلاسـتيكية وممسـحة طولهـا سـت بوصـات لهـا رأس قطنـي.

كان فـم الرجـل الميـت مغلقًـا، وكنـتُ أتمنـى أن يكـون تيبُّـس المـوت قـد أتى بالفعـل وانقـضى، وإلا كنـت سـأضطر إلى قطـع جـزء مـن الجلـد مـن إحـدى الأصابـع.

بحمـد اللـه، انفتـح فمـه بأقـل قـدرٍ مـن الجهـد. أدخلـت الممسـحة مـا بـين أسـنانه وكشـطت بهـا الجـزء الداخـلي مـن خـده، ثـم دسسـت الممسـحة في الأنبوبـة البلاسـتيكية.

تساءلت المرأة: "هل سأموت أيضًا؟".

كان صوتها واهنًا جدًّا.

ممتلئًا بالخوف.

سرت نحوها.

ـ هل تعانين من أعراض شبيهة لأعراض زوجك؟

هزَّت رأسها: "لكني لا أشعر أني بخير".

ـ بأي شكل؟

ـ كل ليلـة، أعـاني مـن أسـوأ أوجـاع الجسـد، أشـعر كأن عظامـي تنشـق داخـلي.

سألتها: "وماذا أيضًا؟".

التمعت الدموع في عينيها مرة أخرى.

ـ تغيَّرت ذكرياتي.

ـ كيف؟

ـ كـما لـو... كل هـذه اللحظـات مـع كريـس تظـل تنهمـر عـليَّ، أراهـا بوضـوحٍ تـام الآن أوضـح مـما رأيتهـا مـن قبـل، أوضـح مـما أتذكـر أي شيء أصـلًا.

التقينـا منـذ ثلاثـة عـشر عامًـا في تلـك الحانـة في مدينـة بوزمـان، يمكننـي أن أخـبرك بـكل كلمـة قلناهـا، بـكل شـعور انتابنـي. لا أسـتطيع الرسـم، لكـن لـو كنـت أسـتطيعه، لأمكننـي أن أريـك كيـف كان كريـس يبـدو تلـك الليلـة، حتـى الشـعيرات القصـيرة حديثـة النمـو عـلى ذقنـه، الطريقـة التـي وقفـت بهـا خصلـة مـن شـعره نافـرة. يمكننـي أن أخـبرك كيـف كانـت رائحتـه، كيـف بـدت مريحـة كرائحـة البيـت، كيـف عرفـت تلـك الليلـة أني سـأقضي بقيـة حيـاتي معـه.

رفعت إليَّ عينين متضرعتين:

"لم أعتقد قطُّ أن الأمر سينتهي على هذا النحو".

أردت أن أساعدها، أن أخفِّف ألمها.

لكني كنت أموج بخليطٍ من الإثارة والرعب.

الإثـارة لاكتشـاف هـذه المـرأة التـي أظهـرت نفـس أعـراض التحسـين الأولى -رغـم أنهـا بـدأت أسرع- التـي عانيـت منهـا بعـد انفجـار قنبلتـي الثلـج في ذلـك القبـو بدنفـر.

والرعب مما كان يعنيه ذلك.

لقـد ذكـرت الفتـاة في الفيديـو الشـهير معاناتهـا مـن أوجـاع الجسـد، ورغـم أن هـذا أشـعل شـكي ودفعنـي إلى القـدوم إلى هنـا، كان هـذا هـو التأكيـد الـذي أسـعى وراءه، أو عـلى الأقـل أقـرب مـا يكـون إلى مـا أملـت الحصـول عليـه قبـل أن أجـري تحليـل الحمـض النـووي في منظم التسلسـل الخـاص بي.

جثوت أمامها.

قلت: "أتمانعين لو أخذت مسحة من فمك؟".

- لماذا؟

- أنا فقط أحاول فهم ما يحدث.

أومأت برأسها.

تناولـت ممسـحة أخـرى ذات رأس قطنـي ومسـحت بعـض المخـاط مـن جانـب خدهـا الأيمـن.

سألتني: "ماذا ستفعل بها؟".

مضيـت إلى السريـر وأخـذت قلـمًا أسـود ثقيـلًا مـن عـدة عينـاتي، وكتبـتُ عـلى الأنبـوب البلاسـتيكي الـذي احتـوى عيِّنتهـا: "هي/بـلا مـرض".

"سـأحلِّل حمضـك النـووي إلى جانـب عينـة زوجـك، أحـاول أن أفهـم لمـاذا سـاءت حالتـه وتحسَّـنت حالتـك".

تساءلت: "تحسنت؟ هذا لا يبدو تحسنًا".

"عندك حق، لكنك ستعيشين" وضعت الحقيبة على كتفي وقلت: "من فضلك فكري في الذهاب إلى المخيم في قلب المدينة واطلبي المساعدة من أجل فكك".

فتحتُ الباب، وخطوت إلى الردهة، وألقيت نظرة أخيرة على الغرفة.

"قابلتُ أخاك عند نقطة تفتيش في هينزديل اليوم، ديفيد، هو قلق عليك، أراد أن يتحدث إليك، لكنهم لا يسمحون حتى بدخول دورية الطريق السريع إلى المدينة، أراد مني أن أخبرك أنه يحبك".

كانت تبكي الآن.

- أنا آسف جدًّا لخسارتك يا تيفاني.

أغلقت الباب وهبطت السلم، وأنا أرسم بالفعل خريطة مساري للخروج من المدينة والعودة إلى السيارة.

عندما وصلت البهو، صدمني شيء بقوة شاحنة.

ارتطمت بالجدار.

وسقط مسدسي على الأرض.

ضربني كوع على فكي - نجوم وعتمة.

لم أعرف حتى ماذا كنت أقاتل، لم أعرف كيف أُخذت هكذا على حين غرة تمامًا...

لأن هذا الشخص تعرَّض لِمَا تعرضت له من تحسين.

انغرست لكمة أخرى في معدتي، تقوس جسدي وأنا أشهق.

فجأة ارتفعتُ عن الأرض سبعة أقدام، مرفوعًا كأني لا أزن شيئًا.

وأُلقي بي لأبحر في الهواء لمدة 0.85 من الثانية.

اصطدمت بالأرضية الخشبية القاسية عند حافة المطبخ.

سـمعت نفـسي تتـألم، تمكنـت مـن دفـع أغلـب الألم جانبًـا، ورفعـت رأسي، رأيـت رجـلًا عنـد أسـفل السـلم يرفـع مسـدسي عـن الأرض.

لم يكــن يرتــدي قناعًــا للتنفــس، وهــو مــا قــد يعنــي أنــه يعـرف ألا وجـود لأي مـرضٍ معـدٍ بالمعنـى التقليـدي.

سمعت خطوات في الطابق الثاني.

سـمعها أيضًـا، رفـع عينيـه متطلعًـا إلى السـلم، ورفـع مسـدسي، وانتظـر، ثـم أطلـق النـار.

سـقطت تيفـاني متدحرجـة عـلى السـلم حتـى اسـتقرت عنـد قدميـه. فـك خزانـة مسـدسي، ولفـظ الطلقـات التـي في الخزانـة، وفـك أجـزاء المسـدس وهـو يسـير حافيًـا نحـوي، وأجـزاء مسـدسي تقعقـع في سـقوطها عـلى الأرض.

كان الرجـل تقريبًـا في الخامسـة والثلاثـين مـن عمـره، حليقًـا تمامًـا، مربـع الفكـين، شـعره طويـل ينسـدل حتـى كتفيـه. يرتـدي بنطـالًا مـن الجينـز وفانلـة بولـو احتـوت بالـكاد ذراعيـه المفتولتـين. كان أقـصر منـي بخمـس بوصـات، عريـض الصـدر والكتفـين، ضيـق الخـصر، لـه تلـك البنيـة المخيفـة للمصارعـين.

لقـد تعـرَّض للتحسـين بالتأكيـد، لكنـه لم يتمكـن مـن السـيطرة عـلى تعبيراتـه متناهيـة الصغـر بعـد، لعلَّـه كان ليـصرخ في وجهـي قائـلًا كـم أنـه يعشـق العنـف وإلحـاق الألم - أسـوأ نـوع مـن الأشـخاص تقابلـه بعـد أن تعـرض للتحسـين.

لم يكن يحمل سلاحًا يمكنني أن أراه.

ظللت منبطحًا، تاركًا إياه يقترب أكثر.

انطلقت الأفكار بسرعة الضوء،

كيف وجدني هنا؟

بسيطة،

كان ينتظرني.

لقد قام بنفس الاستكشاف الذي أجريته على جوجل إيرث، وقرر أن نهر ميلك هو أفضل طريق لدخول المدينة، والحقل الذي زحفت عبره هو أأمن سبيل.

وانتظر ظهوري.

لقد أفسدت الأمر.

كنت مصممًا جدًّا على إيجاد أفضل طريقٍ لدخول مدينة تحت الحجر الصحي حتى إني فشلت في أن أضع في اعتباري أن شخصًا له نفس ذكائي سيحدد نفس المسار.

كان يجدر بي أن أختار الخيار الثاني أو الثالث الأفضل، أو على الأقل أكون مستعدًّا بعض الشيء لمثل هذه النتيجة المحتملة.

لكن كل هذا كان موضوعًا جانبيًّا الآن.

عندما صار على بُعد أربعة أقدام، اندفعتُ بجسدي نحوه.

تنحَّى ببساطة عن الطريق.

اندفعتُ متجاوزًا إياه، وسقطت، وجاهدت للنهوض، وأنا أنزع قناع تنفسي لأحظى بمجال رؤية أفضل وخلعت حقيبة ظهري عن كتفيَّ.

نظر إليَّ، وهو يلم شعره خلف أذنيه.

"أهلًا لوجان".

شعرتُ بعقلي يُجري بحثًا، محاولًا أن يوفق هذا الصوت مع كل إنسان حدث أن قابلته.

كأنه يقرأ أفكاري قال: "لم نلتقِ قطُّ".

سألته: "منذ متى تنتظرني؟".

- ثلاث ليال.

- أين؟

- سيارة مهجورة في ساحة الخردة.

لقد سرت بجواره تمامًا.

- أختي هنا؟

ضحك فقط في سره بينما أندفع لأحدد إن كان هنا لقتلي أم للقبض عليَّ .

سألني: "حصلتَ على عيناتك؟".

تواجهنا في غرفة المعيشة.

سجلتُ بروز كتفه الأيسر إلى الأمام، وتراجع الأيمن، وأفلتُ من لكمته العرضية اليمنى التي كان يمكن أن تطرحني أرضًا، وسددتُ لكمة خطافية يسرى إلى وجهه عندما مال فاقدًا توازنه، ثم ضربت قصبة أنفه بكوعي ضربة وحشية.

تراجع مترنحًا، والدم يسيل على وجهه.

تبادلنا اللكمات، بعضها يفلت، وبعضها يصيب. بدت حتى أشد ضرباتي غير كافية - كأني أقاتل شجرة بلوط.

بعد أن أصبته في صدغه الأيمن، هزَّ رأسه واندفع، وذراعاه اللحيمتان مفرودتان، كان عقلي يزعق: **لا تدعه يطرحك أرضًا.**

كنّا في الرواق الذي يؤدي إلى غرفة عائلية بجوار السلالم، وعندما انحنى ليقبض على ساقيّ، قفزت إلى أعلى، دافعًا الجدران بقدميّ، لأسقط فوقه مباشرة، وركبتي تندفع إلى مؤخرة رأسه في صوت ارتطام مقزز.

عندما رقد مذهولًا على الأرضية الخشبية للصالة، لففت شعره الطويل على يدي اليمنى، وأغلقت عليه قبضتي، وضربت رأسه بالأرضية.

مرة.

مرتين.

ثلاث مرات.

أربع.

بطريقة مستحيلة، جاهد كي يقف على قدميه، لكني قبضت على ظهره، وتشبثت به، ولففت ذراعي اليمنى حول رقبته، واعتصرتها بكل ما فيَّ من قوة، محاولًا أن أسبِّب له اختناقًا في الدم يقطع مسار الشريان المؤدي إلى مخه ويعطيني بضع ثوان ثمينة لتصوُّر...

دفعني إلى الحائط، بقوة طردت الهواء من رئتيَّ، ثم دار حول نفسه واندفع نحو الناحية المقابلة من الرواق، بقوة شديدة حتى إني صنعت شقوقًا في حائط الجبس.

شعرت بآلامٍ فظيعة في ضلوعي.

خبطني في الجدار.

مرة أخرى.

ومرة أخرى.

ومرة أخرى.

حتى لم يعد بمقدوري التحمل أكثر من ذلك.

حتى لم يعد بمقدوري التنفس.

أفلتت قبضتي.

سقطت على الأرض، وبينما كنت أشهق بحثًا عن الهواء، انهال الرجل بوابل من اللكمات على وجهي...

***

عندما أفقتُ، كنت راقدًا على أرضية المطبخ وكان الرجل عند مائدة غرفة الطعام يسحب حقنة من حقيبة سوداء صغيرة.

ألم في كل شيء.

شعرت أني مكسور تمامًا، والألم يقترب من حافة تتجاوز قدرتي على تحييده.

رأيته ينقر جانب الحقنة، وعندما التفت نحوي، أغلقت عيني.

أصدرت الأرضية صريرًا عندما اقترب مني وجثا إلى جواري. شعرت بيده الدافئة على كتفي، وعرفت أن سن الإبرة قادم.

فتحت عيني، وفتحت يدي اليمنى، ودفعتها إلى أعلى مباشرة في حلقه الطري.

كانت ضربة مثالية.

أصدر شهيقًا مفزعًا وأوقع الإبرة، وهو يقبض على رقبته.

احمرّ وجهه.

وملأ الذعر عينيه.

تدحرجت ونهضت واقفًا، محدقًا إلى الرجل وهو يحاول التنفس، بدا أنه ينال خيطًا من الهواء، لكنه ليس كافيًا تقريبًا. تصورت أن

أمامـه دقيقتـين مـن البقـاء في حالـة وعـي غـير سـارة عـلى الإطـلاق، ومـن أربـع إلى اثنتـي عـشرة دقيقـة قبـل المـوت الدماغـي.

قلـتُ وأنـا أتوجـع مـن ألمـي: "لقـد حطمـت قصبتـك الهوائيـة، يمكننـي أن أتـركك تمـوت مختنقًـا أو يمكننـي إنقـاذك".

أومأ برأسه بعنفٍ، ووجهه يتحوَّل إلى اللون الأرجواني.

"لديك سكين في تلك الحقيبة؟".

أومأ برأسه، مجاهدًا كي يتنفس.

خمس عشرة ثانية.

رقـدت حقيبـة الرجـل السـوداء مفتوحـة عـلى النضـد، داخلهـا كان هنـاك مسـدس كيمـبر ميكـرو 9 ملـم، وأصفـاد، وقنينـات، وحقـن، وسـكين قتـال فايبر-تـك.

أسرعـت عائـدًا إلى الرجـل، الـذي كان جالسًـا الآن مسـتندا إلى خزانـة مطبـخ، يختنـق حتـى المـوت.

قلت: "تمدَّد على ظهرك، أبعد يديك".

واحد وأربعون ثانية.

كان شـيئًا غريبًـا أن تنتقـل مـن محاولـة قتـل هـذا الشـخص إلى إنقـاذه في غضـون بضـع ثـوان، لكنـه كان يمتلـك معلومـات.

اعتليته.

"لو بدرت منك رفة عين خاطئة، سأشقك إلى شرائط".

أومأ برأسه بطريقة محمومة.

كان وجهـه بائسًـا، واسـتطعت أن أرى بالضبـط أيـن اسـتقرَّت ضربتـي في حلقـه، لقـد حطمـت الجـزء العلـوي مـن حنجرتـه. مـررتُ إصبعـي عـلى

حلقه حتى شعرت ببروز آخر: الغضروف الحلقي، في المسافة الفارغة بين هذا وتفاحة آدم سأصنع شقي.

عندما فتحت السكين، اتسعت عينا الرجل.

كان نصلها حادًّا بطريقة جنونية.

شققت بها المنطقة التي حددتها، وأنَّ الرجل بينما الدماء تنسال من الجرح الجديد، دفعت النصل بحرصٍ عبر غشاء الجلد حتى ثَقَبَ مجرى الهواء لديه.

كان وجهه قد غدا أزرق.

ثمان وسبعون ثانية.

عرفت أني اخترقت مجرى الهواء لديه، لأن بعض الدم غاص في الجرح ممصوصًا، أطلتُ الشق إلى نصف بوصة.

سواء من الألم أم من انقطاع الأكسجين، فَقَدَ الرجل وعيه الآن.

بعد أن سحبت نصل السكين، نهضت واقفًا وبدأت أفتح أدراج المطبخ، باحثًا عن شفاطة أو...

أمسكت قلمًا جافًّا (بِك) به آثار عض على طرفه، وفصلت بسرعة الهيكل عن مكونات الكتابة.

كان الجرح الذي أحدثته في رقبة الرجل قبيحًا، مسننًا وينزف بجنون، لكن ببعض الجهد تمكّنت من إدخال الهيكل المجوف للقلم بوصتين عبر رقبة الرجل.

لم يكن يتحرك.

وضعت القلم بين شفتيَّ، ونفخت زفيرين في مجرى هواء الرجل، وانتظرت.

لم يحدث شيء.

بـدأتُ محاولـة الإنعـاش القلبـي الرئـوي، الضغـط عـلى الصـدر مائـة مـرة في الدقيقـة.

ثم زفيران في القلم.

ومرة أخرى.

أربع دقائق واثنتا عشرة ثانية.

كنـت عـلى وشـك البـدء في دورة أخـرى مـن الإنعـاش القلبـي الرئـوي عندمـا ارتجـف القلـم في ثقبـه وأصـدر ضجـة بقبقـة وشـفط.

انفتحـت عينـا الرجـل، أخـذ شـهقات طويلـة يائسـة عـبر القلـم وحـدَّق إلى عينـيَّ بتركيـزٍ عاجـزٍ، كان لـون وجهـه يعـود إلى الدرجـة الطبيعيـة.

فتح فمه ليتحدث، لكن لم تخرج الكلمات.

شاهدت نوبة الذعر تعود، ولكسر من الثانية، شعرت بالأسف من أجله.

قلت: "حياتك في يدي..".

أومأ برأسه، كان يعرف هذا.

لمست القلم: "هذا هو كل ما يبقيك حيًّا".

أسرعـت إلى غرفـة المعيشـة، وأخرجـت حاسـوبي المحمـول مـن الحقيبـة، وعــدت إلى المطبخ.

جلست بجوار الرجل ذي الحلق المكسور وفتحت ملف كتابة خاليًا.

لم يكن لديَّ وقت كثير؛ لا بد أن أحدهم سمع الطلقة التي قتلت تيفاني.

سألته: "ما اسمك؟" ثم ناولته الحاسوب.

كتب: أندرو

- هل أختي في جلاسجو؟

هزَّ رأسه.

- كيف تورطتَ مع كارا؟

- كنّا في ميانمار معًا، كنت واحدًا من الفريق الذي أنقذها، اتصلت بي السنة الماضية لأكون جزءًا من مشروعها.

- لماذا يقتل التحسين الناس؟

- لا فكرة لديَّ

ربما كان محقًّا.

- ماذا كان مفترضًا بك أن تفعله بي؟

- أنقلك من هنا.

- إلى كارا؟

- نعم.

- أين هي؟

- لا أعلم.

مددت يدي، وانتزعت القلم.

شهيق.

يأس.

يداه تقبضان على عنقه ويبدأ ذلك اللون الأرجواني الجائع إلى الأكسجين في صبغ وجهه من جديدٍ.

- أتعتقد أني لن أتفرج عليك وأنت تختنق ببطء؟

كتب أندرو: كولورادو

- أين في كولورادو؟

- بالقرب من سيلفرتون، أرجوك.

- أعطني عنوانًا وسأدعك تتنفس مرة أخرى.

- 58 طريق إيولوس واي.

دفعت القلم مرة أخرى عبر الثقب في حنجرته، وعندما شهق طلبًا للهواء، راقبته، محاولًا أن أحدس إن كان يكذب، لكن صدمة شق القصبة الهوائية كانت تُغرق أي تعبيرات، ناهيك عن أي تعبيرات متناهية الصغر يمكن قراءتها.

سمعت خطوات على الشرفة الأمامية، قبضت على الحاسوب، وقفزت واقفًا، وأسرعت إلى غرفة المعيشة، ودسست الحاسوب في حقيبة ظهري بينما كان أحدهم يطرق بقوة على الباب الأمامي.

انتزعت حقيبة أندرو من فوق مائدة غرفة الطعام وجريت مارًّا به، وأغلقت الباب الخلفي في اللحظة التي انفتح فيها الباب الأمامي.

دخل الجنود المنزل.

اندفعت عبر الساحة الخلفية، مارًّا بشواية قديمة ومظلة خشبية، ثم وثبت من فوق سياج متداعٍ ارتفاعه ثلاثة أقدام إلى زقاق.

أخيرًا أخذت شهيقًا عميقًا من الهواء إلى رئتيَّ، وانتشر ألمٌ ساطع في جذعي بأكمله، لقد أصيبت ضلوعي بكدمات في أثناء قتالنا، وكان الألم في صدري ما فتئ يزداد، لكن لم يكن بمقدوري أن أتوقف.

ظللت أجري.

عبر ساحات خلفية وساحات أمامية.

عبر شارع خال.

أخيرًا خرجت من ساحة خلفية ولم يكن هناك غير الظلام أمامي. لقد وصلت إلى الحقل الذي زحفت عبره من قبل. جريت بأقوى ما استطعت، ثم انزلقت في قناة ري ووضعت نظارتي الليلية، التي نجت بما يشبه المعجزة - معووجة قليلًا، لكنها سليمة في الأساس.

استرقت النظر من فوق حافة القناة، كانت أضواء جلاسجو تتوهج بلون أخضر ساطع، وظهرت ثلاثة هياكل من وراء أشجار مزروعة كمصدَّات رياح تحيط بالمدينة.

جنود الحرس الوطني.

على مبعدة خمسين قدمًا فقط، استطعت أن أرى بنادقهم وأجهزة تنفُّسهم، لم يكونوا مرتدين لنظارات الرؤية الليلية. رأيت أحدهم يسير مسافة قصيرة داخل الحقل، كان رجلا قصيرا ممتلئ الجسم - لا بد أن لديه منظار رؤية ليلية ما في بندقيته، لأنه توقف هناك فقط، يدور ببندقيته ماسحًا الحقل بطريقة منهجية.

تراجعت من دون صوت داخل قاع القناة وانتظرت.

اقتربت خطواته.

استطعت أن أسمع التراب وهو ينسحق أسفل حذائه الثقيل.

توقف على مبعدة عدة أقدام.

استطعت أن أسمع صوت أنفاسه.

استطعت أن أرى ماسورة بندقيته.

صاح أحد زملائه الجنود: "أي شيء؟".

تردَّد للحظة، وهو ما زال يمسح الأرض من حوله.

أخيرًا قال: "لا.." وبدأ يتراجع نحوهما: "لا بد أنهم ارتدوا عائدين إلى المدينة، أبلغهم ذلك".

صعدت على جانب القناة وراقبتهم وهم يختفون في الشجر.

رقدت هناك لحظة، وصدري يجيش مستندًا إلى التراب البارد، وكل نَفَس انفجارة ألم. قبل تحسيني، كان هذا المستوى من الألم لَيهلكني، حتى الآن، كاد يفعلها.

استنفد ذلك كل طاقتي، لكني دفعت ألمي جانبًا وبدأت الزحف الطويل البطيء عبر الحقل، مفكرًا في سكان جلاسجو.

هؤلاء الذين ماتوا.

هؤلاء الذين خُلفوا - مرعوبين، مرتبكين، مُدمَرين.

لم يعرفوا -لم يكن من الممكن أن يعرفوا- أنهم في حزنهم يعيشون لحظة مهمة في تاريخ كوكبنا.

لكل حرب عظيمة، هناك معركة أولى.

الغزو النازي لبولندا، الذي بدأ الحرب العالمية الثانية.

معركة حصن سمتر بالنسبة إلى الحرب الأهلية الأمريكية.

ليسكنجتون وكونكورد بالنسبة إلى الحرب الثورية الأمريكية.

حشود الطائرات من دون طيار التي ضربت تايوان عندما غزتها الصين.

لم تكن معركة جلاسجو حرب أسلحة، كانت حرب جينات وطفرات، حربًا ذات انتخاب طبيعي.

لقد حدثت الهجمة الأولى بالفعل، ولم يعرف حتى أحد بها، ذلك العنف الذي يضطرم على المستوى الخلوي لكل مواطن في جلاسجو تمكنت أختي من إصابته بالعدوى.

كانت الرهانات أكبر من الأيديولوجيا، أو الأراضي، أو حتى الدين.

كانت الرهانات مستقبل نوعنا.

إلى حيث سنذهب.

ما سنصبح عليه.

لقد بدأت كارا الحرب الجينية.

9

وصلتُ إلى سيارتي بينما كان الفجر يبزغ على البراري، كان ضوءًا ناعمًا خفيفًا، باستثناء أقصى الأفق الشرقي، الذي كان محمرًّا عند أطرافه كما لو أن الليل ذاته قضى ليلة عصيبة.

اقتربت من الشاحنة الصغيرة بحذرٍ، منتبهًا لاحتمالية أن يكون أحدهم في انتظاري.

الحرس الوطني.

أو المزيد من رجال أختي، لقد توقعوا بنجاح الطريقة التي تسللت بها إلى جلاسجو، ربما كانوا ينتظرون بالقرب من شاحنتي الصغيرة.

لكن السيارة كانت على حالها، وآثار الأقدام الوحيدة التي رأيتها في الجوار كانت لي.

دخلت السيارة، متأوهًا وأنا أخلع بدلتي الواقية. ثم خلعت قميصي، الذي كان يتصبب عرقًا.

لم أعرف كم كان عددها، لكني كنت متأكدًا أن ضلوعًا عدة مصابة بكدمات من المعركة.

كانت البطاريات الشمسية مشحونة بالكامل، وقد وصَّلتها بالفعل بمنظم تسلسل النانو الرقمي وتجهيز الحمض النووي الميكروفلويدي الآلي. وضعت فيه عينات تيفاني وكريس بالإضافة إلى عينة مني وحمض نووي من إنسان غير محسَّن كضوابط للتحليل، وبدأت الماكينة عملها.

بعد تنقية الحمض النووي، ستقرأ كل نوكليوتيد، خيطًا بعد خيط، وتسجل كل زوج قاعدي بالتسلسل، ثم تُحمَّل القراءة الناتجة على محرك برمجيات سينشئ تراصفًا جينوميًا كاملًا من جديدٍ، سيستغرق التسلسل الكامل وخاصةً تحليل هذه العينات ما بين ثماني إلى عشر ساعات.

عندما بدأت أنظمة منظم التسلسل القراءات والتجميعات الجينومية، أدرت محرك السيارة ورأيت جلاسجو في مرآة السيارة الخلفية وهي تبتعد.

***

كانت سيلفرتون على مبعدة ألف ميل - رحلة تستغرق ست عشرة ساعة بالسيارة في اتجاه الجنوب، عبر مونتانا ووايومينج، وأخيراً الأطراف الجنوبية الغربية لكولورادو.

كنت قد اجتزت حدود وايومينج للتوِّ عندما بدأ جسدي وتركيزي يستسلمان، توقفت عند استراحة خارج بلدة رانشستر، وأخرجت بعض المورفين من صندوق الطوارئ، وحقنت ذراعي ببضع ملليجرامات...

والألم

ذاب

تمامًا.

فردت سريري، وخلعت ملابسي وحذائي الثقيل، وتمددت في السرير.

لم أشعر بهذا الإعياء منذ حاولت كارا قتلي في نيو مكسيكو وأُجبرت على الفرار من المستشفى في منتصف الليل.

لكن في لحظة مباركة، تلاشى كل ألمي.

راقبت ضوء منتصف النهار وهو يتدفق عبر الزجاج الأمامي القذر حتى لم يعد بمقدوري أن أفتح عيني أكثر من ذلك.

وسبحت مبتعدًا على وقع النقرات والدمدمات المريحة لمنظم تسلسل الحمض النووي.

***

عندما استيقظت، كان الليل، والصمت في الشاحنة الصغيرة.

اعتدلت في جلستي ببطء، وأخذت شهيقًا مترددًا.

كان أثر المورفين قد تلاشى، وعاد الألم من جديد، رغم أنه كان أقل شمولًا من قبل.

نزلت من السرير، وتناولت ثلاثة أقراص مسكن أدفيل من صندوق الطوارئ، وذهبت إلى منظم تسلسل الحمض النووي، الذي كان يطنُّ بهدوء.

أيقظت شاشة اللمس، ورأيت رسالة: التسلسل أ جرى تحميله وتحليله، يجري تحليل التسلسل ب، الوقت المتبقي: 51 دقيقة.

شربت ثلاثة أكواب من الماء وفردت الدكة التي كنت أستخدمها أيضًا مكتبًا.

فتحـت حاسـوبي المحمـول وفتحـت محـرك التحليـل؛ برنامـج اسـمه (لايفكـود). التسلسـل أ هـو عينـة حمـض تيفـاني النـووي، ولأني قسـت بدقـة تسلسـل الجينـوم الخـاص بي وقرأتـه بالتفصيـل، كنـت أعـرف بدقـة مـا أبحـث عنـه. كانـت لـديَّ قائمـة بالجينـات والممـرات الجينيـة التـي حُـوِّرت لتغيـير نشـاطها المتوقـع ومسـتويات تعبيرهـا نتيجـة للتحسـين الـذي أجبرتنـي أمـي عليـه. في الواقـع، لقـد اقتحمـتُ بالفعـل الشـفرة الأصليـة للمحلـل وصغـت برنامجًـا أكـثر تفوقًـا بكثـير مسـتخدمًا تسلسـل حمـضي النـووي كقالـب لاصطفـاف ومقارنـة الجينومـات الأخـرى.

يتطابـق البـشر بنسـبة 99.9 في المائـة في حمضهـم النـووي أحـادي العـدد/ تسلسـل الجينـوم لنحـو 3.2 مليـار زوج قاعـدي. ومـع ذلـك، رغـم أننـا جميعًـا نمتلـك نفـس الجينـات تقريبًـا، توجـد تعـددات للأشـكال -أي اختلافـات صغـيرة في تسلسـل هـذه الجينـات- تـؤدي إلى تغـيرات في مسـتويات التعبـير، بـل وتغـير وظيفـة الجـين، هـذه الاختلافـات الدقيقـة هـي مـا تجعـل كل واحـد منّـا فريـدًا عـن بقيـة أفـراد نوعنـا.

لقـد صغـت شـفرة برنامجـي كي أعـثر عـلى هـذه الاختلافـات وأسـلط الضـوء عليهـا.

نقلـتُ الملفـات الضخمـة الحاويـة لتسلسـل حمـض تيفـاني النـووي الخـام داخـل برنامـج البحـث الخـاص بي.

وبينـما البرنامـج مسـتمر في عملـه، تناولـت علبـة حسـاء مـن الخزانـة وسـخَّنتها في قـدر صغـير عـلى موقـدي.

كنت أتضور جوعًا.

قرأت نتائج تحليل حمض تيفاني النووي وأنا آكل.

كـما توقعـت بالضبـط، نفـس الجينـات التـي تحـوَّرت في شريطـي الـوراثي تحـوَّرت في المقابـل لديهـا.

حتى التعديلات سارت على الأثر.

هـذه الحمـولات مـن الحمـض النـووي كانـت بادئـة بالفعل في ممارسـة تعديلاتهـا عـلى جينـات لا تُعـد ولا تُحـصى، تشـمل سلاسـل مضاعفـة مـن الممـرات - كل لمسـة خفيفـة للجينـوم، أشـبه بأثـر الفراشـة الـذي سـيغير مـع الوقـت شريـط تيفـاني الـوراثي ويـؤدي إلى زيـادة ذكائهـا وإطالـة عمرهـا ومضاعفـة مرونتهـا ليرفعهـا في النهايـة إلى نسـخة في مسـتواي.

بعـد رؤيـة كارا وأنـدرو، بـدأت أشـك أن التحسـين رغـم تغيـيره لأشـكال التعبـير عـن الـذكاء والذاكـرة والبراعـة البدنيـة بشـكلٍ عـام، يمكنـه أن يقـوي أضعافًـا مضاعفـة تلـك النزعـات الموجـودة مـن قبـل - القـوة، وخفة الحركـة، والتناسـق بالنسـبة إلى أشـخاص مثـل أنـدرو وكارا، وتمييـز الأنمـاط وقـراءة النـاس بالنسـبة إلى الأشـخاص الأكـثر ميـلًا إلى التفكـير مثـلي.

كانـت تيفـاني في نفـس الرحلـة، التـي قطعتهـا أنـا مـن قبـل، نحـو أن تغـدو نسـخة معـززة مـن الإنسـان العاقـل عندمـا أطلـق عليهـا أنـدرو النـار عنـد قمـة ذلـك الـدَرَج.

باسـتخدام البرنامـج، بـدأت أعـزل الشـفرات الجينيـة للعديـد مـن الحـزم الفيروسـية التـي أوصلـت التحسـين إلى تيفـاني. كل حزمـة كانـت تسلسـلًا مـن ثمانيـة كيلـو قاعـدي - تبـدو كأنهـا كميـة تافهـة مـن الحمـض النـووي، لكنهـا تحمـل شـفرة. ورغـم أنهـا استُنسـخت، لم يبـدُ أنهـا حُزمـت وأُفـرزت إلى حـد أن تصبـح قـادرة عـلى الانتقـال.

لم تكن تيفاني قط ناقلة للعدوى.

لكن السؤال الحقيقي كان ماذا يحدث مع التسلسل ب.

سـمعتُ منظـم تسلسـل الحمـض النـووي يصـدر صافـرة تشـير إلى أنـه يُحمِّـل الآن التسلسـل ب إلى داخـل برنامـج لايفكـود.

بما أنـه لم يبدُ أن فـيروس كارا يمكنـه الانتشـار مـن شـخص إلى آخـر، تساءلتُ كيـف تمكنـتْ مـن إصابـة كل هـذا العـدد مـن سـكان جلاسجو؟ هـل أرسـلت فريقًـا تسـلل إلى المدينـة منـذ عـدة شـهور وأصـاب بطريقـة يدويـة أكـبر عـدد ممكـن مـن النـاس؟ لعلهـا اسـتهدفت فقـط حفنـة مـن الأماكـن وكانـت لديهـا احتـمالات جيـدة إلى حـدٍّ كبـيرٍ بـأن تصيـب بالعـدوى نصـف السـكان عـلى الأقـل.

أومـض حاسـوبي المحمـول برسـالة تنبهنـي أن التسلسـل ب (حمـض كريـس النـووي) قـد انتهـى مـن التحميـل عـلى برنامـج لايفكـود.

نقلـت الملفـات داخـل برنامـج البحـث المعتـاد الخـاص بي، ثـم خرجـت مـن السـيارة لأتبـول.

كانت السماء ملبَّدة بالغيوم وبلا نجوم.

تخللـت رائحـة الثلـج الهشـة الهـواء، وتكـدس الظـلام محـاصرًا المناطـق المضـاءة مـن نقطـة الاسـتراحة.

عـدت إلى الشـاحنة الصغـيرة وطالعـت بسرعـة النتائـج الأوليـة للتسلسـل ب.

على الفور استطعت أن أرى وجود شيء ناقص في الشفرة.

رغـم أن كريـس تلقـى أيضًـا حزمـة التحسـين الفيروسـية، لم تحـدث إلا بعـض التحسـينات فقـط. في حـالات كثـيرة، كانـت التحسـينات جزئيـة فقـط، بعـد أن فشـلت في إكـمال التغيـيرات وشوَّشـت بـدلًا مـن ذلـك عـلى أقسـام مـن الجينـات الحيويـة.

بـدلًا مـن بـدء التحسـين، أشـعلت الحزمـة الفيروسـية فتيـل تشـظٍّ جينـي جديـد وبـدأت سلسـلة مـن تحريـر الجينـات بعيـدًا عـن أهدافهـا.

نسـختُ التسلسـلات الجديـدة ونقلتهـا إلى مبحـث عـام لأرى إن كان بمقـدوري العثـور عـلى توافـق وتفاعـلات ممكنـة.

لم يكن مدهشًا لي أني لم أجد أي توافقات جينومية مضبوطة.

لكنـي شـاهدت في ذعـر قائمـة نتائـج "التداخـل 50%-95%" التـي اصطفـت أمامـي: قعـاص الغنـم، داء جنـون البقـر، اعتـلال الإبـل الدماغـي الإسـفنجي، اعتـلال المِنـك الدماغـي الإسـفنجي القابـل للانتقـال، مـرض الهـزال المزمـن، اعتـلال القطـط الدماغـي الإسـفنجي، اعتـلال ذوات الحوافر الدماغـي الإسـفنجي ذو المنشـأ الخارجـي، اعتـلال الدمـاغ الإسـفنجي، مرض كروتزفيلـد جاكـوب[1]، مـرض كروتزفيلـد جاكـوب علاجـي المنشـأ، مـرض كروتزفيلـد جاكـوب المتغـير، مـرض كروتزفيلـد جاكـوب العائـلي، مـرض كروتزفيلـد جاكـوب المتقطـع، داء غيرستمان شتراوسـلر شـينكر[2]، الأرق العائـلي المميـت، الكـورو[3]، الاعتـلال البريـوني المتغـير الحسـاس للبروتيـاز (مجموعـة مـن الإنزيمـات البروتينيـة).

اللعنة عليَّ!

كل هذه أشكال من الأمراض البريونية.

والبريونـات عبـارة عـن بروتينـات معتلـة تحمـل قـدرة مرعبـة عـلى أن تنقـل بطريقـة تحفيزيـة شـكلها المعتـل إلى التنويعـات الطبيعيـة لنفـس البروتـين، هـذه الطفـرات تتسـبب في اعتـلال البروتينـات الطبيعيـة في المـخ، إنهـا تمـزق حرفيًـا مـادة المـخ وتسـبِّب حفنـة مـن أمـراض الانتـكاس العصبـي المثـيرة للرعـب. يفقـد الضحايـا قدرتهـم عـلى تمييـز النـاس والأماكـن والعنايـة بأنفسـهم، وفي المراحـل الأخـيرة، يتوقفـون عـن التفكـير بشـكلٍ مطلـقٍ.

---

(1) عبارة عن اضطراب انتكاسي في الدماغ يؤدي إلى الخرف ثم إلى الوفاة في النهاية.

(2) مـرض نـادر جـدًا يصيـب المـخ أيضًـا وأعراضـه قريبـة مـن الأمـراض السـابقة: الخـرف والتشـنجات العضليـة وربمـا العمـى والصمـم والوفـاة في النهايـة.

(3) مـرض بريـونيّ أصبـح نـادرًا جـدًا في أيامنـا هـذه، وهـو يسـبِّب تدهـورًا سريعًـا في الوظيفـة الذهنيـة وضعفًـا في التنسـيق.

في العـادة، الأمـراض البريونيـة نـادرة للغايـة -يتـم الإبـلاغ عـن أقـل مـن ثلاثمائـة حالـة في الولايـات المتحـدة كل عـام- وتتطـور ببـطء. وطريقـة العـدوى محـدودة بشـدة. لا يمكنـك أن تصـاب بهـا إلا عـبر واحـدة مـن ثـلاث طـرق: الإصابـة الوراثيـة، أو مـن عمليـات زرع قرنيـة ملوثـة أو أدوات طبيـة ملوثـة، أو -كـما في حالـة مـرض الكـورو الـذي أصـاب شـعب الفُوريـه في بابـوا غينيـا الجديـدة- أكل لحـوم البـشر.

أغلقـت حاسـوبي المحمـول، وفصلـت الطاقـة عـن منظـم التسلسـل، وأدرت محـرك السـيارة.

كانت الأفكار تتسابق في عقلي.

بالنسـبة إلى أشـخاص مثـل تيفـاني ومثـلي، كان التحسـين يسـير كـما خُطـط لـه.

لكـن لـو سـار التحسـين بطريقـة مـا شـديدة السـوء، فلتتوقـع أن يكـون نـوع الفشـل الوظيفـي الـذي سـتراه بالضبـط مرضًـا بريونيًـا.

10

كان المطـر يتســاقط عندمــا دخلــت ســيلفرتون، كولــورادو، بلــدة المناجــم القديمــة ذات الخمســمائة نســمة. اســتقرت في وادٍ عــالٍ محــاط بــذرى مســنَّنة متكــسرة لسلســلة جبــال عمرهــا ثلاثــون مليــون ســنة تشــكلت عندمــا اصطدمــت صفيحتــان قاريتــان إحداهــما بالأخــرى.

قدت سيارتي عبر البلدة الهادئة.

ليــس مــن محــل مفتــوح إلا حانــة فقــيرة في طــرف، وحافلــة طعــام في الطــرف الآخــر. نهضــت نصــف المبــاني في حــالات متباينــة مــن الاحتيــاج إلى الترميــم، بــدت مــن ذلــك النــوع مــن الأماكــن التــي لم تتغــير بشــكل حقيقــي خــلال مائــة عــام، مــكان وقــف متحديًــا للمســتقبل.

مكان يموت.

في نهاية البلدة، أوقفت سيارتي عند جانب الطريق.

وفقًا لنظام تحديد المواقع لديَّ، كان 58 طريق إيولوس واي إلى الشمال من موقعي الحالي بـ 3.2 ميلًا، وبينما كنت أتطلَّع حولي في هذه البلدة الخاوية المحتضرة، لم أستطع التخلُّص من فكرة أن أندرو كذب عليَّ، أو ربما لم يكذب، ربما كنت أؤدي بالضبط ما خططت له كارا.

على أي حال، سأعرف قريبًا جدًّا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

***

بعد ميل شمال البلدة، انتهى الطريق الممهد. كان الطريق الترابي موحلًا، وغارقًا بالماء في مواضع منه، والمطر يسقط بقوة أكبر الآن بينما يتعرج الطريق عبر غابة دائمة الخضرة.

كانت الغيوم منخفضة ومنذرة بالوبال، غابت في بطنها أعلى الذرى.

مررت بسفح تل تزلج مهجور. كان النُزُل مظلمًا، ونوافذه مكسورة، ومركبات التليفريك تتأرجح في الريح. وثمة كاسحتا ثلج مهملتان منذ أمدٍ بعيدٍ متروكتان ليأكلهما الصدأ في هدوء.

بعد ميلين آخرين، نبَّهني الجي بي إس إلى أني قد وصلت إلى 58 إيولوس واي.

لم أتوقف.

على يميني، كانت هناك طريق بحارة واحدة تتفرع صاعدة جانب الجبل قبل أن تتوارى داخل غابة داكنة - لم أستطع أن أرى أي رقم للشارع، إلا بوابة تمنع الدخول إلى الطريق الخاص، وثمة لوحة مفاتيح وجهاز اتصال داخلي بالقرب منها. لقد رأيت كل هذا بصفاء أقل على خريطة القمر الصناعي عندما توقفت لأجري استعداداتي بالأمس.

قدت سيارتي بضع مئات من الياردات مبتعدًا في الطريق، وأخيرًا أوقفت المرسيدس على مسافة آمنة من درب كارا.

انهمر المطر كالمطارق على زجاج السيارة الأمامي.

ذهبت إلى الجزء الخلفي من السيارة وفتحت حقيبة أندرو. كان قد فكك سلاحي أشلاء في بيت تيفاني في جلاسجو، لكن كان لديَّ الآن مسدسه الكيمبر ماكرو 9 ملم. تأكدت من الذخيرة: سعة 7 + 1، كان سلاحًا ضئيلًا، لكن حاليًا، أفضل من لا شيء.

عندما خطوت خارجًا، كان الهواء معبقًا برائحة التنوب المبتل والخشب المحروق، غصت في الغابة المتفحمة، شاقًا طريقي بثبات صاعدًا جانب التل المشجَّر المنحدر.

بعد خمس عشرة دقيقة، كنت أعلى الطريق بعدة مئات من الأقدام، واستطعت أن أرى من بعيدٍ الطريق الخاص المؤدي إلى 58 إيولوس واي يصعد ملتفًا عبر الأشجار، شككت في وجود كاميرات ومجسَّات أشعة تحت حمراء على طول الطريق.

تابعت صعودي الشاق للجبل، مبقيًا عينيَّ على الطريق وفي نفس الوقت محافظًا على اختبائي بين الأشجار.

بعد ساعة، وصلت أخيرًا إلى حافة فرجة في الغابة. أمامي مباشرة نهض المسكن الجبلي، من الداخل، شعَّت الأضواء في خفوت عبر النوافذ.

جلست مستندًا إلى شجرة، تاركًا مظلة الغصون تقيني المطر الثلجي، وعندما مال الأصيل نحو المساء وانسحب الضوء، أخرجت منظارًا مكبرًا من حقيبة ظهري ووجهته نحو المنزل.

لا حركة بالداخل.

كنت قد أجريت بحثًا عن ملكية المنزل، كان له مالك واحد منذ بنائه قبل اثني عشر عامًا، كيان باسم جي 6، شركة ذات مسؤولية محدودة لديها وكيل مسجَّل في ولاية ديلاوير ولا توجد أي معلومات أخرى متاحة. قمت باختراق سجلات مكتب مفتش المباني في سيلفرتون ووجدت مخططات المسقط الأفقي. بافتراض أن البنَّائين التزموا بها، سأعرف طريقي في المكان.

بينما أنا منتظر هبوط الظلام، خطر لي أني على جبل في كولورادو، على ارتفاع عشرة آلاف قدم في يناير، وكان المطر ينهمر بدلًا من الثلج. ذات يوم من الأيام، كانت هذه الجبال لتُدفن تحت أمتار من نثار طازج. ذات يوم من الأيام، كانت هذه الغابات لتغدو خضراء، لكن حرائق الغابات في الأصياف مفرطة الطول حمَّصتها.

حلَّ المساء.

نهضت واقفًا، وظللت وسط الأشجار وأنا أسير بمحاذاة محيط فرجة الغابة حتى وصلت إلى جانب المنزل.

تحركت بمحاذاة الجدار الحجري، وانعطفت عند الزاوية إلى داخل الساحة الخلفية. امتدت من المنزل منصة مترامية الأطراف حتى حافة الغابة، توقفت عند أول نافذة قابلتني.

وكانت هي هناك.

تولي ظهرها لي وهي تقطع الخضروات على نضد من الجرانيت - على مبعدة عشرة أقدام فقط.

تابعت الحركة. لو كانت الرسومات الهندسية صادقة، هناك باب في الطرف الآخر من المنزل، ينفتح على حجرة زجاجية لأخذ حمَّامات الشمس، ستمنحني أفضل تغطية للاقتراب من كارا، وإذا اضطررت إلى كسر الزجاج، من غير المحتمل أن تسمعه من المطبخ.

عـبرت المنصـة وجريـت بمحـاذاة الجـدار الخلفـي مـن البيـت، لأصـل أخـيرًا إلى جـدار زجاجـي داكـن مبخَّـر مـن الداخـل.

أخرجـت المسـدس الصغـير مـن سـترتي، ومـددت يـدي نحـو الأبـواب الزجاجيـة المنزلقـة.

دار المقبض.

لفح وجهي هواء دافئ.

خطوت إلى الداخل، وانغلق الباب في تكة ناعمة ورائي.

وجـدت نفـسي في حجـرة موسـيقى، حيـث اسـتقر بيانـو كبـير بصنـدوق مـن خشـب الـزان محاطًـا بجـدران زجاجيـة. رُتبـت عـلى غطائـه بحـرص مجموعـة مـن الصـور الفوتوغرافيـة المؤطـرة.

تفحصتها في الظلام.

أنـا وماكـس في سـن الثامنـة في نزهـة عـلى ظهـور الخيـل قـرب سلسـلة جبـال سـييرا نيفـادا.

كارا في رداء وقبعة التخرج في حفل مدرستها الثانوية.

والدنـا، هـاز، في مقصـورة مركـب شراعـي كان يحبـه في خليـج سـان فرانسيسـكو، يبتسـم مـن وراء نظـارة شمسـية.

أعياد ميلاد، حفلات كريسماس، أعياد شكر، أعياد هالووين.

كان هنـاك زمـن يمكـن لهـذه الصـور فيـه أن تحطمنـي - كآثـار عائلـة منكوبـة. أمـا اليـوم، فلـم أشـعر إلا بهديـر نـاءٍ للعاطفـة، وكان هديـرًا واهنًـا جـدًا، وبعيـدًا جـدًا فيـما وراء أفقـي العاطفـي، حتـى إني ميزتـه بالـكاد.

أهـذا هـو المـكان الـذي عاشـت فيـه أمـي مختبئـة، بعـد أن صـدَّق العـالم أنهـا اندفعـت بسـيارتها خـارج الطريـق السـاحلي لكاليفورنيـا؟

كان هنـاك أثـر كـسر في غطـاء البيانـو، ميزتـه عـلى الفـور. منـذ عقـود، عندمـا كان هـذا البيانـو قائمًـا في بيتنـا في بـيركلي، اصطدمـت بـه عَرَضـا وأنـا أمتطـي سـكوتر بينـما كانـت كارا تطـاردني في أرجـاء البيـت.

تخيلـت ميريـام جالسـة هنـا، تعـزف الموسـيقى التـي قدمتهـا لنـا في أوقـات أسـعد، محدقـة إلى كل هـذه اللحظـات المجمَّـدة بعيـدة المنـال.

ففككـت أربطـة حـذائي وخلعتـه، ثـم خرجـت مـن حجـرة حمّامـات الشـمس وسرت في الممـر الواسـع الـذي يشـطر الطابـق الأول، وقلبـي يـدق 5 نبضـات أسرع في الدقيقـة في هـواء المرتفعـات الشـحيح بينـما صـوت أختـي في المطبـخ يغـدو مسـموعًا.

ثمـاني لوحـات للرسـام الهولنـدي فيرمـير معلقة عـلى الجـدران في الجانب الأيمـن مـن الممـر، وصـدأ النحـاس الخفيـف عـلى سـطوح اللوحـات أشـار إلى أنهـا جميعًـا أصليـة.

زيَّنـت أربـع لوحـات ضخمـة لجورجيـا أوكيـف الجانـب الأيـسر - منيرة في وهـج الكشّـافات الجانبيـة التـي سـحبت منهـا كل ذرة مـن الحيوية.

في الصالـة الكبـيرة، تقاطعـت العـوارض الخشـبية المكشـوفة بعـرض السـقف المقبـب. توهجـت النـار في مدفـأة حجريـة مـن طابقـين انفتحـت عـلى غرفـة المعيشـة، حيـث كنـت أقـف، والمطبـخ في الناحيـة الأخـرى.

أحكمت قبضتي على المسدس الصغير وسرت جانبًا نحو المدفأة.

أخذت شهيقًا، ثم خطوت حول الزاوية، جاعلًا أختي في مجال الرؤية.

كانـت مـا زالـت واقفـة عنـد نضـد المطبـخ الأوسـط، تخـرِّط بصلـة بسرعـة أكـبر مـما رأيـت بهـا أي شـخص يخـرِّط بصلـة في حيـاتي.

لم تنظر إليَّ على الفور، رغم أني كنت متأكدًا أنها رأتني.

تساءلت على سبيل التحية: "هل مات أندرو؟".

- لا، لكني لن أقول إنه بخير.

على حد ما استطعت أن أميز، كانت كارا عزلاء. ترتدي سروالًا من سراويل اليوجا وفانلة ضيقة بلا أكمام. كان شعرها أقصر مما رأيتها عليه في المرة الأخيرة، وبدا كأنها أجرت تكبيرًا ذاتيًّا إضافيًّا لوجهها.

- هل هناك...

قالت: "أنا فقط هنا.." وهي تتحدث بسرعة أكبر من لقائنا الأخير معًا.

أو ربما لم أكن معتادًا على التواصل مع شخص آخر محسَّن.

- كنت أنتظرك يا أخي.

كان هناك شيء آخر تبيَّنته من لغة جسدها ولم أستطع أن أحدده.

"أتنوي أن تطلق النار عليَّ؟" تساءلت وهي تتحرك نحو موقد وتفرك البصلة داخل مقلاة بها قطعة زبد لامعة.

- حسبما يتراءى.

قطعت بسرعة شرائح من نبات الهليون على خشبة تقطيع اللحم، ووضعتها في طبق خبيز خزفي، وصبَّت قطرات من زيت الزيتون على كل شيء، ووضعته في الفرن الساخن.

قالت: "فلنأكل وجبة معًا، يمكنك دائمًا أن تطلق النار عليَّ لاحقًا، أنا عزلاء، لكن إما أن تقتلني الآن وإما تتوقف عن تصويب هذا المسدس اللعين نحوي".

أنزلتُ المسدس. أشارت كارا إليَّ كي أجلس في الناحية المقابلة لها من النضد الجرانيتي، جذبت قدرًا صغيرًا واتجهت إلى الثلاجة، وتناولت عبوة من الدجاج.

قلت: "إذن كان هذا مكان ماما..".

- كان لديها أماكن أخرى، أخفت ملايين قبل أن تصادر الحكومة أصول ممتلكاتها، كيف كانت جلاسجو؟

- حصلت على بعض العينات من صُنع يديكِ.

- حتى الآن، تلقَّى 2016 شخصًا التحسين، هناك 274 حالة مؤكدة بأمراض شبه بريونية.

"عن عمدٍ؟" تساءلتُ.

هزَّت رأسها: "لا أعرف لماذا طورت نسبة 13.6 في المائة البريون بدلًا من التحسين".

شقَّت كارا بخبرة قطعتين من صدور الدجاج وقلّبتهما في خليط من التوابل. كانت حركاتها دقيقة، بسرعة ودقة لم أرها قطُّ من طهاة محترفين. أغلب الوقت، حتى وهي تقطِّع، لم تفارق عيناها عينيَّ قطُّ.

واريت المسدس عن الأنظار، أسفل الحافة الجرانيتية تمامًا.

سألتها: "عرفتِ أني سأذهب إلى جلاسجو؟".

- أملتُ أن تفعل، بافتراض أنك نجوت من حادث نيو مكسيكو. أرسلت أندرو إلى هناك في حالة إن ظهرت.

ليرشدني إلى هنا.

قلت: "قستُ تسلسل عينات جلاسجو، لم يكن التحسين قابلًا للانتقال".

قالت: "كان عليَّ أن أتأكد من أن التحسين يعمل أولًا..".

- إذن فقد عاد الأمر إلى نقطة البداية؟

- لا، يمكنني العيش مع معدَّل خلل 13.6 في المائة. مع علاج جيني بهذه القوة، الآثار الجانبية والخروج عن الهدف أمور حتمية، أنا مندهشة من أن العدد ليس أكبر من ذلك.

مضت كارا نحو الموقد، وصبّت نبيذًا أبيض على البصل المقلي، عطرت سحب من الكحول المبخّر أرجاء المطبخ.

"هل استطعتِ الوصول إلى نسخة قابلة للانتقال بعد؟" سألتها وجزء مني خائف أن يسمع الإجابة.

- قريبًا.

يا إلهي! شككت في هذا كثيرًا، لكن سماع تأكيد بالأمر...

قالت: "أستخدم خلايا HEK293 لزراعة تركيزات عالية من الفيروس الحامل للتحسين".

أومأت برأسي. خلايا HEK293 سلالة من خلايا الكلى الجنينية البشرية، مستخدَمة على نطاق واسع طوال عقود في صناعة تكنولوجيا الجينات بسبب سهولة زراعتها والكفاءة التي يمكن بها نقل الحمض النووي الخارجي إليها، ما كنت لأستخدمه بالضبط.

وضعتْ الدجاج على شواية الموقد المصنوعة من الحديد الزهر.

- ما هو عدد التكاثر الأساسي المتوقع؟

- 8.7، مع قدرة الحالات على نقل الفيروس خلال خمسة عشر يومًا من التعرض الأولي.

كان هذا رقمًا كبيرًا. في علم الفيروسات، يشير عدد التكاثر الأساسي إلى مستوى العدوى لمرض معين، وهو عدد الحالات المتوقع أن يتسبب فيها شخصٌ واحدٌ مصاب. مرض الحصبة، أكثر الفيروسات المعروفة للبشر قدرة على العدوى، لديه عدد تكاثر أساسي يتراوح بين 12 إلى 18، ما يعني أن كل شخص مصاب من المتوقع أن يعدي من 12 إلى 18 آخرين. مقارنة بهذا، كان لدى الأنفلونزا الإسبانية -التي قتلت خمسين مليونًا- عدد تكاثر أساسي أقل بكثير وصل ما بين 1.4 و2.8. وكوفيد19- كان نحو5.7.

قلت: "لو عرضتِ كل إنسان للتحسين، وإذا استمرت النسب المئوية لجلاسجو، فأنت تتحدثين عن قتل مليار إنسان. ألن يؤرقكِ هذا في الليل؟".

- اللعنة.. نعم سيؤرقني في الليل، لكن سيكون من الأنانية ألا أفعل ما يجب فعله فقط لأنه يعذب بقايا ضميري. لدينا هذه اللحظة لنصحح مسار السفينة، إما أن نحسِّن ذكاءنا الجمعي إلى مستوى يمكننا عنده جميعًا أن نتَّحد وننقذ أنفسنا، وإما سيكون القرن القادم هو الأخير للبشرية.

التفتت مرة أخرى إلى قطع الدجاج، كانت قد تحمَّرت إلى درجة جيدة. استخدمت كارا ملقطًا لتحرك قطع الدجاج في مرق النبيذ الأبيض، ثم رشَّتها جميعًا بأعشاب طازجة.

سألتها: "أين تنهين التحسين؟".

اكتفت بالابتسام لي: "حان وقت الطعام. اذهب وائتِ بالنبيذ، المخزن وراءك".

انتظرتُ حتى بدأتْ بالفعل تغرف الطعام في الأطباق قبل أن أنزلق من فوق مقعدي المستدير.

كان مخزن نبيذ أمي حجرة صغيرة ذات جدران حجرية ومكيفة الهواء. بعد قليل من التردد، اخترت زجاجة كابرنيه سوفينيون مصنوعة في معصرة نبيذ قرب مدينة والا والا في واشنطن، كانت منطقتي المفضلة قبل أن تحترق.

كانت كارا قد وضعت الأطباق على مائدة غرفة الطعام عندما خرجتُ بالزجاجة، وعندما رأتها، قالت: "عام ميلادك، اختيار لطيف".

جلستُ قبالتها، ووضعتُ المسدس على الدكة بجانبي.

كان الطعام رائعًا. أطبق الليل جناحيه - ولم يكن هناك إلا الظلام عبر النوافذ ونور النار الموقدة في المدفأة يتراقص على الجدران.

نظرت كارا إليَّ: "ألا تعتقد أننا كبشرٍ في أزمة؟".

"لا" أخذت قضمة أخرى من الدجاج الممتاز. "أرى ما رأته ماما، أعرف ما هو آتٍ، وهذا يطاردني كوسواس".

- إذن لماذا لا نعمل معًا؟

- ماذا لو لم يكن هذا هو الحل؟ ماذا لو انتهى بك الأمر إلى قتل مليار إنسان بلا سببٍ؟ ماذا لو انتهى الأمر بك فقط وأنت تخلقين عالمًا كله ميريام رامزي - كله أشخاص مقتنعون أنهم يعرفون ما هو أفضل، كلهم قادرون على إلحاق أذى لا يمكن تخيُّله إن أخطأوا؟ ماذا لو خلقت حزمة من البشر هم أفضل على نحو جذري فيما كانوا يجيدونه بالفعل، جنود، مجرمون، سياسيون، رأسماليون.

رشفت أصغر رشفة من النبيذ وحدقت إليَّ عبر المائدة ذات الحواف الطبيعية التي لم تتعرض لتحسينات النجارة، حيث تخيلتُ أمي تتناول وجبات كثيرة وحيدة، أو ربما لم تكن وحيدة على الإطلاق، ربما أحبَّت وحدتها وصحبة عقلها.

تابعتُ: "أنت تعملين من منطلق افتراض معيب، الذكاء الأعلى لا يجعلك أقل طمعًا أو أنانية أو شرًّا، ولا يجعلك بالضرورة شخصًا طيبًا".

- لا أقول إنه سيحل كل شيء، إنها ليست عصا سحرية. لكن لو استطعنا أن نمنح الناس القدرة على رؤية العالم كما هو عليه بالفعل، والذكاء كي يفعلوا شيئًا حيال هذا، ألن نعطي أنفسنا فرصة على الأقل؟ ألا ندين لنوعنا بهذا؟ انظر، فهمت الفكرة.

تريد أن تعرف ما يحمله المستقبل، وتحتاج إلى معرفة مسبقة بأننا نقوم بالاختيار الصحيح، لكنك لا تستطيع.

- أريني دليلًا أن هذا التحسين سيصلح المشكلات التي تقولين إنه سيحلها، أريني اختباراتك وبياناتك الدقيقة.

- أعرف أني تغيرت إلى الأفضل، يجب أن أثق بأن أغلب الناس الذين أحسِّنهم سيمرون بتحوُّل مشابه.

- إذن في النهاية، أنت تقيمين كل هذا على اعتقادك الشخصي؟

- نحن في سباق مع الزمن يا لوجان، كل ما يمكننا أن نفعله هو أن نحاول بأقصى ما لدينا أن نستخدم الحقائق المتاحة لدينا وندرس دوافعنا. لقد درستُ دوافعي، لم أكن لأفعل هذا من أجل المال أو الشهرة، ولا من أجل السلطة أو الأجيال القادمة.

- ما السبب إذن؟ لأنك تعتقدين أن هذا هو الصواب؟

- الصواب والخطأ كيانات وُلدت من العاطفة البشرية، ليست إلا قصصًا ألَّفناها ونسبنا إليها المعاني. لا تتطابق مع أي واقع موضوعي، الشيء الوحيد الحقيقي هو البقاء على قيد الحياة.

قلت: "ربما تكون الرحمة والتعاطف مجرد مشاعر رخوة، أوهام خلقتها خلايانا العصبية المرآتية، لكن هل من المهم حقًّا من أين أتت؟ إنها تجعلنا بشرًا، بل لعلَّها ما يجعلنا نستحق البقاء".

"بربك يا لوجان، كفانا معانٍ مجردة. ربما لم تصدق أن وقتنا انتهى هناك في نيو مكسيكو، لكنك تعرف الآن. وتعرف أننا لا نستطيع أن نترك هذا يحدث فقط" رفعت كارا كأس نبيذها: "هل أنت معي أم لا؟".

رفعت كأسي ولمست به كأسها، وبينما نشرب، أبقيت عينيَّ على عيني أختي، وفي أثناء ذلك كنت أمد يدي ببطء، ببطء شديد نحو المسدس...

الأطباق، والأكواب، وقارورة الخمر، وزجاجة النبيذ، والطعام، وآنية المائدة الفضية - كل شيء سقط فوقي، عندما سقطت فوقي المائدة بكامل ثقلها وألقتني أرضًا، وهي تكاد تسحق صدري.

لم أرَ أي مقدمة لهذا، لم تكشف عن أدنى إشارة لنيَّتها، لكنها بالطبع قرأت في وجهي أنها فشلت في إقناعي.

تلويت خارجًا من تحت المائدة، وقد تمكنت أخيراً من الإمساك بمسدسي.

"توقفي!".

التفتت كارا ببطء وتجمَّدت في الممر المؤدي إلى غرفة المعيشة، ساكنة تمامًا، فتشت يديها بحثًا عن سلاح، كانتا خاليتين.

نظرت إليَّ بحدة مفاجئة مفزعة: "أنا أحبك يا لوجان، وأمنحك كل الفرص، لا تجعلني أفعل هذا. أعرف أنها مجرد عاطفة، لكني لا أريد أن أضطر إلى فقدك أيضًا".

صوبتُ مسدسي نحو ساق أختي اليسرى، متوقعًا بصيصًا من حزن أو خوف، لكن ظل وجهها محايدًا تمامًا.

- أين تنقين الفيروس؟

قالت: "سترث آفًا عالمًا يحتضر، يمكنني أن أرى في وجهك أنك...".

"بالطبع أكرهه!" تردَّد صدى صوتي عبر جنبات البيت الصامت.

- إذن لماذا تصوب نحوي مسدسًا؟

- لأنه لا بد أن يكون هناك سبيل آخر.

- عظيم. ما هو؟

- لا أعرف.

- حسنًا، بينما تفكر أنت فيه، سأفعل في الحقيقة شيئًا.

- أين تنقين الفيروس؟

اكتفت بالتحديق إليّ.

قلت: "لا أريد أن أؤذيكِ..".

- أعرف.

صوَّبتُ نحو عضلتها المستقيمة الفخذية اليسرى، العضلة التي تثني الفخذ وتمد الساق من أسفل عند الركبة، سأقعدها من دون أن أهدد حياتها.

كان صوت الطلقة يصم الآذان في حدود البيت.

صفَّرت أذناي.

كانت كارا ما زالت هناك، منتصبة، بحثتُ عن الدم، لكن لم يكن هناك أي منه. بحثتُ عن آثار الصدمة، لكن لم يكن هناك أي منها.

كانت فقط تقف إلى يمين المكان الذي صوبتُ إليه.

غير مصابة.

أنا...

تحركتْ.

.... أطلقتُ النار مرة أخرى.

للحظة، تساءلتُ إن كانت بطريقة ما دسَّت رصاصات فارغة في خزانة المسدس، إن كانت هذه خدعة مدبَّرة بطريقة معقدة، لكني عندئذ رأيت ثقب الرصاصة في الأرضية خلفها.

أخذتُ خطوة إلى الأمام.

هي على مبعدة عشرة أقدام فقط الآن.

مـرة أخـرى تحركـتْ في نفـس اللحظـة التـي جذبـتُ فيهـا الزنـاد واختفـت وراء زاويـة المدفـأة.

ما هذا الخراء؟

اندفعـتُ في أثرهـا إلى داخـل غرفـة المعيشـة، محـاولًا أن أفهـم كيـف تمكّنـت أختـي مـن مراوغـة ثـلاث رصاصـات مـن هـذا المـدى القريـب. طبعًـا هـي لم تراوغهـا. أغلـب الطلقـات ال 9 ملـم تتحـرك بسرعـة 1200 قـدم في السـاعة، لا يمكـن لأي إنسـان، محسَّـن أو غـير محسَّـن، أن يتحـرك بـأي شـكل يقـارب هـذه السرعـة.

كانـت ترقـب، وتتحـرك، في النانـو ثانيـة مـا بـين عزمـي وجذبـة الزنـاد، لكـن حتـى مـع قـدراتي الإدراكيـة المحسَّـنة، لم أكـن لأسـتطيع أن أفعـل هـذا.

أصدر لوح من ألواح الأرضية خلفي صريرًا.

درت حـول نفـسي لأجـد باطـن قـدم يـضرب صـدري ويدفعنـي إلى الـوراء، لأرتطـم بطاولـة قهـوة زجاجيـة، وأنـا أحـاول أن أرفـع مسـدسي، لكـن كارا ركلـت المسـدس مـن يـدي وهبطـت فوقـي، واضعـة طـرف السـكين الـذي شـقَّت بـه دجاجنـا عـلى حلقـي.

قالـت: "هـل فكـرت مـن قبـل أنـه ربمـا هنـاك سـبب لقيـام ماما بتحسـيننا نحـن الاثنـين؟" شـعرتُ بالنصـل بادئًـا في اخـتراق لحمـي. "ربمـا كانـت تعـرف أنـك لسـت قـادرًا عـلى القيـام بالاختيـار الصعـب".

- لقد حسَّنتِ نفسك مرة أخرى، أليس كذلك؟

لم تُجِـب. أدخلـتُ يـدي خفيـةً في جيبـي، وقبضـتُ عـلى جهاز التحكـم الصغـير، وضغطـت الـزر، وأبقيتـه مضغوطًـا. داخـل جيـب سـترتي الأيـسر،

شـعرتُ بذبذبـة هادئـة عندمـا بـدأ محـرك الاقـتران ومُولِّـد التفريـغ في الطنـين.

حملقـت كارا إليَّ، وقـد سـقط قناعهـا المحايـد، كانـت غاضبة ومكسـورة القلب.

- أريدك أن تعرف... لا يوجد جزء فيَّ يريد أن يفعل هذا.

لكنهـا كانـت سـتفعله، لقـد سـمحت لي بالعثـور عليهـا لتقـوم بمحاولـة أخـيرة لضمـي إلى صفهـا، وبمـا أن هـذا فشـل، كان عليهـا الآن أن تفعـل شـيئًا صعبًـا للغايـة.

قالت: "أنا آسفة.." والتمعت الدموع في عينيها.

- لو قتلتيني، سيموت كلانا.

تفحَّصتْ وجهي، باحثة عن أمارات الكذب، لم تجدها.

قلـت: "إبهامـي يضغـط عـلى زر، لـو أفلتـه، سـيقوم المـوزع الموجـود في سـترتي عـلى الفـور بإطـلاق وابـل رذاذ مسـتمر...".

- مم؟

- الريسين.

اتسعت حدقتاها، تدفق الأدرينالين.

الريسـين عبـارة عـن بروتـين مثبـط للريبوسـوم[1]، الـذي يصيـب الخلايـا ويعـوق قدرتهـا عـلى تركيـب البروتـين الخـاص بهـا، معطـلًا الوظائـف الأساسـية في الجسـم. يـأتي مـن بـذور نبـات الخـروع، التـي تُسـتخدم لصناعـة زيـت الخـروع غـير الضـار. مـادة متاحـة بسـهولة ومـن اليسـير إلى حـد مـا إنتاجهـا. يحتـاج الشـخص البالـغ العـادي إلى 1.78 ملليجـرام فقـط

(1) الريبوسـوم هـو أحـد عضيـات الخلايـا الحيـة، وأحـد المراكـز المهمـة في عمليـة تحويـل المعلومـات الوراثيـة إلى بروتينـات مشـفَّرة ضمـن الصيغـة الوراثيـة.

من الريسين، حقنًا أو استنشاقًا، كي يموت - ما يعادل بضع حبات من ملح الطعام.

سألتها: "تعرفين ما يحدث عندما تستنشقين الريسين؟".

كانت كارا قد غدت متجمدة تمامًا.

- خلال عدة ساعات، ستصابين بسعال دموي تشنجي، تمتلئ رئتاك بالسوائل، تغرقين، ولا يوجد علاج، ولا ترياق.

- هذه خدعة جيدة.

رفعتُ ذراعي اليسرى: "أترين الأنبوبة داخل كُمِّي؟".

نظرت عيناها إلى كُمي، ثم عادتا إليَّ.

راقبتها، ويدي على الزر. نظرتُ إلى المسدس... على بُعد ثمانية أقدام.

قلت: "الموزع مصنوع بطريقة خاصة، سيملأ هذه الغرفة برذاذ من الجسيمات النانوية المسحوقة والجافة قبل حتى أن تلمسي المسدس".

- أتصادف أن جئتَ بواحدٍ من هؤلاء المتاحين في كل مكان؟

- ابعدي سكينك عن حلقي.

سحبتُ النصل.

- ألقيها بعيدًا.

جلجلت السكين على الأرض خلفنا.

قالت: "لا يهم، لا يمكنك أن توقفني".

لو كنت أعلم علم اليقين أن قتل كارا سينهي خطر إطلاق التحسين في العالم، لرفعت إبهامي عن زر التحكم. لكنها ذكرت شيئًا عن عالِم

فيروسـات، وجنَّـدت وحسَّـنت أنـدرو، الـذي ظهـر لي في جلاسـجو، ولديهـا أشـخاصٌ آخـرون يعملـون معهـا، أشـخاص يمكنهـم إكـمال التحسـين في غيابهـا، وبـدا أن خـط النهايـة قريـب.

قلت: "ببطء شديد، انزلي عني".

تحركت على البلاط.

قلت: "ارقدي على بطنك..".

تقلبـتْ، ووجههـا منكـس في الزجـاج المكسـور. "لـو قمـت بحركـة نحـو المسدس..".

- لن أفعل.

ألقيتُ نظرة نحو الباب الأمامي، على مبعدة عشرين قدمًا.

اعتدلت في جلستي.

نهضتُ ببطء.

كارا تراقبنـي مـن طـرف عينهـا اليمنـى، وكفَّاهـا عـلى البـلاط، مسـتعدة للقفــز معتدلة.

أخذتُ خطوة حذرة إلى الوراء.

وبعد ذلك خطوة أخرى.

عندمـا كنـت عـلى مبعـدة عـشرة أقـدام مـن البـاب الضخـم، التفـتُ وانطلقـتُ نحـو المدخـل، سـمعتُ الزجـاج ينسـحق ورائي، كارا تتحـرك، لكنـي لم أتوقـف، عـلى أمـل أن يكـون البـاب مفتوحًـا، لأن الثانيـة الإضافيـة التـي سـأحرقها في التعامـل مـع القفـل قـد تكلِّفنـي حيـاتي.

جذبـت البـاب بقـوة لأفتحـه وانطلقـت متجـاوزًا العتبـة عندمـا دوت طلقـة رصـاص خلفـي.

هبطت السلالم عدوًا.

خرجت من مجال إضاءة الثريا الخارجية، وانطلقت بسرعة متزايدة تحت المطر الثلجي، وزر التحكم ما زال في قبضة يدي.

لا تقع، لا تقع، لا تقع.

تردد صدى مزيد من الطلقات راجعًا من الجبال المحيطة، وقدماي الحافيتان تلتصقان قليلًا بالوحل.

لم أنظر ورائي، لم أتوقف.

أسرعت هابطًا التل عبر فرجة الغابة، وأنا في حاجة فقط إلى الوصول إلى مأوى الغابة الأكثر ظلامًا، ونبضي يتقافز إلى 195 نبضة في الدقيقة، وما بين دقات قلبي الهادرة والمطر المنهمر المغرق، لم تكن لديَّ فكرة إن كانت أختي ما زالت تطاردني.

دخلتُ الغابة المحروقة، والأرض تزداد انحدارًا، ورؤيتي الليلية تجتذب كل خيط متاح من الضوء، وتراوغ الأشجار، وتقفز فوق كتل الخشب الممدودة، وأستطيع الشعور بالجاذبية تهدد بسقوطي متشقلبًا من فوق الجبل.

أبطأت سرعتي، وتوقفت أخيرًا خلف جلمود صخر.

أرهفت سمعي.

لا شيء.

كنت قد بدأت أرتجف. تمزّقت قدماي، واحترقتا من البرد، سمعت شيئًا، ليس وقع أقدام، ضجة ما آلية نائية، كانت باب جراج ينفتح.

بعد اثنتي عشرة ثانية، مسح مخروطا ضوء الغابة لفترة قصيرة، منيرين المطر المنهمر بشكل رائع، سمعت إطارات تدور فوق الأرض الممهدة.

رأيـت ذلـك لحظـة واحـدة فقـط: وميـض الأضـواء الأماميـة يكشـف الطريـق الخـاص.

كارا ترحل، لم تكن بحاجة إلى هذه المعركة، لقد فازت بالفعل.

بيـدي اليـسرى، أخرجـت المـوزع مـن جيبـي وعطلتـه يدويًـا، وعندمـا تأكـدت فقـط أن محـركات الاقـتران قـد توقفـت عـن العمـل تركـت إبهامـي يفلـت زر التحكـم.

وبينما كنت أرتجف بشكلٍ لا إرادي، أبحرت في عقلي أفكار سوداء.

أنتَ فاشل.

خسرتَ الحرب.

بطريقـة مـا، زادت مـن قدراتهـا إلى حـدٍّ يتجـاوز قـدراتي بكثـير لدرجـة أنهـا صـارت الآن قـادرة عـلى مراوغـة الرصـاص. نعـم، لقـد نجـوت، لكـن إلى أي غايـة؟ لا فرصـة أمامـي.

وعندئذ خطرت لي فكرة.

***

كان الباب المؤدي إلى مسكن أمي ما زال مفتوحًا.

دخلتُ.

خيم الصمت ثقيلًا.

لقد أخذت كارا المسدس الكيمبر، لكني لم أعد لأجل هذا.

صعـدت إلى الطابـق العلـوي، ووجـدت غرفـة النـوم التـي كانـت تسـتخدمها كارا، كانـت الخزانـة مـا زالـت ممتلئـة بملابسـها، واسـتقر كـوب مـن المـاء عـلى طاولـة الفـراش الجانبيـة.

دخلـت الحـمَّام، غطَّـت مسـتلزمات التواليـت الخاصـة بـكارا خزانـة الحـمَّام، وبينهـا رأيـت مـا كنـت أبحـث عنـه. التقطـت فرشـاة الشـعر، وتفحصتهـا عـن قـرب، وميـزت أوهـى وميـض للأمـل.

بـين أسـنان الفرشـاة الخشـنة كانـت مـا زالـت عالقـة بعـض خيـوط مـن شـعر أختـي، وواحـد منهـا كان مـا زال يحمـل البصيلـة ملتصقـة بـه.

11

رحلتُ متأخرًا تلك الليلة، متوجهًا غربًا في خروجي من جنوبي كولورادو، وعندما منح أول ملمح للفجر لونًا للسماء، وجدتُ نفسي على الطرق المهجورة لوادي مونيومنت، وأبراج الحجر الرملي تتلقّى أشعة الشمس الأولى، حتى في الوقت الذي كانت ما زالت فيه الأراضي الواطئة باقية في عتمة السَحَر الأرجوانية.

أوقفت سيارتي على جانب الطريق لأعطي نفسي استراحة.

خرجت من السيارة.

كان الصمت شاهقًا.

ولا حتى نفثة ريح، أو خصلة غيم.

وبينما كنت أشاهد الضوء يتقدم من فوق التلال ذات القمم المسطحة القادمة من عالم آخر هابطًا نحو أرض الوادي الذي كان

يومًا ما بحرًا في حقبة الحياة القديمة، استرحت إلى فكرة دوام هذه الأرض الطبيعية.

امتدت الصحراء تحت بوصة هشَّة من الجليد، وفي كل مكان حولي كانت هناك هضاب مستوية وقمم حمراء وُجدت لمئات الملايين من السنين قبل أن يحكم البشر الأرض وستستمر في الوجود زمنًا طويلًا بعد رحيلنا.

***

كان مساء في أواخر يناير، وما زالت أمامي ساعة وأربعون دقيقة بينما أنطلق على الطريق السريع آي 15 في اتجاه فيجاس. من على مبعدة عدة أميال، انبثق امتداد شارع ستريب من حوض الصحراء كبرعم خيالي لزهرة ما غريبة.

اقتربت من تجمُّع الكازينوهات الفوضوي، مارًّا بفندق ميتا فريم عند الطرف الشمالي - فندق شاهق مبني على شكل إطار لوحة بارتفاع ألف متر، حيث كانت اللوحة عبارة عن عرض مستمر عشوائي لآخر المنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي.

وسط هذه القطع المميزة المتحدية للجاذبية من عمارة الكازينوهات انكمشت بقايا الكازينوهات الأصغر حجمًا والأحقر والتي قاربت تاريخ انتهاء صلاحيتها بعد أن كانت متأنقة منذ أربعين أو خمسين أو ستين عامًا.

بينما كنت أتهادى في شارع ستريب، هبَّت روائح الحشيش والقيء والبول والكحول وعطور فتيات الاستعراض لتتخلل شاحنتي الصغيرة.

مررت بنافورة بيلاجيو ذات المياه المشعَّة بنور الشمس. مرة في اليوم، يستخدمون ماء حقيقيًا. أما بقية الوقت، فيستخدمون صورًا مجسَّمة.

لقد هُدم فندق وكازينو سيزارس بالاس، وفي مكانه شُيِّدت كتلة شركات عالمية (برج بابل)؛ جبل حقيقي من صنع الإنسان ارتفع فوق شارع ستريب مسافة ميل كامل. ثمة طريق أخضر اسمه (الحدائق المعلَّقة) كان يبدأ عند قاعدة البرج، ويصعد صعودًا ملتفًّا حول هيكل المبنى، وأخيراً ينتهي، بعد عشرة أميال، عند القمة. وعلى طول الطريق الأخضر، كانت هناك حدائق ومتاجر ومطاعم ومقاهٍ وامتدادات طويلة من دروب السير ونوافير رقمية وأماكن للتوقف والجلوس ومشاهدة الامتداد المتلألئ للمدينة والصحراء من ورائها.

عند الطرف الجنوبي من شارع ستريب، أضاء أحدث وأعجب ملمح لفيجاس بضوء أزرق على خلفية من سماء أول المساء. أسموه (الأرض الزرقاء)؛ وهو عبارة عن جسمٍ كروي هائل يلمع مثل كرة الديسكو في شمس الصحراء ويتوهج كنموذجٍ مذهلٍ من الأرض في الليل.

وكان شارع ستريب محاطًا بمساكن زرية الهيئة - كتل سكنية للناس الذين يدفعون عجلة فيجاس كي تدور.

وحول المساكن، كدائرة خارجية من الجحيم، كانت بقية لاس فيجاس، مهجورة منذ عشرين عامًا بعد أن جفَّت بحيرة ميد.

قدت سيارتي عبر الشوارع الخالية، مراوغًا القمامة والأنقاض.

إلى الغرب، كانت الشمس تغرق في كاليفورنيا، مغيِّرة لون صحراء موهافي من البرتقالي إلى الأحمر إلى البنفسجي إلى الأرجواني.

وبعد ذلك غابت الشمس، أظلمت ضواحي فيجاس، وأشرقت أضواء النيون في الكازينوهات.

***

أوقفت سيارتي على مبعدة عدة بلوكات من مبنى كان ذات يوم فرعًا مهجورًا لوولمارت، ونزلت من المرسيدس، وبدأت السير في الشارع الصامت.

عندما اقتربت، أخرجت زجاجة الويسكي من المعطف القديم الذي اشتريته من متجر ملابس مستعملة في طريق خروجي من كولورادو. فتحت الزجاجة، وسكبت قليلًا من الويسكي على معطفي، ثم تناولت جرعة كبيرة وبصقتها.

كانت ساحة انتظار السيارات فارغة، أعمدة الإضاءة ساقطة في كل مكان، وثمة هياكل سيارات محترقة وبقايا مخيمات مشردين عديدة - خيام ممزقة وبراميل نفط ومخلفات اليأس.

لم يكن في السماء قمر، لكن ضوء النجوم أرشد طريقي.

كانت المداخل القديمة لواجهة المتجر قد أُغلقت بألواح الخشب وصار من المستحيل اجتيازها.

سرت بمحاذاة جانب المبنى، أسير متثاقلًا كسكِّير، وحتى قبل أن أنعطف عند الزاوية، شممت دخان السجائر وعطرًا واهيًا لكولونيا رخيصة.

درت حول الجانب الخلفي من المبنى. من بعيد، في منتصف امتداده، رأيت أربع سيارات دفع رباعي مصفوفة بالقرب من أرصفة التحميل.

بلغتني أصوات، كانوا يتحدثون الروسية.

خمسة رجال، لا، سبعة.

كنت على مبعدة خمسين قدمًا عندما أولوا انتباههم لي. لا شك عندي أنهم رأوني قبل عدة دقائق. لا بد أن هناك كاميرات حول

النطـاق الخارجـي للمبنـى، لكنهـم اعتـبروني متـشردًا يترنَّـح سـكرانًا في الظـلام.

لزمـوا الصمـت، وهـم يراقبوننـي، منتظريـن كي يـروا إن كنـت سـأمرُّ في حـال سـبيلي.

توقفت والتفت وواجهتهم.

خرج من الحشد الصغير رجل عملاق يرتدي بدلة رياضية سوداء.

قال: "امضِ في طريقك.." مشيرًا بسيجارته نحو الوادي.

انطلقت في اتجاهه، محافظًا على مشيتي المترنحة.

"هل أنت أصم؟".

لاقاني عـلى مبعـدة عـشرة أقـدام مـن الآخريـن، بعـد أن تحـرك بقدمـين خفيفتـين ورشـاقة تناقضـت مـع حجمـه. وقـف الرجـل ينظـر إليَّ مـن علـوه الشـاهق - كـما لـو كان جلمـود صخـر نما لـه ذراعـان وسـاقان.

"هل فيلد بالداخل؟".

اسـتوعبت رد فعلـه في ضـوء النجـوم: دهشـة. رفـع ذراعـه اليـسرى وتحـدث بلغتـه الأم داخـل طـرف كمـه، بعـد ثلاثـين ثانيـة، زاغـت عينـاه؛ كان ينصـت إلى أحـد مـا في سـماعة أذنـه.

أجابه: "دا، دا، دا".

افـترت أطـراف شـفتيه عـن ابتسـامة منفصلـة تمامًـا عـن عينيـه - كان عـلى وشـك أن يؤذينـي، وأبهجـه مشـهد العنـف القـادم.

تحركـت ذراعـه اليـسرى نحـو مسـدس في مؤخـرة حزامـه، اسـتطعت رؤيتـه في الصـورة المنعكسـة مـن إحـدى المرايـات الجانبيـة لسـيارات الدفـع الرباعيـة.

ركلـت ركبتـه اليـسرى مبـاشرة، أصـدرت واحـدًا مـن أسـوأ الأصـوات التـي سـمعتها في حيـاتي: فرقعـة انكسـار- وعندمـا تعـثَّر إلى الـوراء، مـددت يـدي إلى حزامـه، وجذبـت مسدسًـا إم بي 443 جـراش، أدرتـه في يـدي، وفتحـت رأسـه بمؤخـرة المسـدس.

عندمـا سـقط، أطلقـت النـار عـلى الرجـل الثالـث ثـم الأول ثـم الرابـع ثـم السـادس بالترتيـب الدقيـق لمـن أظهـر فيهـم أعـلى تناسـق ورشـاقة. في الحقيقـة لم يُظهـر أحـد منهـم شـيئًا مـن هـذا، كانـت فـوضى عارمـة إذ سـقط أصدقاؤهـم حولهـم وهـم يجذبـون ببـلادة أسـلحتهم.

كان الرجـل الثـاني يدخـن سـيجارة، وأنقـذ تـردده حياتـه، أمـا الخامـس في المجموعـة، أكثرهـم حكمـة، فرفـع يديـه ببسـاطة.

"هل أبواب هذه الأرصفة هي المدخل؟".

قال الرجل الخامس: "نعم..".

جذبت سلكًا لاصقًا من حلقة حزامي وقذفته إليه.

قلـت: "قيِّـده.." مبقيًـا المسـدس مصوبًـا إليهـما بينـما هـو يقيـد رسـغي الرجـل الثـاني وراء ظهـره لكنـي أيضًـا أراقـب الكامـيرات الموجهـة نحـو الزقـاق.

إذا كانــوا يشــاهدونني، فلديهــم عــدة خيــارات، أن يرســلوا رجــالًا آخريـن -بافـتراض أن لديهـم المزيـد- أو يحاولـوا الهـروب مـن طريـق آخـر.

"هل فيلد هنا؟".

أنهـى الرجـل تقييـد زميلـه، وقـف ونظـر إليَّ، لقـد أخافـه سـؤالي، أومـأ برأسه.

- كم عدد الحراس بالداخل؟

- اثنان.

كان يقول الحقيقة.

- ما اسمك؟

- أليكسي.

- خذني إلى الداخل يا أليكسي.

نزعت سلاح أليكسي وتبعته صاعدين السلالم إلى باب رصيف التحميل، الذي رفعه إلى أعلى بما يكفي لعبورنا منحنين أسفله.

سرنا على الأرضية الخرسانية المصقولة لمستودعٍ خالٍ. توهَّجت المصابيح المعلقة على العوارض الخشبية، واستطعت سماع الطنين البعيد لمولدات الكهرباء.

قلت: "خذني إلى فيلد".

قادني أليكسي عبر ممرٍّ كالح.

عند نهاية الممر، جذب حلقة مفاتيح من جيبه وفتح بابًا فولاذيًّا ثقيلًا.

دخلنا حجرة ذكَّرتني بغرفة عرض داخلية في حديقة حيوان. تراصت أمام الجدران مآرض[1] وأحواض سمك بأحجام متنوعة، وامتلأ الهواء برائحة نشارة الخشب ومخلفات الحيوانات والمواد المنظفة.

سرنا بمحاذاة جدار اصطفَّت أمامه صناديق صغيرة خلف زجاج. تراءت في كثيرٍ منها أطباق بتري[2]. كانت تعتني بها أذرع روبوتية تعتصر المحاليل من قَطَّارات معايرة زجاجية أو تدير الأطباق الشفافة كي تلتقط زوايا جديدة من الضوء أو الحرارة.

(1) مآرض ومفردها مأرضة هي أرض مغطاة بالتراب توضع فيها الأحياء البرية بقصد الدراسة والمشاهدة، وغالبًا ما تكون المآرض في حاويات زجاجية وتضم النباتات أو الزواحف.

(2) طَبَق أو عُلْبة بِتْرِي هو وعاء أسطواني غير عميق، مصنوع من الزجاج أو البلاستيك، ومزوَّد بغطاء. يستعمله علماء الأحياء لاستنبات الخلايا، كالبكتيريا والفطريات، يُعد أكثر أنواع أطباق الاستنبات استعمالًا.

ازداد حجم الصناديق كلما سرنا.

في أحدها، رأيت نوعًا ما من اليرقات يتلوّى في التراب، بالكاد يمكن أن تراه العين المجردة.

في صندوق آخر، كانت هناك أجساد وردية ضئيلة في حجم جوز الكاجو تشبه فئرانًا رضيعة.

شتلات ما بدت أشبه بشجرات دائمة الخضرة، بيد أنها ذات نصال قرمزية.

كان هناك قسمٌ كاملٌ ممتلئ بمآرض تحوي حشرات لم أرها أو أتخيلها قطُّ.

امتلأ صندوق أكبر بالماء - موطن بحري أو نهري به سمكة شفافة غير منتظمة الشكل بدت كأنها من كوكب آخر.

مررنا بمآرض وأحواض سمك أكبر.

رأيت مخلوقًا شبيهًا بالحيوانات ذات الجراب في حجم قطة منزلية يتدلّى مقلوبًا وله براثن ثلاثية الأصابع. انفتحت عيناه النيليتان، حدّقتاه أكبر قليلًا من رأسي دبوس أسودين.

سبح ثعبان بحري له رأس في كل طرف عبر حوض زجاجي مليء بأعشاب بحرية وردية، التمع مثل الزئبق عندما نبضت الكهرباء أسفل سطح جلده تمامًا.

لم أستطع منع نفسي من الوقوف أمام أكبر بيت حيوانات رأيته في حياتي حتى الآن، امتدَّ الزجاج من الأرض إلى السقف، واستوعبت المساحة تقريبًا خزانة في حجم حجرة.

جلس المخلوق في ركن من الحظيرة المسيجة، تحت ظل سعفة نخيل. ذكّرني بأحد وحوش الجريملين في الفيلم الذي حمل اسمها والذي أُنتج عام 1984، لكن أذنيه وجناحيه أصغر، وله سمت أقل إثارة للذعر.

انفتح باب في نهاية هذه الحضانة.

جذبت أليكسي قريبًا مني، وألصقت المسدس برأسه.

ظهـر رجـل يرتـدي معطـف المختـبرات الأبيـض في المدخـل، وعندمـا رآني، ابتسـم. كان تـاي فيلـد أقـصر منـي بشـبرين، لـه شـعر مجعـد أسـود بـه نقـاط مـن الشـيب، وسـالفان كثيفـان، وشـارب يليـق أكـثر بصاحـب حانـة. لقـد أبقـت وكالـة الحمايـة الجينيـة فيلـد تحـت أنظارهـا لسـنين، لم نلاحقـه قـط، رغـم معرفتنـا أنـه يعيـش في عليـة (بـرج بابـل) ويُجـري عملياتـه في حفنـة مـن الأبنية القديمـة في الامتداد المهجور مـن لاس فيجاس. رسـميًا، لم يبلغنـا أحـدٌ قـط بالسـبب في كونـه خـارج نطـاق عملياتنـا، لكننـا كنّـا نعـرف جميعًـا. كان متعهـدًا مـن الباطـن لوكالـة مشـاريع البحـوث المتطـورة الدفاعيـة. كان يبيـع لهـم تكنولوجيـا حيويـة غـير مشروعـة ومـن وقـتٍ إلى آخـر كان يفـشي معلومـات سريـة عـن إرهابيـين ومنافسـين بيولوجيـين للجـي بي إيـه. وحتـى تتسـاوى الأمـور كلهـا، سُـمح لـه بـإدارة مشروعـه الخـاص بالمخلوقـات العجيبـة المصنَّعـة مـا دام أنـه يـبرر الحريـة التـي سُـمح لـه بهـا.

خلفـه، وقـف عـلى الجانبـين رجـلان لهـما ملامـح سـلافية يرتديـان سـترتين سـوداوين.

قال: "لوجان رامزي الصغير..".

- أهلًا دكتور فيلد.
- هنا للقبض عليَّ؟
- لم أعد أعمل في الجي بي إيه.
- هنا لقتلي؟
- أحتاج إلى استعارة مختبرك.
- ولماذا يجب أن أتركك تفعل هذا بدلًا من قتلك؟

- إذا كنـت تعتقـد أن بإمكانـك قتـلي، ينبغـي لـك أن تفعـل هـذا قطعًـا، لم يمـض الأمـر عـلى نحـوٍ طيـبٍ مـع الحـراس السـبعة المدرَّبـين الذيـن وضعتهـم عنـد رصيـف التحميـل، لكـن ربمـا هذان الاثنـان المتواريـان خلفـك هـما الوغـدان الحقيقيـان؟ إذا كانـا يريـدان تلقـي الرصـاص، سـأضطر إلى قتـل أليكـسي هنـا، وهـذا مـا لا أفضلـه. أو... نكتفـي بمناقشـة الأمـور... يمكنـك أن تميـز أنـك تواجـه مـا لا قِبَـل لـك بـه، وهـذا فصـل القـول.

ضحـك د. فيلـد بحـماس. قـال: "آخـر مـرة رأيتـك فيهـا لا بـد أنـك كنـت في الثانيـة عـشرة مـن عمـرك، كنـت ألقـي محـاضرة في بـيركلي، ودعتنـي أمـك عـلى العشـاء".

- كنت في التاسعة من عمري في الحقيقة، ولبثتَ عندنا.

- حقًّا؟

- لعبنا دور شطرنج.

- لا أذكر ذلك، من فاز؟

- هزمتني في ثلاث عشرة حركة.

"ممتاز" وألقى نظرة إلى الرجلين خلفه وقال: "استرح".

أطلقـت سراح أليكـسي، الـذي تحـرك نحـو فيلـد، ورأسـه منكـس مثـل كلـب معاقَـب.

قال فيلد: "اقتلاه".

بعـد ثانيـة ونصـف تقريبًـا، كان الرجـال الثلاثـة جميعهـم ميتـين عنـد قدمـي فيلـد، ومـا زال لـديَّ طلقـة في مسـدسي، الـذي كنـت أصوبـه إلى وجهـه.

قال: "آسف، كان عليَّ أن أرى بنفسي".

"إذن أنت تنشئ تنانين الآن؟" سألته وأنا أشير نحو المأوى الأكبر.

- ستندهش من مقدار المبلغ الذي يستعد الناس لدفعه مقابل شكل جديد تمامًا من الحياة لم يره أحد من قبل، ما إن أنتهي من التصميم، سأبيع هذا المخلوق مقابل خمسين مليونًا.
- هل يمكنه أن يطير فعلًا؟
- لا، لكن الجناحين يرفرفان. للأسف، ليس قادرًا على أن ينفث نارًا.
- هل حاولت؟

"استكشفنا الفكرة. توجد مخلوقات في المملكة الحيوانية يمكنها بالتأكيد تحمُّل درجات الحرارة القصوى. درسنا جينوم (دودة بومبي)، التي تعيش قرب الفتحات الحرارية المائية في درجات حرارة تزيد على 170 درجة فهرنهايت، ودرسنا ضفادع غابات ألاسكا ودببة الماء بطيئة الخطو، التي يمكنها أن تعيش في درجات حرارة منخفضة تصل إلى الصفر المطلق، لكن لا توجد بنية حيوية داخلية في المملكة الحيوانية، على الأقل التي اكتشفتها، يمكنها تحمُّل ألف درجة" وضحك: "ولن أبدأ في التعرف على طريقة لبناء عضو قادر على إنتاج وطرد النار".

- هل تم الحمل به في نوع موجود أم نما في المختبر؟
- نما في المختبر في رحم صناعي قائم بذاته، نسميه: سموج.[1]

لم يبدُ شبيهًا بالتنين الأسطوري الجبار. بل بدا، حسنًا... مثيرًا للشفقة نوعًا ما.

كان جلده شائكًا، صلبًا، وحُبيبيًّا. شككت أنهم استعاروا بعض الحمض النووي من جينوم التمساح، بدت براثنه الخلفية شبيهة بسيقان تنين كومودو.

---

(1) سموج أو سموغ تنين خيالي ظهر في رواية الهوبيت عام 1937 لج. ر. ر. تولكين. وصف سموغ في الرواية بأنه جشع وقوي وشرير ويحب الكنوز كثيرًا.

انفتحت عينا المخلوق - عينا حيوان زاحف ومن عالم آخر، حدق إلينا عبر الزجاج.

قال فيلد: "هذا مخلوق معيب بشدة، عندما نما، زادت كتلته أسرع قليلًا مما يمكن لمقاطع عظامه العرضية أن تتعامل معه. انتهينا للتو من التعديل الهيكلي للعظام كي نزيد حجمها وكثافتها، سنعرف إن كنَّا قد نجحنا خلال الأسابيع القليلة التالية".

تحرك التنين من تحت سعف النخيل، وغمس رأسه ذا الزوايا الحادة في بركة صغيرة من الماء، وبدأ يشرب.

سألني فيلد: "لماذا أنت هنا؟".

- هل رأيت الأخبار القادمة من جلاسجو؟

- طبعًا، سمعت أن الجيش يبني طوقًا حول المدينة، يحبسون كل من فيها.

أطلعته سريعًا على كل شيء، وعندما انتهيت، مال برأسه إلى الوراء وضحك لوقتٍ طويلٍ، إلى أن ترقرقت الدموع في عينيه.

قال فيلد: "آه من أمك! تقتل مائتي مليون إنسان، وتدمر مجالًا علميًّا كاملًا -ومعه عمل عمري- ثم تزيف موتها فقط من أجل فرصة أخرى كي تصعد من جديد إلى الحلبة وتضرب بقوة أكبر". تنهَّد، وتمالك نفسه. - إذن هل يعمل هذا التحسين بنجاح؟

- ينجح مع البعض.

- كيف حققت هذا؟

- ليست لديَّ فكرة، لكن لو كان عليَّ أن أحدس.. فقد استخدمتْ بياناتها من برنامج ستوري أوف يو ووضعتها في معالج فائق النطاق.

"نعـم، بالطبـع" لمعـت عينـاه، والتقطـتُ لمحـة مـن العالِـم خلـف المجـرم: "كانـت لديهـا مجموعـة البيانـات، ربمـا شـيدت خوارزميـة لتهندس بشـكل عكسي شـفرة الحمض النـووي من السـمات البدنيـة لعملائهـا، واو! لقـد فعلتْهـا بالفعـل! شـيدت بالفعـل برنامجًـا لتسـتنبط النمـط الجينـي مـن النمـط الظاهـري". راقبتـه وهـو يتفكـر في الأمـر كلـه. "يسـتطيع النـاس أن يكذبـوا في الاسـتبيانات، ربمـا صممـتْ برامـج عنكبوتيـة لجمـع السـجلات العامـة ومقارنـة شـهادة الوفـاة، وسـائل التواصـل الاجتماعـي، تخـترق بضـع شركات تأمـين وتقـارن بياناتهـا بسـجلاتهم الطبيـة، تصـل إلى نسـبة ثقـة معقولـة" كانـت هنـاك غـيرة واضحـة وراء مرحـه.

- ستطلق أختي تحسين أمي.
- كيف؟
- فيروس قابل للانتقال من دون أعراض.
- ما هو عدد التكاثر الأساسي؟
- تسعة تقريبًا.

هزَّ فيلد رأسه معجبًا: "أمامنا أوقات شيقة".

- أحتاج إلى مختبر.

هـزَّ كتفيـه: "أتعتقـد أن إيقافهـا يسـتحق التعـب فعـلًا؟" لجـزء مـن ثانيـة، رأيـت في عينيـه بـئرًا مـن الأسى لا قـرار لـه. "نحـن نغـرق يـا لوجـان، فـات الوقـت عـلى كسـح المياه بالدلـو، لا يعنـي هـذا أننـا لم نحـاول فعـلًا مـن قبـل، ولا توجـد قـوارب نجـاة، عـش كأن العـالم ينتهـي، لأنـه ينتهـي". حـدق إليَّ لحظـة: "لم أغـير رأيـك، أليـس كذلـك؟".

- لا.

"حسنًا.." قالها وهو يطرق برأسه ناظرًا إلى الرجال الموتى: "أظن مي كاسا، سو كاسا".[1]

***

شغل المختبر الأساسي عدة آلاف من الأقدام المربعة في جانب من متجر وولمارت القديم - تراصت أمام الجدران الخوادم وصف من ماكينات طبع الحمض النووي.

أراني فيلد محطة جينات ذات واجهة ثلاثية الأبعاد، وأدخلني إلى نظامها، وتركني لألعب.

باستخدام البصيلة التي انتزعتها من فرشاة شعر كارا، أكملَ برنامجي الخاص تحليلًا وظيفيًا مقارَنًا بين الجينوم الخاص بي والجينوم الخاص بها. لقد استهدفتْ جينات بعينها في حمضها النووي، وزادت تعديل تجليها بما يتجاوز بكثيرٍ العتبات التي وضعها تحسين أمنا الأوليّ - بالأساس تلك الأنظمة من شبكات الجينات التي تتحكم في التركيز وتمييز الأنماط والمعرفة العامة.

حمَّلتُ تحليل جينوم كارا الجديد على واجهة الذكاء الاصطناعي الخاصة بفيلد، والتي سرعان ما حددت قائمة أهداف بالتعديلات والأعضاء المستهدفة والأنظمة الجينية المطابقة.

لو أردتُ أن أحظى بفرصة لإيقاف كارا، سيكون عليَّ أن أزيد قدراتي إلى مستواها، أو إلى ما يتجاوزه. لعلَّها أجرت التعديلات بهدوء، واحدًا بعد واحد، طوال فترة امتدت شهورًا، لسوء الحظ، لا أملك الوقت، أي شيء سأطلع به لا بد أن يكون سريعًا وسافلًا.

لكن خطرت لي فكرة، بما أن كل شيء قرأته أو تعلمته عن الهندسة الوراثية كان الآن طوع بناني.

---

(1) بالإسبانية في الأصل، وتعني اعتبر البيت بيتك، ترجمتها الحرفية، بيتي بيتك.

بالنسـبة إلى أغلـب جيناتنـا وتسلسـلاتنا المنظمـة، لدينـا نسـختان. التـزم تحسـين أمـي الأسـاسي بمخطـط الطبيعـة، معـدلًا نسـخة واحـدة مـن الجـين. لكـن تعديـل النسـختين، المعـروف أيضًـا بزيـادة الجرعـة الجينيـة، كان وسـيلة قـوة غاشـمة أكيـدة لتصعيـد تجليـات النمـط الظاهـري - رغـم أنهـا وسـيلة خطـرة. مثـلًا، أي زيـادة بنسـبة 50 في المائـة في الجرعـة الجينيـة للكروموسـوم 21ق تُغـيِّر توقيـت ونمـط ومـدى التطـور، وتخلـق بهـذا اضطرابًـا جينيًـا معروفًـا باسـم متلازمـة داون.

كي أجـاري مـا فعلتـه كارا، وبسرعـة، يجـب أن أضاعـف عـددًا كبـيرًا مـن جينـاتي المعدَّلـة بالفعـل عـن طريـق تفعيـل النسـخة الصامتـة أيضًـا إلى حدِّهـا الأقـصى مـن التعبـير - وهـي ضربـة قاسـية جـدًّا لنظـام متـوازن بدقـة.

خطفـت بضـع سـاعات مـن النـوم في سـيارتي عندمـا اسـتطعت. مـن وقـت إلى آخـر، كان مختصـو البيولوجيـا الخلويـة وعلـماء الفيروسـات العاملـون لـدى فيلـد يقتربـون لـيروا مـا كنـت أفعلـه، لكنـي كنـت أُبقـي رأسي مطرقًـا، متفاعـلًا معهـم بأقـل قـدر ممكـن.

باسـتخدام تشـكيلة مـن صياغـات الحمـض النـووي، طلبـت نصـف دسـتة مـن دوائـر الحمـض النـووي الصغـيرة، كل دائـرة عبـارة عـن موصِّـل قائـم بذاتـه وذاتي التكـرار لمجموعـة معينـة مـن الجينـات والتعليـمات.

في اليـوم الثالـث، حمَّلـتُ التسلسـلات الجينيـة الخـام ووضعـت صياغـات الحمـض النـووي الخاصـة بفيلـد ومصفوفـة التجميـع لتعمـل معًـا عـلى تكويـن حمـض نـووي خـاص بمقاديـر ونقـاء محـدد، وكل شيء احتجـت إليـه جـرى تركيبـه يطريقيـة كيميائيـة تمامًـا.

لكنـي كنـت مـا زلـت بحاجـة لوسـيلة نقـل، شيء يمكنـه أن يندمـج مـع منظومتـي بسرعـة أكـبر مـن الناقـل الفـيروسي الـذي اسـتخدمته أمنـا لنقـل التحسـين الأول والـذي اسـتخدمته كارا في نسـختها الثانيـة. كنـت

بحاجة إلى شيء يأخذ مزيجي من تسلسلات الحمض النووي والجينات المصغرة ويفجر الحمض النووي الجديد داخل خلاياي المسكينة التي تحمّلت فوق طاقتها.

كنت أعمل بلا توقف لمدة اثنتين وعشرين ساعة.

غادرت مركز العمل، وتمشيت في الممرات المنهوبة لما كان ذات يوم قسم الأدوات الرياضية.

خطر ببالي مقال، كنت قد قرأته منذ خمسة عشر عامًا في رحلة طيران أسرع من الصوت من واشنطن العاصمة إلى لوس أنجلوس، ولم أفهم إلا نصفه في ذلك الوقت، والآن أجده محفوظًا كاملًا في ذهني.

درس المقال مزايا وعيوب العديد من وسائل نقل الجينات، إحداها كانت عن طريق القوة الهيدروديناميكية - وهي تقنية تستخدم الحقن المضغوط لمقدار كبير من الحمض النووي وذلك بشكل أساسي لدفع عبوة جينية عبر جدران الخلية عن طريق الصدمة التناضحية[1]، واختراق الجسد بكفاءة كبيرة. لم تكن القوة الهيدروديناميكية سهلة على المتلقي، لكن فيما يتعلق بوسيلة نقل سريعة وسافلة للتغيرات النظامية التي كنت بحاجة إليها، كانت قوة لا تُهزم.

بالإضافة إلى حقن نفسي، سأحتاج أيضًا إلى نظام نقلٍ مخصّص لعبور حاجز الدم-المخ وتمرير التغييرات إلى مخي، شيء سريع ودقيق. من أجل ذلك، سأُصنّع جسيمات نانوية تؤوي عبواتي الجينية، التي ستتجه إلى مخي مباشرةً عن طريق جهاز للاستنشاق.

عندما أخبرت فيلد بما كنت أفعل، نظر إليّ كأنني فقدت عقلي.

(1) الصدمة التناضحية أو الإجهاد التناضحي هو اختلال وظيفي فيسيولوجي ناجم عن التغير المفاجئ في التركيز الذائب حول الخلية، مما يؤدي إلى تغير سريع في حركة المياه عبر غشاء الخلية. في ظل ظروف الترسيب الفائق -ظروف التركيزات العالية لأي أملاح أو ركائز أو أي مذاب في المادة الطافية- يتم سحب الماء من الخلايا عن طريق التناضح.

"هناك وسائل أكثر متعة لقتل نفسك من الفشل العضوي الكارثي".

سألته: "ألديك فكرة أفضل للنقل السريع؟".

لم تكن لديه أي فكرة.

***

بعد ستة أيام من وصولي، صافحت فيلد عند طرف رصيف التحميل وشكرته على كرم ضيافته، الذي لم أترك له خيارًا فيه.

- أنت هالك لو فعلت هذا، تعرف ذلك، صحيح؟ لا يستطيع الجسد البشري تحمُّل ما أنت موشك على وضعه فيه.

قلت: «ربما تكون على حق..».

- ومع ذلك ما زلت أتمنى لك حظًّا طيبًا، تذكَّر أني ساعدتك.

- بعد أن حاولتَ قتلي، مرتين.

"نعم، مرتين فقط" وبينما كان يبتسم، قفزت من فوق رصيف التحميل وانطلقت عبر الرصيف الذي حمَّصته الشمس نحو سيارتي.

***

كان الوقت يداهمني ويكاد ينفد مني قبل أن أجد كارا، لذا ولأول مرة منذ صنعتُ هويتي الجديدة، قررت أن أسافر بالطائرة.

بعد اثنتي عشرة دقيقة من إقلاع الطائرة من مطار هاري ريد الدولي، استقرَّت بنا عند ارتفاع 95000 قدم. كانت طائرة بوينج تسع ثمانين راكبًا، ورغم أن المحركات النفَّاثة التضاغطية كانت تدفعنا بسرعة ميل في الثانية، لم يكن هناك أي إحساس بالحركة إلى أن نظرت من النافذة ورأيت الطائرات النفاثة الأسرع من الصوت عتيقة الطراز متخلفة عنَّا بسبعة أميال، والطائرات الأقدم الأدنى من سرعة الصوت متخلفة عنها بأربعة أميال، وبدت جميعها تتسارع إلى الوراء.

راقبـت انحنـاء الأرض - ذلـك الغبـش الأزرق الهـش للغـلاف الجـوي الـذي يتحـوَّل إلى فـراغ الفضـاء الأسـود.

بعـد عشريـن دقيقـة في ذلـك الارتفـاع المحلِّـق، سـمعت وشـعرت بانطفـاء المحـركات، أعلـن الطيـار أننـا بدأنـا هبوطنـا المنزلـق إلى واشـنطن العاصمـة.

لأول مرة بعد أكثر من سنة، أعود إلى الديار.

12

أظهـرت سـاعة لوحـة العـدادات الوقـت: 6:45 مسـاء، ومـن وراء الزجـاج بـدا الجـو مظلـمًا وممتلئًـا بـرذاذ المطـر. كان منـزلي قـد دُهـن - جُـددت الكسـوة الخشـبية، وتغـيرت الحـواف مـن اللـون العنـابي إلى الأزرق الداكـن، ودُهـن البـاب بطـلاء أحمـر.

شـعرت لأول مـرة منـذ شـهور بالـتردد، كان المُـبرِّد الصغـير الحـاوي لتحسـيني الجديـد مثبتًـا بالحـزام في المقعـد المجـاور لي، كان يمكـن أن آخـذه في فيجـاس، كان ينبغـي لي أن آخـذه في فيجـاس، لكنـي بـدلًا مـن ذلـك جئـت إلى هنـا.

لا أعـرف مـا سـيكون في قابـل الأيـام، وأردت أن أرى أسرتي مـرة واحـدة أخيرة.

كنـت أضبـط شـعري في مـرآة الرؤيـة الخلفيـة، محـاولًا أن أجعـل نفسي أكـثر أناقـة، عندمـا انفتـح البـاب الأمامـي فجأة.

ظهرت بِث في المدخل.

كانت ترتدي فستانًا أخضر لم أره من قبل، وقد غيَّرت شعرها من قَصَّة طبيعية بطول الكتف إلى قَصَّة مستديرة منسدلة غير متساوية الجانبين.

أغلقت بِث الباب وراءها وهبطت الدرجات الحجرية نحو الشارع.

تلك لحظتي المناسبة.

لكن عندما مددت يدي لأفتح باب السيارة، ظهرت أضواء سيارة أمامية من بعيد، تشتت الضوء عبر قطرات المطر التي كانت تنزلق منسابة على الزجاج الأمامي.

انتظرتُ، مراقبًا السيارة بلا سائق التي توقفت عند الرصيف.

فتحت بِث باب الراكب الخلفي وصعدت إلى السيارة.

***

بعد ميلين، توقفت سيارة بِث المستأجرة أمام مطعم اسمه (لا فلور) حيث أكلنا معًا في حفنة من المناسبات الخاصة. كان مكانًا للمناسبات السنوية وأعياد الميلاد، مكانًا تحاول فيه أن تثير إعجاب أحدهم بقائمة طعام تخلو من الوجبات الصناعية وأسعار خيالية. كانوا يبيعون ما كان بعض الناس مستعدين لدفع سعرٍ عالٍ مقابله: اختبار ما كان يشعر به الناس عندما يأكلون خارج بيوتهم في هذا العالم.

قفزت بِث خارجة، وهرعت عبر الرصيف، واختفت بالداخل.

أوقفت سيارتي في أول مساحة صف فارغة رأيتها وخرجت إلى المساء المطير.

رغم الطقس، كانت الأرصفة تعج بالمارة.

تحركتُ عبر سُحُب من العطر.

كان هنـاك أنـاس يتقاطـرون مـن المدخـل المـؤدي إلى (لا فلـور) ويقفون في طابـور خلـف منصـة المضيفـة. لم تكـن بِـث بينهـم، وكانـت منطقـة تنـاول الطعـام الرئيسـية محجوبـة وراء جـدار مـن السـتائر الحمـراء.

انحـشرت وشـققت طريقـي معتـذرًا بـين الحشـد، منفلتًـا عـبر السـتائر بينـما كانـت المضيفـة تحـدق إلى قائمـة الحجـز لديهـا بكشّـافٍ عـلى شـكل قلم .

كانت قاعة الطعام صاخبة ومظلمة.

كل الطـاولات مشـغولة، وكثـير منهـا عليـه دلاء الشـامبانيا ومغطـى بمفـارش بيضـاء وشـموع يتراقـص لهيبهـا.

عندمـا تنحيـت عـن طريـق نـادل بربطـة عنـق سـوداء يحمـل صينيـة مـن كـؤوس المارتينـي، لمحـت فسـتان بِـث الأخـضر.

كان ظهرهـا لي، وهـي تجلـس إلى طاولـة لفرديـن في أبعـد ركـن نحـو مؤخـرة القاعـة.

وقبالتها كان رجل.

انطلقتُ نحوهما، عبر الفوضى المحكومة من النُدُل ومتناولي العشاء.

كل شيء يتلاشى من حولي.

لم أر إلا وجـه الرجـل الجالـس قبالـة زوجتـي. كان وسـيمًا ومهندمًـا بطريقـة رائعـة، يرتـدي سـترة سـوداء مفصَّلـة خصيصًـا عـلى تيشـيرت أبيـض باهـظ الثمـن.

كان يميـل إلى الأمـام ويضحـك، وعندمـا اقتربـت أكـثر، رأيـت ذراعـه اليمنـى مسـتقرة عـلى الطاولـة، ويـده عـلى بُعـد بوصـات مـن يـد بِـث.

- سيدي؟

التفتُّ لأواجه المضيفة.

- أتبحث عن طاولتك؟

"نعم.." قلت كاذبًا: "لكني لا أرى جماعتي، اعتقدت أنهم هنا بالفعل".

- ما اسم القائم بالحجز؟ سأرى إن كانوا قد أكدوا حضورهم.

- لست واثقًا من قام بالحجز.

- لا بأس، ما اسمك؟

- روبي.

- إذا أحببت، يمكنك الانتظار قرب البار.

احتللت المقعد الوحيد الخالي، والذي كان يملك زاوية رؤية جيدة بلا عائق لطاولة بِث، معترفًا بالغيرة المستعرة التي شعرت بها تجاه الرجل الذي كانت معه. لكن الآن، مثل كثير من مشاعري، قوبل هذا الشعور أيضًا بقدرتي على تنحيته جانبًا، على رؤية ما وراء عاطفتي ذاتها.

طلبتُ شرابًا لم أمسسه وراقبتُ طاولة بِث.

طلبا كوكتيلًا ونبيذًا وطعامًا.

تدفق الحديث من دون مجهود.

لغة الجسد، الخلفية، حقيقة أنها ليلة الخميس في مطعم فرنسي مظلم - كل شيء حول هذا كان يصرخ بأنه موعد غرامي، الثالث، وربما الرابع.

أتى نادل إليهما بزجاجة النبيذ. استعرض رفيق بِث مهارته بفحص السدادة والمراقبة الحريصة للون أول دفقة من النبيذ في كأسه.

بعـد أن انـصرف سـاقي النبيـذ، تراجـع رفيقهـا في مقعـده ونهـض. راقبتـه وهـو يتحـرك نحـو رواق عـلى الناحيـة الأخـرى مـن المطعـم كان مـن المفـترض أن يـؤدي إلى دورات الميـاه.

تركتُ بعض المال على البار وانطلقت نحو طاولة بِث.

كانـت عـلى مبعـدة عشريـن قدمًـا فقـط الآن، ترسـل رسـالة نصيـة إلى أحدهـم عـلى هاتفهـا.

حلّـق نبـض قلبـي إلى 160 نبضـة في الدقيقـة. بـدا كـما لـو أن شـخصًا آخـر سـكن جسـدي، وبالطبـع كنـت أعـرف مـن يكـون، لوجـان القديـم، مـا زال أسـيرًا للاحتيـاج البـشري، أطاحـت بـه في محيـط وجـوده ريـاحٌ لم يسـتطع البـدء في السـيطرة عليهـا أو فهمهـا.

أمـا لوجـان الجديـد فلـم يكـن يـصرخ بقـدر مـا كان يقـول بصـوتٍ هـادئ حاسـمٍ: **أنـت تعـرف أن هـذه ليسـت الطريقـة الصحيحـة، سـتعرضها للخطـر.**

كنت على مبعدة عشرة أقدام من الطاولة.

أنت تعرف أن هذه ليست الطريقة الصحيحة.

عـبر كل الروائـح المتنافسـة في المطعـم، ميـزت رائحـة زوجتـي: كيميـاء عطرهـا، سـائل اسـتحمامها، محاليلهـا المعطـرة، وخلـف كل هـذا الخيميـاء الغامضـة للفيرومونـات[1] وأريجهـا الأولي، الـذي اخـترق مـا تبقـى مـن عقـلي القديـم، كان التأثـير العاطفـي أقـوى مـن أي شيء شـعرت بـه منـذ تحسـيني.

---

(1) الفيرومونـات كيماويـات تتركـب مـن جزيئـات عضويـة معقـدة. تسـتعمل لنقـل الإشـارة مـن حيـوان إلى آخـر، وهـي أكـثر تخصصًـا مـن الروائـح بحيـث يسـتطيع الكائـن المسـتهدف استكشـافها بكميـات ضئيلـة جـدًا وهـي محمولـة بالهـواء، وعـادةً تكـون مخففـة جـدًا ونوعيـة التأثـير عـلى الأحيـاء، تهـدف إلى جـذب الحيونـات لبعضهـا كلّ حسـب نوعـه في موسـم الـتزاوج، أو للتنبيـه مـن خطـرٍ محـدق.

ما زلت أحبها.

وفي هذه اللحظة اختفى... رحل لوجان القديم.

رأيت نفسي في المطعم في شهقة وضوح مفاجئة، انكشف الحجاب، رأيت القوى التي أتت بي إلى هنا.

المخالب القديمة للغيرة والخوف والأسى.

تبرير استبعاد الحقيقة، انطلاقًا من الأنانية.

كنتُ خطرًا على بِث، على ابنتنا.

لم أعد أفضل شيء لهما.

أحسَّت بِث باقترابي من طرف عينها.

بدأ رأسها يلتفت نحوي.

قمتُ بانعطافة حادة، وتجاوزت طاولتها، ثم رفيقها، الذي ظهر للتوِّ قادمًا من دورة المياه. لم يرني، كان تركيزه كاملًا على بِث، واستطعت أن أقرأ في وجهه التعبيرات متناهية الصغر عن الاهتمام، والإثارة، والشهوة.

***

في الخارج، جلست في السيارة بينما المطر ينهمر، مراقبًا المارة على الرصيف.

ففككت حزام المقعد الذي كان يؤمِّن المبرِّد وفتحت الغطاء، مددت يدي في الماء الذائب، وقبضت على الحقنة الأولى من الحقن الثماني الكبيرة - كل واحدة مكتوب عليها مكان محدد للحقن في جسدي.

وضعت مكونات تحسيني الجديد على لوحة التحكم المركزية، وشمَّرت كُم ذراعي الأيسر، وربطت شريطًا مطاطيًّا أعلى كوعي،

ومسحت موقع الحقن أعلى وريدي المرفقي بقطنة مغموسة في الكحول.

ملأت الرائحة الحادة الفاقعة للكحول السيارة.

رفعت الحقنة، ودفعت قطرة محلول واحدة عبر الإبرة. بعد الحقن، ستصيبني التأثيرات في غضون ساعة. كانت لدي غرفة تنتظرني في فندق (ماندارين أورينتال). كنت أستخدم حقنًا مضغوطًا من أجل التصادم الهيدروديناميكي للتحسينات النظامية الأساسية، وبخاخة أنف معدلة كي تمر الجسيمات النانوية من حاجز الدم-المخ وتستهدف المخ مباشرة. سأنتظر حتى أعود إلى الفندق كي أستنشق جسيماتي النانوية؛ بما أن تأثيرات هذه الجسيمات ستحدث على الفور.

فيما وراء الزجاج الذي لطّخه المطر، لمحت ومضة خضراء. كانت بِث تسير على الرصيف، تحميها من المطر مظلة أمسك بها الرجل الذي تناولت العشاء معه. كانت متشبثة بذراعه. لا خاتم زواج في إصبعها. كانا يتحدثان، لكنني لم أستطع أن أسمع الكلمات من طَرْق المطر على سقف السيارة.

اختفى أغلب وجهها وراء المظلة، لكنني استطعت أن أرى فم زوجتي.

كانت تبتسم.

أكانت هذه آخر لمحة أراها من بِث؟

أسأل من أجل لوجان القديم.

سارا بجوار نافذتي مباشرة، وسمعت جزءًا من ضحكة بِث عبر الزجاج، عالية ومنغمة، شيء ما فيها كان يُذكرني دائمًا بنور الشمس.

ثم اختفيا - مجرد اثنين آخرين معًا في بحر المظلات. ومرة أخرى اندهشت -كمراقبٍ خارجي- من القدر الذي يحتاج به أفراد نوعنا

أحدهـم إلى الآخـر. كل هـؤلاء النـاس خارجًـا في المطـر البـارد، كي يضحكـوا ويشربـوا، كي يتحدثـوا عـن لا شيء، كأن هـذا الاحتيـاج إلى الاتصـال والتلامـس هـو شريـان حياتنـ.. حياتهـم.

لم أكن وحيدًا.

لوجان القديم كان وحيدًا، لكنه كان يحتضر.

نظرت إلى الحقنة.

وبعدئذٍ غرست الإبرة في وريدي.

الجزء الثالث

"في القرن الواحد والعشرين، سيكون المشروع الكبير الثالث للجنس البشري هو إكسابنا القدرات الإلهية الخاصة بالخلق والتدمير، وتحسين الإنسان العاقل كي يصبح الإنسان الإله".

ـ يوفال نوح هراري، (الإنسان الإله)

13

أمطرت نارًا في دماغي.

دارت عينـاي في رأسي، تشـنَّج جسـدي، التـوت ذراعـاي، وطفـح الزبـد مـن فمـي.

مرَّت النوبة.

شـعرت كأن عظامـي تـذوب، وكـما لـو أن شـيئًا يحـاول أن يشـق طريقه خارجًـا مـن جمجمتـي كمعـول ثلـج. بلغـت البـلاط البـارد الرحيـم للحـمَّام في جناحـي الفندقـي ورفعـت جسـدي إلى جانـب حـوض الاسـتحمام، الـذي كنـت قـد ملأتـه بالثلـج.

عندما هبطت مستقرًّا في الماء المجمَّد، تأوَّهت.

شعرت بالألم في كل مكان.

كانت خلاياي تصرخ.

وبينما كان جلدي الساخن يذيب الثلج من حولي، فكرت: أنا سأموت.

***

كان عقلي يتفكك. غاب المركز الذي يمكن استيعاب الأشياء فيه. لا تحديد لأولويات المحفزات الواردة. الزوايا القوسية لكل شعرة على ذراعي محتدمة مثلها مثل الماء المتقاطر من الحوض في فواصل مدة كل واحد منها اثنان وأربعون ثانية مثله مثل ضربات سكين المعجون على السقف الحُبيبي مثلها مثل تكرار رَمش عينيَّ مثله مثل نقش البلاط على الجدار وفروق السُمك في الملاط مثلها مثل معدل نبضي المنحدر إلى الأربعينيات، معتقدًا أن مهادي، تلك الكتلة تحت القشرية في مخي التي تنقل المعلومات الحسية من المحيط الخارجي إلى قشرة المخ، والتي تُنقِّي وتنظم المعلومات الحسية، الدوائر المهادية القشرية التي تتحكم في السيطرة الانتباهية على المعلومات الحسية عن طريق تعديل وتغذية التفاعلات الوظيفية داخل المناطق القشرية وبينها- لقد فشختها!

لقد فشختُ كل شيء.

دمرتُ عقلي.

كنت أئن.

عذاب دماغي.

الوقت يتباطأ إلى درجة الزحف بلا نهاية.

كنت أرفع رأسي محدقًا إلى طوفان من المعلومات الحسية بطيئة الحركة وكلها تسيل على وجهي، وانتباهي معلَّق بحدة على كل قطرة في حد ذاتها، ووعيي ينقسم وينقسم وينقسم و...

ثمة حجرٌ ملتهب في الجانب الأيسر من صدري.

يزداد سخونة أكثر وأكثر، ودمي راكد بداخلي.

أعضاء مشدودة.

مترنحة.

ألم ينفجر في كل مكان. لا أستطيع التنفس...

***

... شهقت مبتلعًا الهواء من جديد، ونبَضَ قلبي من جديد.

لقد غبتُ عن الوجود لمدة 148 ثانية طاحنة وما زلتُ غارقًا في عاصفة من البيانات الحسية، وأفكاري أشبه بصوت خارج جسدي، مثل أصوات كثيرة، وذهني ينقسم وينقسم.

أفكر في ثمانية أشياء معًا في نفس اللحظة.

ثم ستة عشر شيئًا.

ثم...

أغلق عينيك.

ظلام.

راحة لحظية.

***

عدت إلى الوعي مرتعشًا في حوض استحمام درجة حرارة الماء فيه 20.5 مئوية. أمسكتُ بالناحيتين وحاولت أن أرفع نفسي كي أنهض، لكن لم تكن لديَّ القوة حتى لأقف.

نظرت حولي.

رحل ذلك الإحساس بغياب الدفة، بالرعب المجنون، لكن ما بقي مرئيًا رأي العين هو ذلك الشك إن كان قد مرَّ ذلك الإحساس حقًّا، أم أني في قلب عاصفة جينية.

***

زحف خيوط من ضوء حارق عبر المساحة بين الستائر، لم تكن لديَّ فكرة عن أي يوم كنت فيه، كم قضيت من الوقت في هذه الغرفة. كل ما عرفته أني ظمآن بشدة وما زلت أعاني من حمى ملتهبة.

جررت جسدي فوق السرير، وقبضت على أقرب زجاجة مياه، وشربتها كلها. كنت قد أعطيت نفسي محلولًا ملحيًّا في الوريد قبل أن أستنشق الجسيمات النانوية، لكني ضربت الهواء من حولي كثيراً خلال النوبة الأولى لدرجة أني انتزعت الأنبوب الوريدي.

بعد زجاجتين من الماء، حاولت الوقوف.

ترنَّحت متجهًا إلى إحدى النوافذ واسترقت النظر إلى الخارج، لكني رفعت عيني على الفور لأحمي عينيّ من هجمة الضوء.

أظلت سماء شتوية غائمة عاصمة البلاد. من جناحي في الطابق الثامن، استطعت أن أرى مراسي قناة واشنطن والقبة البيضاء البعيدة لنصب جيفرسون التذكاري.

بالفعل كانت قوتي تتداعى.

انهرت على مقعدٍ بالقرب من النافذة.

***

أحلامي تلك الليلة كانت عرضًا لخيال ظلٍّ دائم التغير.

شاهدت عقلي ذاته وهو يعيد تركيب وتحويل نفسه.

امتطيت نصل الألم والنشوة.

أدركت كل القوى -الجينية والبيئية، وشلال اختياراتي المحتومة- التي جعلتني على ما أنا عليه في هذه اللحظة. رأيت نفسي النتيجة الحتمية لمعادلة وجودي. فهمت أخيرًا أنه لا توجد إرادة حرة، لأني لم أستطع أن أختار رغباتي، اخترت فقط السعي وراءها أو التوقف دونها.

رأيت كل النسخ القديمة من لوجان عبر الوقت.

من البويضة المخصبة إلى هذه اللحظة.

تساءلت ترى من أصبحت.

ماذا أصبحت.

بكيت.

صرخت.

ضحكت بطريقة هيستيرية.

خربشت جلدي ونزعت شعري.

أردت أن أموت.

أردت أن أعيش إلى الأبد.

***

عندما استيقظت في الصباح، عرفت أني خرجت من العاصفة. قمت من السرير وسرت إلى مساحة المعيشة الأساسية.

نظرت حولي، تاركًا كل شيء ينهمر عليَّ.

كنت ما زلت فائق الوعي بكل محفز حسي وارد، لكن شيئًا ما قد تغير. صار الآن بمقدوري أن أقسم عقلي عن عمدٍ إلى أكثر من خيطين من الوعي فقط، والأهم من ذلك، صار بمقدوري أن أصد الهجمة الحسية لو أردت.

أجريت اختبارًا، مركزًا على...

الطريقـة التـي جعلـت التدفئـة المركزيـة بهـا السـتائر تبـدو أشـبه برئـات مخلـوق غريـب.

ذبابة تطن بجنونٍ داخل صفيحة قمامة بالقرب من البار الصغير.

الثلاجة الصغيرة تئزُّ بتردد 49 هرتز بسبب ضاغط هواء شنيع.

عقلي وهو يوجه بالفعل محركه عالي القوة نحو كارا.

عطـشي - نتـاجٌ عصبـيٌ هـو في الحقيقـة تحفيـز مـن هرمـون أنجيوتينسـين يؤثـر في مسـتقبلات هـذا الهرمـون في العضو المُسـمَّى بالعضو تحـت القبـو، وهـي المنطقـة الدماغيـة القريبـة مـن البطينـين ذوي الأوعيـة الدمويـة العاليـة، ردًّا عـلى انخفـاض كميـة الـدم.

جوعـي - نتـاج حـسي آخـر أدرك الآن مـن دون تفكـير وببسـاطة أن الناقـلات العصبيـة مثـل السـيروتونين (5-HT) والكاتيكولامـين في خلايـاي العصبيـة السـيروتونينية، وضفـيرتي العضليـة المعويـة، وخلايـاي المعويـة في الغشـاء المخاطـي لجهـازي الهضمـي، وصفائحـي الدمويـة... تطلـب منـي أن آكل.

وكلـما سـمحت لنفـسي باسـتقبال ومعالجـة المزيـد مـن الأفـكار والمدخـلات الحسـية، حـدث شيء غريـب.

بـدا أن الوقـت يسـتطيل، يمتـد، مثـل رد فعـل الخـوف الـذي ينشـط اللـوزة الدماغيـة كي تخـزن المزيـد مـن الذكريـات، كان وعيـي متعـدد الجوانـب أيضًـا يخـزن المزيـد مـن الذكريـات مضروبـة في مُعامـل س، حيـث س هـو عـدد المـرات التـي أقسـم بهـا وعيـي. وكان هـذا يعطـي وهـمًا بتباطـؤ الوقـت إلى كـسر منـه يتطابـق مـع س.

بعبـارة أخـرى، عـن طريـق تقسـيم وعيـي والتركيـز عـلى محفـزات متعـددة في الوقـت نفسـه، اسـتطعت أن أبطـئ مـن إدراكي للوقـت، وكلـما زدت مـن تقسـيمي لوعيـي، بـدا الوقـت أبطـأ في التجـلي.

تساءلت إن كان بمقدوري أن أتلكأ في اللحظات، جاعلًا كل ثانية تصبح عالمًا في حد ذاتها، هناك في مختبر فيلد، توقعت بسهولة الحركات البدنية لحراسه، لكن هذا لا يقارن بذاك.

حدث هذا في حوض الاستحمام وكان عذابًا لأني لم أستطع السيطرة عليه، لم أستطع إيقافه، والآن أستطيع. كان الأمر كأني أستطيع بالفعل أن أبطئ الزمن.

كان الصوت القادم عبر النوافذ المحجوبة بالستائر مختلفًا، صوتًا مكتومًا، كانت تمطر ثلجًا.

سرت نحو الباب المنزلق، وخطوت إلى الخارج.

تركت وعيي ينقسم وينقسم وينقسم وينقسم إلى أن وقفت ندف الثلج بلا حراكٍ تقريبًا. راقبت واحدة تزحف عبر الهواء، وتمر بالكاد إلى جوار طرف أنفي. وكانت السيارات ثابتة، والناس على الأرصفة بالأسفل على مبعدة ثمانين قدمًا يتحركون بالكاد، وطائرة فائقة السرعة تتقدم ببطء شديد في السماء.

رمشت بعيني، عائدًا إلى وعي واحد.

عاد العالم إلى سرعته الطبيعية من جديد.

وعرفت: هكذا راوغت كارا الرصاص.

وعرفت أيضًا شيئًا آخر، قبل ذاك، لم أكن أملك إلا نظريات مبهمة وتخمينات معرفية، أما الآن، بينما يذوب الثلج على وجهي، صرت أملك في عقلي أوضح نموذج للطريقة التي ستطلق بها أختي تحسينها.

بل وعرفت أين.

***

غرست الإبرة سريعًا في وريده بمهارة كبيرة حتى إنه تحرك حركة بسيطة فقط. وبعد أن ضغطت على المكبس، وضعت قطعة من شريط لاصق على الإبرة، التي كانت ما زالت مغروسة في جلده، وتحركت عائدًا إلى المقعد.

كانت غرفة النوم مظلمة، وأصرَّ المقعد تحت ثقلي وأنا أستقر فيه.

أخذت بضعة أنفاس عميقة في الصمت.

كانت الثواني تمر متكتكة بنصف سرعتها، بما أني كنت في هذا المكان، وفي نفس الوقت كنت أفكر أيضًا في أختي.

احتكَّت قطة سوداء بساقي، وهي تهرُّ في رضا.

تحرك إدوين روجرز، وانقلب على جانبه، وسكن من جديد.

لم يكن هناك غير صوت غطيطه الهادئ، وهمس الهواء المركزي وهو ينفث الدفء عبر فتحات التهوية، وهرهرة القطة.

أراد مخي أن ينخرط في تسعة وعشرين مصدرًا مختلفًا للمدخلات الحسية، لكني لم أكن لأسمح له، كانت عملية الإنكار ما زالت جهدًا واعيًا، قريبًا، سأتكيف.

كنت في الطابق الثاني من منزل المدير المشيَّد من الطوب الأحمر وسط صفٍّ من البيوت المتلاصقة في جورجتاون، على مبعدة أربعة مربعات سكنية من نهر بوتوماك.

كانت الساعة 2:27 صباحًا.

تنحنحت بصوتٍ عالٍ، تحرك إدوين تحت الأغطية، تنحنحت بصوتٍ أعلى هذه المرة، جفل إدوين واعتدل جالسًا في فراشه، محدقًا إلى الظلام.

قلت: "لم تكن تحلم بهذه الضجة..".

اندفـع بجسـده نحـو الخزانـة الجانبيـة لسريـره، وجـذب الـدرج ليفتحـه.

قلت: "المسدس ليس فيه، أنا أمسك به".

نظـر إدويـن إلى اتجاهـي، كان الظـلام شـديدًا في الغرفـة حتـى إني شـعرتُ بالثقـة بأنـه لا يسـتطيع أن يـرى إلا خطـوط جسـدي الخارجيـة، أمـا أنـا فكنـت أراه بوضـوحٍ تـامٍّ.

تساءل: "من أنت؟".

- تجربتك المعملية السابقة.

للحظـة، ظـل إدويـن سـاكنًا تمامًـا، رأيتـه يطـرق برأسـه ناظـرًا إلى ذراعه اليسرى، رأيـت يـده تلمـس الحقنـة التـي ألصقتهـا بذراعـه، رأيتـه يلاحـظ المكبـس المضغـوط، جـذب اللاصـق وأزال الإبـرة مـن جلـده.

- بم حقنتني؟

- سنتحدث عن هذا لاحقًا.

- هل جُننت يا لوجان؟ لو أن زوجتي...

- أعرف أنها خارج المدينة.

- لديَّ أمن في الخارج، كيف...

- لا يهم.

ملت إلى الأمام، وأضأت مصباح الطاولة الجانبية للفراش.

حدَّق إدوين إليَّ بعينين متسعتين من الرعب.

قبـل التحسـين، كان أغلـب البـشر لغـزًا كامـلًا بالنسـبة إليَّ – مثـل جبـال متسربلـة بالسـحب والضبـاب. كنـت أعـرف أنهـم موجـودون، لكـن

أشـكالهم الحقيقيـة ظلّـت مخفيـة. لقـد ثبـت أن قـدرتي عـلى التنبـؤ بسـلوكيات الآخريـن -حتـى زوجتـي وابنتـي- قـدرة مراوغـة بـلا نهايـة، جـاء التحسـين الأول ليجلـو بعـض الضبـاب.

أمـا الآن، عندمـا بـدأ تحسـيني الثـاني يتجلّى، ثمـة شـبكة مترابطـة مـن القـوى غـير المرئيـة سـابقًا تكشـف عـن نفسـها لي. لم أرَ فقـط خـوف إدوين لكـن كل الضغـوط الماثلـة عليـه لتـبرز هـذا الخـوف، هوياتـه المتعـددة المتصارعـة كـزوج وأب وجـدّ ومديـر للجـي بي إيـه وضابـط إنفـاذ للقانـون ومـشرف وصديـق وخائـن وعالِـم وكائـن حـي يتنفـس لا يريـد أن يمـوت.

كان الأمـر يشـبه رؤيـة الفـرق بـين الأشـجار وهـي تتمايـل وسـط الريـاح والريـاح قادمـة قبـل أن تبـدأ الأشـجار في الانحنـاء، وأن تعـرف مقـدار انحنائهـا بالضبـط.

لقـد ضاقـت المسـافة بـين مـا اعتقـدت أن إدويـن يكونـه ومـا كانـه بالفعـل. كانـت لـديَّ كل ذكـرى عـن الرجـل، كل كلمـة سـمعته ينطقهـا، كل رد فعـل صنعـه في سـنواتي مـا قبـل التحسـين - كل هـذا كان يعمـل معًـا لبنـاء نمـوذج عقـلي بـلا شـائبة تقريبًـا لِـمَا كان عليـه في هـذه اللحظـة ومـا سـيفعله في اللحظـة التاليـة. لم يكـن هـذا يعنـي أنـه صـار بمقـدوري فعليًّـا أن أقـرأ أفـكاره، مثلـما لم أبطـئ الوقـت بالفعـل. لم تعطنـي أي مـن هـذه الملاحظـات معلومـات دقيقـة، لكـن الانطباعـات التـي نقلتهـا خلقـت أساسًـا غنيًّـا للاسـتدلال والاسـتنتاج.

كنت أرى ما بداخله.

وقفت البنية السرية لهويته ماثلة أمامي من دون حجابٍ ولا عائق.

جبل ظاهر تمامًا، في يوم خريفي صحو.

لم يعـد هنـاك أي لغـز، كان حبيسًـا في حلقـة لا نهائيـة مـن رغباتـه الأصيلـة، وسـتقوض هـذه الرغبـات أي دافـع نحـو عـدم القـدرة عـلى التنبؤ.

سيتصرف بطريقة محتومة.

سينحني عندما تهب عليه الريح.

وكان بمقدوري أن أرى الريح.

وكان بمقدوري أن أكون الريح.

في هـذه اللحظـة، كان يفكـر: **لم أعـرف مـاذا أفعـل معـك، لم أعـرف كيـف سـيغيِّرك التحسـين، أنـا آسـف.**

وعندئـذ قـال: "أنـا آسـف عـلى كل شيء، عاملتـك كفـأر تجـارب، كذبـت عـلى أسرتك".

ذكي، نقطة لصالحك.

"كنـت تـؤدي عملـك، أفهـم دوافعـك وراء هـذا، الضغـوط العديـدة عـلى عاتقـك" نظـرت إلى المسـدس عيـار 357 الـذي أخذتـه مـن طاولـة فـراش إدويـن الجانبيـة. "لكـن مـن فضلـك، لا تنـس أبـدًا... كان بمقـدوري أن أقتلـك الليلـة عـمَّا فعلتـه بي وبـأسرتي".

تسلَّل الارتياح إلى قلبه.

قلـت: "الشـخص الـذي أخرجنـي مـن موقعـك الأسـود كان أختـي، قتلـتْ متعهديـك، حسَّـنتها أمـي كذلـك".

- لماذا؟

- لأن ميريـام كانـت تحتـضر. كان هـذا التحسـين تحفتهـا الأكـبر، وكانـت تعـرف أنهـا لـن تعيـش طويـلًا بمـا يكفـي لأن تـرى اكتمالهـا، لـذا قامـت بتحسـين طفليهـا الباقيـن وتركـت المراحـل الأخـيرة مـن التحسـين لنـا كي نكملهـا. لم أرغـب في إكـمال هـذا، لكـن كارا أرادت.

بينـما كنـت أحـكي لـه كل شيء، شـاهدت خوفـه عـلى سـلامته يتحـوَّل إلى رعـب مـما تخطـط لـه أختـي.

تساءل إدوين: "إذن جلاسجو اختبار تجريبي؟".

أومأت برأسي.

- أنهينا للتوِّ تسلسل بضع جينومات للموتى.

قلت: "اعتلال بريوني..".

"نعم" وبدا مندهشًا من معرفتي بذلك.

قلـت: "هـذا أقـل مشـاكلك. في هـذه اللحظـة، أختـي تنقـي الفـيروس، وهـي عـلى مبعـدة أسـابيع، وربمـا أيـام، مـن الحصـول عـلى تحسـين قابـل للنقـل. تخيـل جلاسـجو عـلى نطـاق عالمـي".

شاهدت الذعر يستوطن عينيَّ إدوين.

تساءل إدوين: "كيف ستفعل هذا؟".

- مـا إن تبـدأ الوفيـات في الحـدوث بأعـداد جماعيـة، ستسـتجيب الحكومـات بفـرض الإغـلاق والحظـر. أعـرف أن بـلادًا كثـيرة تعمـل عـلى علاجـات مضـادة لسـايث. لـو كنـت مـكان كارا، أنـا بحاجـة إلى التأكـد مـن أن التحسـين موجـودٌ في كل مـكان قبـل أن تحـدث هـذه الأشـياء. سـأكون بحاجـة إلى نقـل العـدوى إلى حفنـة مـن الناقلـين الراغبـين وبعـد ذلـك إرسـالهم إلى أطـراف الأرض في وقـتٍ واحـدٍ.

تساءل إدوين: "كم تكون هذه الحفنة؟".

- بحساب معدل الخلل، ما بين خمسة وسبعين ومائة وخمسين.

- وعندما تقول أطراف الأرض...

- توجد 128 مدينة تعداد سكانها خمسة ملايين أو أكثر. لو كنت مكانها لأرسلت ناقلي العدوى إلى أماكن مثل طوكيو، دلهي، شنغهاي، ساو باولو، مكسيكو سيتي، دكا، القاهرة، بكين، مومباي، أوساكا، إسطنبول، موسكو. كنت لأعرف بالتحديد الإطار الزمني للعدوى، وكنت لألضم ذلك الخيط بحيث ينشر هؤلاء الناقلون فيروسهم شديد العدوى في أثناء مرورهم بالمطارات وذهابهم إلى الحفلات الموسيقية والمهرجانات والأحداث الرياضية والمظاهرات.

بدا إدوين مذعورًا.

- وكيف تجد ناقلين **راغبين**؟ تحدٍّ، أليس كذلك؟

سؤال عظيم. وكانت لديَّ بالفعل نظرية.

قلت: "طبعًا، يجب أن يعرفوا بدقة ما يفعلونه، يجب أن يعرفوا احتمال الموت الذي تصل نسبته إلى 13.6 في المائة، يجب أن يرغبوا في مساعدة كارا على إتمام هذا الحدث التطوري الإجباري".

- أنا فقط أحاول تخيل من قد يرغب...

قلت: "علماء الوراثة، علماء الوراثة الموصومون الناقمون المحبطون، الناس الذين يعتقدون أن قانون الحماية الجينية كان خاطئًا. لكن أيضًا -وبشكل خاص- هؤلاء الذين يؤمنون أن العالم سينتهي على أي حال، إذن لماذا لا يلقون لمرة أخيرة صلاة (السلام عليك يا مريم). بعبارة أخرى، علماء الوراثة الذين يمكن تعريفهم أيضًا بمناصري البيئة المتشددين... **المؤمنين**".

قال إدوين: "أنت بحاجة إلى الدخول إلى ميستيك، هل تعتقد أن بإمكانك اقتفاء أثرهم؟".

- نعم، وأريد أن تكون نادين معي، فهي واحدة من قلائل أثق أنهم لن يطلقوا النار على ظهري.

- تمام، أتعرف أين أختك حاليًّا؟

- لديَّ نظرية.

- سأساعدك على إيجادها، كل ما تحتاج إليه.

تفحَّصت وجه إدوين، لاحظت نبض قلبه. في هذه اللحظة، لم يكن يكذب عليَّ، لكن هذا لا يعني أنه لن يغير رأيه لاحقًا، عندما ينجو من الخطر الوشيك، أو يسمح لقوى أخرى بقلبه ضدي.

تساءل إدوين: "لماذا جئت إليَّ؟ قمتَ بمجازفة هائلة".

- لأني لا أعتقد أن أختي ستتوقَّع عودتي إلى الناس الذين خانوني، وقد يمنحني هذا إمكانية العثور عليها.

- كيف أعرف...

- أن بإمكانك الثقة بي؟

أومأ برأسه.

- ستبحث عن البيانات بنفسك، ستتأكد من معدل الوفيات، ستتخيل ما سيحدث لو اجتاح هذا الكوكب، وستقرر أنه لو كان هناك حتى احتمال بأني أقول الحقيقة، فلا خيار أمامك إلا مساعدتي.

- هذا منطقي إلى درجة كافية.

- لقد حقنتك بعبوة جينية خاملة، أعددتها سريعًا في مختبر تاي فيلد. لستَ في خطرٍ حاليًّا، لكن يمكنني أن أطلقه في أي وقت، ولو حدث لي شيء، سيجري تفعيله عن طريق زناد بيئي.

- ماذا سيفعل؟

- سيطلق شلالًا من الفوضى الرهيبة داخلك.

- لا رغبة لديَّ في...

- أعرف.

صدقتُ نوايا إدوين، ما لم أثق به ولا كان بمقدوري السيطرة عليه هم الناس الموجودون في مراكز السلطة الأعلى منه، خاصة في وزارة الدفاع. نفس الرؤساء الذين لن يسمحوا لإدوين بالقبض على تاي فيلد ومحاكمته سيكونون مهتمين جدًّا بي لو سقطت مرة أخرى في شبكة رادارهم.

وقفت: "عذرًا عمَّا سأقول، لكن لو قُتلتُ أو تم القبض عليَّ، أو لو خنتني مرة أخرى، ستموت".

- لن يحدث هذا يا لوجان.

صدَّقته.

سيحاول حمايتي الآن، بل قد يضحي بحياته من أجل ذلك، لأن رصاصة أو زنزانة سجن ليسا إلا رعبًا معروفًا، أما ما حقنته في مدار حول شريطه الوراثي فكان نوعًا من الكوابيس لا يعرفه أحد.

***

كنَّا واقفين في سهل منبسط بلا ملامح.

كانت السماء بنفس اللون الرمادي الحالك الذي كانت عليه الأرض، ولم يكن هناك أي بُعد للفضاء على الإطلاق -لا أفق، ولا إحساس بالعمق- لولا أن الأرض كانت أغمق قليلًا.

فجأة، انشقَّت بيننا.

هوة سوداء تزداد اتساعًا.

كانـت آڤـا وبِـث تصرخـان باسـمي بينـما تـزداد المسـافة بيننـا، نظـرت آڤـا إلى أمهـا، وعـادت بنظرهـا إليَّ عـبر المسـافة، ثـم أخـذت عـدة خطـوات إلى الـوراء وبـدأت تجـري نحـو الحافـة.

صرختُ: **لا! أنت لا تريدين هذا!**

لكنها استمرت في الجري.

أسرع، وأسرع.

شاهدتُ قدمها تلمس حافة الهوة، وقفزتْ...

ذراعاها تسبحان، وساقاها ما زالتا تجريان في منتصف الهواء.

تبحر نحوي من فوق الهاوية.

التقت أعيننا للحظة، وكانت آڤا تبتسم.

أنا قادمة يا بابا، أنا قادمة معك.

ارتطمـتْ بجانـب الجـرف، وتشـبثت ذراعاهـا بالحافـة، وبحثـت قدماهـا عـن موطـئ. اندفعـتُ نحوهـا، لكـن عندمـا انحنيـت لأمسـك بيـد آڤـا، فقـدت قدرتهـا عـلى البقـاء متشـبثة، وأفلتـت أصابعهـا مـن أصابعـي.

جثوت محدقًا إلى الهاوية السوداء وآڤا تسقط مبتعدة عني.

تغوص عميقًا في تلك العتمة التي بلا قرارٍ.

استيقظتُ فجأة.

كان قلبي يدق بعنفٍ في عتمة غرفتي بالفندق.

كنت أردد اسم ابنتي في هدوء مرة بعد مرة.

غادرت السرير، وذهبت إلى الحمَّام وملأت كوبي.

شربته كله، وملأته، وشربته كله مرة أخرى.

بـدأت أهـدأ، وهبـط معـدل نبـض قلبـي الـذي وصـل إلى مـا يزيـد علـى 120 نبضـة في الدقيقـة. لقـد حـدث شيء مـا خـلال الحلـم؛ تحـررت مشـاعري مـن قفـص فـاراداي الـذي حبسـها كثـيرًا، وشـعرت -للحظـة مؤلمـة- بالوقـت الـذي ابتعـدت فيـه عـن أسرتي.

انهرت على بلاط الحمَّام.

وخـرج منـي نشـيج مـن البـكاء، ثـم نشـيج آخـر. انفجـر خـزَّان أحـزان، ولمـدة سـتين ثانيـة تركـت نفـسي أذهـب بـددًا، محدقًـا مـن دون أن يرمـش لي جفـن إلى كل مـا فقدتـه.

***

التقطنـي إدويـن مـن أمـام الفنـدق في منتصـف الليـل. صعـدت إلى سـيارته البـورش 911 إي، وانطلقنـا عـبر المدينـة.

كانـت السـيارة البـورش واحـدة مـن السـيارات الكهربائيـة الجديـدة طويلـة المـدى بهـا ملامـح تصميـم كلاسـيكية وهيـكل رباعـي المحـركات يمكنـه الانتقـال مـن الصفـر إلى السـتين في تسـعة أعشـار الثانيـة ويمكنـه أن يقطـع ألـف ميـل بعـد شـحنه كامـلًا. ظـل إدويـن يحـاول التفاعـل معـي، لكنـي كنـت في مـكان آخـر عقليًـا، أسـتعد لوقتـي عـلى ميسـتيك.

أوقـف سـيارته عنـد الرصيـف في شـارع دي سـتريت سـاوث ويسـت، وأسرعنـا في الممـشى المـؤدي إلى بـاب في الجانـب الهـادئ من مركز الدسـتور، الـذي كان -بالصدفـة- نفـس البـاب الـذي خرجـت منـه محـاولًا الهـروب مـن هـذا المبنـى منـذ أكـثر مـن عـام وتحسـينين.

لم أعتقـد أنـه غبـي إلى درجـة خيانتـي بهـذه السرعـة، بعـد اثنتـين وعشريـن سـاعة فقـط مـن ظهـوري في غرفـة نومـه في منتصـف الليـل، لكنـي أملـت ألا أكـون قـد أسـأت قراءتـه. كان هنـاك دائمًـا احتـمال بأنـه

يمكـن أن يُخضعنـي لتحقيـق وتعذيـب افـتراضي، مـع بعـض الملحقـات الكيميائيـة الاختياريـة، محـاولًا أن يجعلنـي أفـسِّر مـا حقنتـه في نظامـه.

عندمـا اقتربنـا، انفتـح البـاب. وقفـت شريكتـي القديمـة،ناديـن نيتمان، عـلى العتبة تبتسـم.

قال إدوين: "هي تعرف كل شيء..".

عندمـا خطـوت إلى بـئر السـلم وانغلـق البـاب ورائي، ألقـت ناديـن ذراعيهـا حـول عنقـي.

- هل أنت بخير؟

كان هنـاك الكثـير مـما يمكـن البـوح بـه هنـاك. لكنـي قلـت فقـط: "أفضــل الآن".

كانـت اللمسـة البدنيـة الأولى غـير العنيفـة التـي أمـرُّ بهـا منـذ اختطافي مـن هـذا المبنـى قبـل مـا يقرب مـن أربعـة عـشر شـهرًا، وشـعرت بالتفاعل يحـاول أن يكسر قفـل البـاب المـؤدي إلى محفـزاتي العاطفية.

تساءلت نادين: "ماذا؟ ألم تعد تعانق؟".

عانقتها.

بعد لحظة، انفصلنا.

تطلعـت إلى عينـيَّ، رأيـتُ تعاطفًـا، شـفقة، ومـا يشـبه الخـوف. لكـن هــذا كان طبيعيًـا في وضعهـا - أن تـراني لأول مـرة بعـد أكـثر مــن عـام، متسـائلة عـمَّا قـد أصبحـت عليـه يـا تُـرى، أليـس كذلـك؟

- تبدو مختلفًا.

- قمت ببعض التغييرات.

قال إدوين: "هيا بنا؟".

مكتبة
t.me/soramnqraa

قالت: "أعددت كل شيء، بالضبط ما طلبته يا لوجان".

صعدنا السلالم إلى الطابق الثاني، الذي كان يضم خوادم ميستيك. كانت الممرات صامتة. ومضت الأضواء -المضبوطة على مجسات تنشط بالحركة- فوقنا ونحن نقطع رواقًا خاليًا.

"أعددت لك مكانًا هنا.." قالتها نادين وهي تفتح بابًا يؤدي إلى مكتب صغير قاحل. كانت الجدران عارية، لا أثر لزينة شخصية. كان خاليًا لفترة. وكان المكتب الخشبي داخله خاليًا إلا من جهازي الحاسوب المكتبيين ولوحتي المفاتيح الذين طلبتهم.

بسبب خطر الهجمات السيبرية وقوائم البيانات فائقة الحساسية الموجودة، لم يكن من الممكن الدخول إلى ميستيك إلا عن طريق محطات قائمة بذاتها داخل عمق مركز الدستور.

قالت نادين: "ستدخل ببياناتي، ماذا تحتاج إلى غير ذلك؟".

- كم لديَّ من وقت؟

قال إدوين: "ربما ينبغي لك أن تكون خارج المبنى قبل السادسة صباحًا، سنُبقي أعيننا على الممر، لا أعتقد أن أحدًا سيتعرف عليك، لكن من الأفضل أن يعرف أقل عدد ممكن من الناس بأمر عودتك".

سألتني نادين: "أتريدني أن أبقى هنا معك؟ أقدم يد العون".

- شكرًا، لكن ربما من الأفضل لو عملت وحيدًا في هذا الجزء.

غادرا، مغلقين الباب خلفهما.

قبل تحسيني الثاني، كنت لأحار أمام فكرة العثور على كارا باستخدام ميستيك – أمام كل هذا العدد الكبير جدًّا من طرق الاستكشاف الممكنة. لم أكن أبحث عنها الآن بقدر ما كنت أتأكد من صحة النظرية. كنت أشك في أن كارا تعمل إما من مدينة نيويورك وإما ميامي، سأعرف حالًا.

بـدأت العمـل، مقسـمًا وعيـي حتـى أتمكَّـن مـن الكتابـة عـلى كل لوحـة مفاتيـح في نفـس الوقت.

طـوع بنـاني الآن كان واحـد مـن أقـوى محـركات البحـث التـي جـرى صنعهـا، ولـو تمكنـت مـن الإسـناد التبـادلي لحفنـة مـن مجموعـات البيانات المنسـقة، سـأجدها.

أهـم الأشـياء أولًا - سـتحتاج إلى عـالم فيروسـات. كانـت لـديَّ خلفيـة أكـبر في علـم الوراثـة وعلـم الفيروسـات مـما لـدى كارا. حتـى الآن، وأنـا أقـترب مـن عتبـة تحسـينها الثـاني، كنـت مـا زلـت بحاجـة إلى عالِـم فيروسـات ليهنـدس الفـيروس المثـالي لنقـل التحسـين.

منحتنـي قاعـدة البيانـات 378 اسـمًا. قمـت بفلـترة المجموعـة إلى 24 مرشـحًا مرتبـين بنـاء عـلى عوامـل مسـاعدة يمكـن أن تـؤدي إلى الإجـرام. بمـا أنهـم كانـوا في النظـام بالفعـل، كانـت لـدى جميعهـم صـور حديثـة يمكننـي اسـتخدامها لمسـح قواعـد بيانـات نظـم المراقبـة. أسـميت الصـور التـي أخذتهـا مـن مجموعـة بيانـات علـماء الفيروسـات المحتمـل تورطهـم: "بلـوك أ".

في نفـس الوقـت، عـلى الحاسـوب الآخـر، كنت أبنـي مجموعتـي الثانية. في جلاسـجو، أخـبرني الرجـل الـذي أجريـت لـه ثقـب قصبـة هوائيـة طـارئ أنـه كان صديقًـا لـكارا مـن أيـام خدمتهـا في الجيـش. وعندمـا كنَّـا أنـا وكارا مقيمـين في ذلـك النُـزُل في فيرجينيـا الغربيـة، سـألتها إن كانـت مـا زالـت عـلى اتصـال بالنـاس الذيـن أنقذوهـا في ميانمـار. وأجابتنـي: "هـم بعـض أفضـل أصدقـائي".

لقـد حسَّـنت أنـدرو، وأظـن أنهـا فعلـت الأمـر نفسـه مـع بعـض رفاقهـا العسـكريين الآخريـن عـلى الأقـل. في ضـوء مـا مـضى، أمكننـي أن أرى الآن أن هـؤلاء هـم الأشـخاص الوحيـدون في العـالم الذيـن كانـت تثـق بهـم بالفعـل.

كان أنــدرو في الفريــق الــذي أنقذهــا مــن محــاربي ميانمــار، اســمه الكامـل كان أنـدرو كيجـان. كان هنـاك سـبعة آخـرون مـن القـوات الخاصة الأمريكيـة، أصحـاب البيريهـات الخـضراء، في مهمـة إنقـاذ كارا. قُتـل اثنـان منهـم خـلال العمليـة، لكنـي أجريـت بحثًـا عـن الخمسـة الباقـين بالتصريح الـذي أتـاني بـه إدويـن للدخـول إلى خـوادم وزارة الدفـاع.

ناثانيــال جاكــس، أليكســيس هــيرلي، رودلي فيانــا، ديشــون بــراون، مادلــين أورتيجــا، وكلهــم مــا زالــوا أحيــاء.

كان ناثانيـال جاكـس متمركـزًا حاليًـا في بيونـج يانـج، وأليكسـيس هـيرلي مسـجون في أريزونـا (مـرة أخـرى) بعـد القبـض عليـه مخمـورًا ومثـيرًا للقلاقـل.

أمـا مادلـين وديشـون ورودني فجميعهـم جـرى تسريحهـم مـن الخدمـة بعـد تكريمهـم.

أشـارت منشـورات ديشـون بـراون عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي إلى أنــه مطلّــق حديــث ويعيــش في مدينــة بينســاكولا بولايــة فلوريــدا.

وكان رودني فيانـا سـعيدًا في زواجـه ويقـضي عامـه العـاشر مـن العمـل في شرطـة تنفيـذ الأحـكام في كولومبـوس، أوهايـو.

أما مادلين أورتيجا فتقود الشاحنات لصالح شركة فرايتلاينر.

انتزعــت أكــبر عــدد اســتطعت أن أجــده مــن صــور مادلــين ورودني وكيجــان وبــراون، وأســميت هــذه المجموعــة مــن البيانــات "بلــوك ب".

مـددت يـدي في حقيبـة ظهـري، وأخرجـت الاسـكتش الفوتوغـرافي الذي رسـمته بالقلـم الرصـاص لـكارا أمـس، هكـذا بـدت بالضبـط في منـزل أُمنـا في كولـورادو، مـع تعديـلات وجهها الجديـدة، كانـت كارا هـي "بلـوك ج".

كي تكمـل تحسـينها القابـل للنقـل، سـيكون عـلى كارا أن تصمـم ناقـلًا فيروسـيًّا صناعيًّـا وتنقـل العـدوى صناعيًّـا إلى الخلايـا المسـاعدة، التـي

ستنتج عندئذٍ فيروسًا مجهزًا وقابلًا للعدوى، جرت تنقية حمضه النووي بتقنية العمود الدوَّار. بعد ذلك ستحتاج إلى اختباره للتأكد أنه يعمل كما تريد، بمستوى عالٍ من الحدة والقابلية للانتقال بين البشر، يمكن القول إن هذه هي الخطوة الأصعب، وهي خطوة ستتطلب مجموعة اختبار راغبة.

تضمنت مجموعة "بلوك د" نتائج استهداف العلماء السابقين في نظامنا ممن لديهم عوامل مساعدة (مرض قاتل، ديون، علامات على موقف راديكالي، ميول متشددة في مناصرة البيئة) قد تقودهم إلى المخاطرة بحياتهم بأن يصبحوا حقل تجارب لكارا، أو يصبحوا موزعيها الفائقين - مقاتلي جبهتها الأمامية الذين سترسلهم إلى أطراف الأرض. حصلت على قائمة مرتبة من 291 مرشحًا وحمَّلت أحدث صورهم.

كتبت استعلامي الرئيسي: **النتائج المستهدفة = أي كاميرا مراقبة التقطت صورًا لأي عنصر من بلوك أ + أي عنصر من بلوك ب + بلوك ج + أي عنصر من بلوك د، في مدى زمني... اثني عشر شهرًا.**

أردت أيضًا أن أعرف إذا جرى شراء تذكرة لأي واحد في مجموعة بلوك د (مجموعة الاختبار المحتملة والموزعين الفائقين).

كتبت استعلامًا فرعيًا: **النتائج المستهدفة = خطوط جوية، هايبرلوب، حافلات، تذاكر قطار مشتراة بواسطة أو لصالح مجموعة بلوك د، في مدى زمني... اثني عشر شهرًا.**

ومضت الشاشة اليسرى بنتائج استعلامي الرئيسي، كانت قائمة بأرقامٍ متسلسلة لكاميرات مراقبة. طلبتُ خريطة بالقمر الصناعي لأمريكا ووضعت الأرقام المتسلسلة في مواقعها المطابقة.

في الوقت الذي تناثرت فيه بضع نتائج في أنحاء البلاد، تكتَّل عددٌ كبير حول أطراف مدينة نيويورك، ولم تكن هناك أي نتائج في ميامي.

جـردت كل المجـالات مـا عـدا علـماء الفيروسـات في بلـوك أ. مـن بـين أربعـة وعشريـن مرشـحًا محتمـلًا مـن علـماء الفيروسـات، التقطـت عـدة كامـيرات اثنـين في مناسـباتٍ عديـدة داخـل وحـول مدينـة نيويـورك.

فعلـت الأمـر نفسـه فيـما يتعلـق بطاقـم كارا مـن القـوات الخاصـة في بلـوك ب وحصلـت عـلى لقطـاتٍ عديـدة لمادلـين أورتيجـا وديشـون بـراون ورودني فيانـا داخـل وحـول نيويـورك.

والآن جـاء دور رسـمتي لوجـه كارا. منـذ خمسـة أيـام، التُقـط وجهها في دورانجـو، كولـورادو. بعـد ذلـك، لا شيء. كانـت هنـاك محطـة هايبرلوب إقليمـي هنـاك. لعلهـا أقامـت في نُـزُل وكـبّرت ملامحهـا قبـل أن تفـر مـن كولـورادو. ولعـل الوجـه الـذي رأيتـه في مسـكن أمنـا قـد عُـدِّل هنـاك، وهـو مـا يفـسر لمـاذا لم تكـن هنـاك لقطـات لتلـك الصـورة قبـل كولـورادو.

بالنسـبة إلى بلـوك د، مجموعـة الاختبـار الفـيروسي والموزعـين الفائقـين، مـن بـين المرشـحين المحتملـين البالـغ عددهـم 291، رأيـت لقطـات عديـدة بالكامـيرات داخـل وحـول مدينـة نيويـورك لــ 38 شـخصًا. بـدا الرقـم قليلًا. أكان هــذا لأن الموزعــين الفائقــين لم يصلــوا بعــد إلى نيويــورك ليتلقــوا تحســيناتهم القابلــة للنقــل؟ ربمــا كان هــؤلاء الثمانيــة والثلاثــون هــم مجموعتهــا التجريبيــة.

فتحــت النتائــج القادمــة لاســتعلامي الفرعــي - المعامــلات الماليــة المتصلـة بالسـفر. كانـت هنـاك قائمـة بأرقـام تذاكـر الطـيران والقطـار الفائــق السرعــة لبلــوك د.

غمرني الارتياح.

مـن بـين المرشـحين الــ 291 الذين حددهـم الـذكاء الاصطناعـي، نال 94 مـن بلـوك د تذاكـر طيران دوليـة مشـتراة باسـمهم، بجهـات وصـول إلى كل المـدن الكـبرى التـي ذكرتهـا لإدويـن، ومـدن أخـرى أكـثر. وكلهـم سـيطيرون

من نيوآرك، لا جارديا، مطار كينيدي، فيلادلفيا، ومطار بوسطن لوجان الدولي، خلال فترة يومين، تبدأ بعد اثنتين وسبعين ساعة.

كبَّرت الصورة على مدينة نيويورك وطلبت نتائج كاميرات المراقبة التي لديها أعلى تردد التقاط للصور بالنسبة إلى المجموعات أ وب ود.

عادت إليَّ ثلاث نتائج.

كاميرا عند تقاطع شارع فورمان وشارع دوتي بالقرب من المتنزه المطل على الماء في مرتفعات بروكلين.

وكاميرا عند تقاطع متنزه ريتشموند تيراس وشارع نيكولاس، بالقرب من متنزه نورث شور ووتر فرونت إسبيلاندي عند الطرف الشمالي من جزيرة ستاتِن.

وكاميرا عند تقاطع شارع واشنطن وشارع دودلي، بالقرب من متنزه موريس كانال في مدينة جيرسي.

طيب. قبل الآن، كنت أعمل على خليطٍ من النماذج العقلية لعملية تفكير كارا وحدسها الخالص، لكن هذا الاستعلام الأخير بدا صلبًا، لقد وضع أساسًا لنظريتي عن الطريقة التي كانت تبني كارا بها تحسينها سرًّا.

شككت أن هذه المتنزهات -التي تطل كلها على المياه- كانت نقاط الرحيل والوصول عندما تتحرك كارا وفريقها ذهابًا وعودة من مختبرها.

كانوا يبحرون بالزوارق عبر ميناء نيويورك، والنهر الشرقي، ونهر هدسون، إلى أرض منطقة مانهاتن السفلى المغمورة المهجورة - المكان المثالي لإكمال تحسينها.

كانت مانهاتن السفلى تحمل ميزات عديدة بالنسبة إلى كارا، منطقة معتمة بلا كاميرات مراقبة، بنية تحتية موجودة في هيئة

مختبرات بيولوجيا جزيئية مهجورة يمكن لكارا تشغيلها، القرب من عدد كبير من المطارات الدولية، ومركز به أكبر كثافة سكانية في أمريكا، وهو ما يوفر غطاء كافيًا لقائمة العلماء المراقَبين المسافرين إلى مدينة نيويورك كي يكونوا المتعرضين لآخر مراحل الاختبار والموزعين الفائقين، وبهذا يتجنَّبون أي شك من جانب الجي بي إيه.

فقط باستدعاء صورة قمر صناعي لنيويورك، عرفتُ بوجود ما يقرب من أحد عشر مبنى في مدينة الأشباح المتمثلة في مانهاتن السفلى. قبل غرقها، كانت مانهاتن السفلى موطنًا لأكثر من أربعمائة شركة من شركات علوم الحياة - أقل كثيراً مما كان عليه الحال قبل صدور قانون الحماية الجينية. بعض هذه الشركات فقط كانت تملك مختبرات في مقارها، وبعض هذه المختبرات فقط ستكون مناسبة لاحتياجات كارا، وبعض هذه المختبرات المناسبة فقط ما زال سليمًا ويمكن الوصول إليه.

يمكنني أن أقوم بالبحث كي أطلع بقائمة أهداف، ومع ذلك سيكون عددًا مرهقًا من المباني التي يجب مراجعتها، ولن يكون لديَّ الوقت أبدًا لتفتيشها كلها.

لكن لو كانت نظريتي صحيحة، لن أضطر إلى ذلك.

***

بعد تسعة وعشرين دقيقة من دخولي المكتب، خرجت من جديد. كانت نادين تجلس قبالة إدوين في الممر الصامت الطويل.

قالت نادين: "كان هذا سريعًا..".

راقبني إدوين بانتباه، اتجهت إليه وقلت: "أنا بحاجة إلى فريق تدخل سريع بيولوجي، اثني عشر شخصًا، معدات وقاية تكتيكية كاملة من المواد الخطرة، طائرة من دون طيار للتصوير الحراري،

التجهيزات، سيحتاجون إلى عوامات، سأحتاج إلى زورقٍ جلدي لشخصين. بالنسبة إلى عتادي، أريد نظارات رؤية ليلية، درعًا حديديًّا، دستة عبوات ناسفة للأبواب من مادة سي 4، كشّافًا، سكّين سبايديركو هاربي الفولاذي، أسطوانة هواء مضغوط، مسدس نصف آلي إف إن فايف-سيفين مع أربع خزانات من الطلقات المخترقة للدروع. آه، وشريطًا لاصقًا، دائمًا شريطًا لاصقًا" نظرت إلى نادين: "هل ستأتين معي؟ هجوم أخير وحيد؟ مثل الأيام الخوالي؟".

"إمم..." نظرت إلى إدوين، ثم إليَّ: "طبعًا، متى سوف...".

- الآن، نحن بحاجة إلى إنهاء هذا الهجوم قبل الفجر.

"آسف.." قالها إدوين وهو يجاهد كي يقف على قدميه: "إلى أين سنذهب؟".

لم أتردد: "ميامي".

14

سرنا أنا ونادين عبر المساحات المقبّبة في القاعة الكبرى، وقع أقدامنا يتردد صداه في السكون الشبيه بصمت الكنائس الذي ران على محطة يونيون في الساعة الثانية صباحًا.

توقفت عند كشك واشتريت تذكرتين إلى مدينة نيويورك، ودفعت مبلغًا إضافيًا للحصول على كبسولة خاصة.

قالت نادين: "اعتقدت...".

- لقد تآمر إدوين.

- كيف عرفت؟

- رأيت ذلك في وجهه.

- متأكد؟

- طبعًا.

دخلنا ممرًّا، تحت لافتة تقول (إلى جميع القطارات المتجهة شمالًا). قبل مرورنا من الأمن، كنّا رقم اثنين في الطابور.

مسحت تذكرتينا عند البوابة، وأرشدني عامل الخدمة إلى كبسولتنا. صعدنا عبر الباب المفتوح إلى داخل مساحة ضيقة ذات مقعدين متقابلين، جلسنا في مواجهة أحدنا الآخر، وربطنا جسمينا بالأحزمة في نظام الأمان ذي المستويات الثلاثة.

قال صوتٌ أنثويٌّ مُعدَّل إليكترونيًّا: **المغادرة إلى مدينة نيويورك في خلال ستين ثانية، زمن الوصول إلى الوجهة: تسع وعشرون دقيقة. من فضلكم أمِّنوا كل الأمتعة الشخصية تحت مقاعدكم. نشكركم على ركوب خطوط فيرجين المنزلقة.**

توهجت الكبسولة في الداخل بضوء أرجواني هادئ وشريط صوت مهدئ لنغمات موسيقية مركبة على خلفية من أمواج المحيط.

بدأنا نتحرك.

كانت هناك شقوق نوافذ مصنوعة داخل أنبوب الهايبرلوب في فواصل كل عشرة أمتار، لمحت البوابات أسفل محطة يونيون أربع مرات وبعد ذلك انغلق علينا النفق تحت المدينة.

تساءلت نادين: "إذن ما الخطة؟".

- سيكون علينا أن نفعل هذا وحدنا.

- أتعرف أين تكون كارا في نيويورك؟

تلاحقت أضواء النفق تحت الأرضي مارّةً بسرعة أكبر وأكبر حتى لم تعُد إلا خطًّا متقطعًا من الضوء عبر الزجاج الذكي المقوس لكبسولتنا. في السرعات الأبطأ، مثل الآن، كان التأثير مزغللًا للعين بطريقة مؤلمة، وهو يقدم لمحات مذبذبة للعالم الخارجي. لكن في سرعة الانطلاق القريبة من حاجز الصوت، تتدفق هذه الفتحات بسرعة شديدة

لدرجة أنها تصنع ما يشبه الزويتروب[1]، يحرك العالم الخارجي بسلاسة ويخلق وهم أن الكبسولة تسافر تحت قطعة ثابتة من الزجاج.

ضغطت على شاشة اللمس بين المقعدين واخترت أيقونة تعتيم الزجاج حتى لا نرى الفتحات.

- مانهاتن السفلى.

شعرت برجَّة التسارع في الجاذبية بمقدار 0.5 ج، وشاهدت السرعة تتصاعد على شاشة اللمس:

300 ميل في الساعة.

325 ميلًا في الساعة.

350 ميلًا في الساعة.

375 ميلًا في الساعة.

أخرجت نادين هاتفها لأول مرة منذ غادرنا مركز الدستور، أخرجت هاتفي أيضًا، وأرسلت إلى إدوين الرسالة النصية التي كنت قد كتبتها في طريقنا إلى محطة يونيون.

بدت نادين محبطة فجأة.

سألتها: "هل كل شيء على ما يرام؟".

- ألديك إشارة؟

- نعم، أرسلت للتو رسالة نصية إلى إدوين.

- ماذا تقول؟

- أن يغلق هاتفك.

---

(1) أحد أجهزة الرسوم المتحركة السابقة للسينما ينتج وهم الحركة من خلال عرض سلسلة من الرسومات أو الصور الفوتوغرافية التي تظهر مراحل تقدمية من تلك الحركة.

اندفع وجهها نحوي بحدة مفاجئة.

شعرتُ بكبسولتنا ترتفع من النفق تحت الأرضي.

سألتها: "متى وصلتْ إليك؟".

كـدت أشـعر بجسـدها يتوتـر. للحظـة طالـت، كان الصـوت الوحيـد هـو أمـواج المحيـط القادمـة عـبر مكـبرات الصـوت. بالنظـر إلى معـدل سرعتنـا، كانـت الرحلـة هادئـة بشـكل خـارق للطبيعـة.

ظلَّ وجـه ناديـن متصلبًـا، أو بالأحـرى كانـت تحـاول يائسـة أن يكـون كذلـك، لكنـي لاحظـت اضطرابهـا الداخـلي. قطـار أفكارهـا المهـووس وهـو يندفـع عـبر عقلهـا، متسـائلًا مـاذا كنـت أعلمـه علـم اليقـين وأيـن كنـت في ظلمـة الجهـل.

لجـزءٍ مـن الثانيـة، فكـرتْ في الكـذب، وبعـد ذلـك رأيـتُ أنهـا أدركـت ألا جـدوى مـن ذلـك، مالـت إلى الـوراء في مقعدهـا، وأطلقـت تنهيـدة هادئـة.

قالـت: "في الصيـف المـاضي. أخـذت إجـازة لبعـض الوقـت، وذهبـت إلى تولـوم في المكسـيك، رأيـت الأطـلال. سـبحت في بـرك الميـاه الجوفيـة، كنـت وحـدي. وذات يـوم، كنـت جالسـة قـرب المسـبح عندمـا ظهـر شـخص لم يكـن إلا أختـك. في البدايـة، اعتقـدت أنهـا مصادفـة مجنونـة، وتركتنـي هي أصـدق ذلـك. أخبرتنـي أنهـا تسـافر أيضًـا وحدهـا، دعتنـي إلى العشـاء، كانـت قـد نشـأت بيننـا بعـض الكيميـاء منـذ تلـك الليلـة التـي قضيناهـا في كوخهـا بمونتانـا، وكانـت مـا زالـت موجـودة.. هـذه الكيميـاء، كانـت سـاحرة وذكيـة بشـكلٍ لعـينٍ.

لبثنـا معًـا لبضعـة أيـام، وخـلال تمشـية معًـا في الأدغـال، أخبرتنـي أخـيراً بحقيقـة مـا حـدث لـك، ظننتـك ميتًـا".

- ألم تكوني...

- مرتبكـة، غاضبـة، خائفـة، أخبرتنـي أنهـا أخرجتـك مـن موقـع أسـود تابـع للجـي بي إيـه، أخبرتنـي أن أمكـما قامـت بتحسـينكما أنتـما الاثنـين، أخبرتنـي عـن معركتـك في نيـو مكسـيكو، وبعـد ذلـك قدمـت عرضًـا لِـمَا أرادت أن تحققـه، والأسـباب، والطريقـة.

- أقنعتك؟

- لم أسـتطع رفـض منطقهـا. عندمـا كنـت أعمـل في اليونسـكو، كان عمـلي هـو نـشر التعليـم البيئـي، نحـن في مشـكلة، تلـك الليلـة، قدمـت لي التحسـين في غرفتـي بالفنـدق، كيـف عرفـت؟

- مـن دون ميسـتيك، سـتكون مخاطـرة ومضيعـة للوقـت واسـتحالة فعليـة أن تجـد جيشًـا مـن الموزعـين الفائقـين الراغبـين، وكانـت كارا بحاجـة إلى أن يكونـوا راغبـين. في ضـوء الإجـراءات الأمنيـة المفروضـة، حتـى كارا فائقـة التحسـين لا يمكنهـا أن تصـل إلى ميسـتيك وحدهـا.

كنـت متأكـدًا أن لديهـا أحـدًا مـا في الداخـل، شـخصًا يجتـذب المرشـحين إليهـا. لم أعـرف إن كان هـذا الشـخص أنـت أم إدويـن، أم شـخصًا آخـر، شـككت فيـكِ؛ إدويـن مؤمـن حقيقـي. لكنـك تشـعرين بنفـس مـا أشـعر بـه حيـال قانـون الجـين. وعندمـا كنّـا في مونتانـا معهـا تلـك الليلـة، تحدثـتِ عـن عملـك في اليونسـكو، تحدثـتِ عنـه بشـغفٍ. و... كنـتِ صديقتـي، تعرفـين زوجتـي وابنتـي. وعرفـت كارا أنـك سـتغضبين مـا إن تخـبرك بمـا فعلتـه وكالـة الحمايـة الجينيـة بي.

بعـد ذلـك كانـت لغـة جسـدك غريبـة الليلـة عندمـا رأيتـك لأول مـرة، لـذا أجريـتُ اختبـارًا واحـدًا آخـر. عندمـا خرجـتُ مـن ذلـك المكتـب وسـألني إدويـن أيـن سـيحدث ذلـك الهجـوم، قلـت ميامـي، بـدت عليـه الدهشـة، وبـدا عليـك الارتيـاح.

مـدَّت ناديـن يدهـا نحـو شاشـة اللمـس، وأزالـت تعتيـم الزجـاج الذكي. حدقنـا خـارج النافـذة الوهميـة بينـما كان ريـف ماريلانـد يمـر منزلقًـا بأناقـة سريعـة بمقـدار 760 ميلًا في السـاعة، وكل شيء لامـع تحـت القمـر.

- مليـار إنسـان يـاناديـن. أي شـخص سـيصاب بفـيروس التحسـين ويمـوت، سـيكون هـذا في عنقـك، أشـخاص تعرفينهـم وتحبينهـم سـيموتون.

قالـت: "لـو منعـتَ هـذا، قـد تكـون مسـؤولًا كذلـك عـن انقـراض الإنسـان العاقـل، سـيكون هـذا في عنقـك".

- تأمـلي هـذا، ذات مـرة، كنَّا أنـا وكارا الإنسـانين المحسَّـنين الوحيدين عـلى هـذا الكوكـب، ومـاذا فعلنـا؟ حـاول أحدنـا عـلى الفـور أن يقتـل الآخـر بسـبب اختلافـات في الـرأي. تلقيـتِ أنـت التحسـين وقـررتِ أن تسـاعدي كارا في إطـلاق فـيروس سـيؤدي إلى معانـاة ومـوت جماعيـين. لا يبـدو أن الـذكاء في حـد ذاتـه هـو الحل، أشـعر بالذعـر عندمـا أفكـر في عـالم لدينـا فيـه جميعًـا نفـس المشـكلات، وفقدنـا مليـار صديـق، والـكل يفكـر أنـه ذكي بمـا يكفـي لأن يكـون معصومًـا مـن الخطـأ.

- إذن أنت تفضِّل ألا يكون هناك عالم على الإطلاق؟

- تلـك ثنائيـة خاطئـة. نحـن في مشـكلة، لكـن هـذا لا يعنـي أن ذلـك هـو الحـل الوحيـد، إن رفـض شيء يتضمـن قتـل مليـار إنسـان ليـس مثـل دفـن رأسي في الرمـال بينـما العـالم يحـترق.

- ماذا سيحدث الآن؟

"سـتؤخذين إلى زنزانـة في جرانـد سـنترال"، ضغطـت شاشـة اللمـس، وألقيـت نظـرة عـلى لوحـة رحلتنـا، "خـلال سـبع عـشرة دقيقـة، مـا سـيحدث بعـد ذلـك، يعـود أمـره إليـك جزئيًّـا".

- لـن أخـبرك بمكانهـا، ربمـا تعـرف المنطقـة بشـكلٍ عـامٍّ لكنـك لا تعـرف المبنـى، وهنـاك مبـانٍ كثـيرة في مانهاتـن السـفلى.

أضـاء هاتفـي - إدويـن يرسـل إليَّ نتائـج الاسـتعلام عـن مبـاني مانهاتـن السـفلى الـذي طلبـت منـه أن يضعـه في ميسـتيك. كانـت قائمـة بسـبع وثلاثـين شركـة مرتبـة بشـكل تنبـؤي كأماكـن مرشـحة لمختـبر كارا، عـدد أكـبر مـما يجـب.

أرسلت إليه ردًّا:

قلِّص هذه القائمة إلى الأبنية ذات الخمسمائة قدم أو أعلى.

ألقـت باديـن نظـرة عـلى حقيبـة يدهـا، كان معـدل نبضهـا يتسـارع، صـار بمقـدوري أن أشـتمَّ بدايـة تعـرُّق.

لم نواجـه أي مشـكلة حكوميـة في مـا يتعلـق بوجـود أسـلحة ناريـة في حوزتنـا عنـد عبورنـا مـن الأمـن، لكـن لـو كانـت تعـرف أن هنـاك احتـمالًا بعـودتي، أتراهـا قامـت باسـتعدادات مسـبقة؟

كبسـولة في فمهـا يمكنهـا أن تطحنهـا لتطلـق بخـارًا قاتـلًا؟ وسـيلة مـا أخـرى للتسـميم موجـودة في تلـك الحقيبـة؟

كانت تمد يدها نحو المشبك المعدني الذي يفتحها.

تحـرَّرتُ مـن أحزمـة الأمـان الثلاثيـة، واندفعـتُ عـبر الكبسـولة، وخطفـت حقيبـة يدهـا.

- ما هذا الخراء يا لوجان؟

- ماذا فيها؟

- أشياء نسائية، أعدها.

لسلامتك، من فضلك أعد ربط حزام مقعدك.

لويتُ المشبك المعدني، وفتحت الحقيبة، راقبتني نادين عن قرب.

عندما رأيت الشرائط السوداء والبرتقالية تظهر من الداخل، تولى دماغي الثلاثي القياد، ألقيت الحقيبة إلى الناحية الأخرى من الكبسولة.

اللعنة.

لقد أحضرت نادين سلاحًا.

السلاح الأخير.

مدَّت يدها نحو شاشة اللمس، وأطفأت الأضواء.

ميزتُ طنينًا قويًا بلغ تردده 6 كيلو هرتز.

قالت نادين: "أنا آسفة، أكره هذا، أنت صديقي، وكنت شريكي، لكن لا يمكنني السماح لك بالتدخل".

استطعت أن أرى شكلًا يحلِّق بيننا الآن. كنت قد مررت بالخوف منذ تلقيت تحسين أمي، لكني لم أشعر بما يقارب الذعر الذي شعرته وأنا أحدق إلى مجموعتين من الأعين -مجموعة مركبة، ومجموعة بسيطة- لزنبور آسيوي عملاق هائل الحجم حلَّق على مبعدة ست بوصات من وجهي.

من فضلك اربط حزام مقعدك حالًا.

أزَّ واحد آخر خلف أذني اليمنى. استطعت الشعور بالدوامات الناعمة الناشئة عن أجنحته القوية.

قالت نادين: "حصلت كارا على حمضك النووي من مسكن أمكما في كولورادو، اخترقت هذه الزنابير، وبرمجتها على البحث عن بصمتك الجينية الفريدة باستهداف الفيرومونات في عرق إبطيك".

- وبم استبدلت سمهم؟

- سُم ثعبان التايبان البريّ.

تذكـرتُ برنامجًـا عــن الطبيعــة شــاهدته عندمــا كنــت في الرابعــة عــشر. ثعبــان التايبــان الــبري، وموطنــه الأصــلي أســتراليا، يحمــل أقــوى ســمٍّ في العــالم، الجرعــة التــي تحملهــا عضــة واحــدة كافيــة لقتــل مائــة رجــل ناضــج. يضــم ســمومًا عصبيــة، وســمومًا تدمــر كــرات الــدم الحمــراء، وســمومًا فطريــة، وســمومًا كلويــة، وســمومًا مدمــرة لخلايــا وأوعيــة الــدم.

كان صوت الزنبور عند أذني اليمنى يزداد علوًّا.

والآخر يقترب أكثر بدوره.

لقد أحكما الحصار حولي.

بدت لواسعهما قادرة على أن تخترق الفولاذ.

فهمــت خطــةناديــن - كانــت خطــة جيــدة. مــا إن يلســعني الزنبــوران، ســتجذب فرامــل الطــوارئ، وتوقــف الكبســولة تحــت إحــدى منصــات الخــروج، ســتهرب عــبر فتحــة الســقف، تاركــة إيــاي هنــا لأمــوت.

همّشــتُ الخــوف، مقســمًا وعيــي إلى أربعــة أقســام: الزنبــور الأول، الزنبــور الثــاني، ناديــن، أضــواء ضواحــي فيلادلفيــا التــي كنّــا نــسرع نحوهــا.

كان الزنبــوران يقتربــان ليهاجــما، وكنــت أسرع إدراكي للوقــت، مــدركًا كل شيء الآن.

السرعة: 589 ميلًا في الساعة.

زمن الوصول: 15 دقيقة.

ننطلق عبر مراعٍ، وثمة بيت ريفي قديم يتوهج من بعيدٍ.

ناديــن بعينــين متســعتين تعــاني ثمانيــة مشــاعر متضاربــة، لكــن الخــوف والشــعور بالذنــب هــما الأبــرز.

فكـرت أني لا أملـك شـيئًا أضرب بـه هذيـن الزنبوريـن، ولـو اخترقتنـي هـذه اللواسع -واحـد منها فقـط، في أي مـكان- فقـد انتهيـت. كان طولها نصـف بوصـة، وسـتخترق بسـهولة ملابـسي.

غدوت ساكنًا جدًّا.

إذا لم تربـط حـزام مقعـدك، سـتدفع غرامـة خمسـمائة دولار وتُمنـع مـن السـفر مسـتقبلًا عـلى هايبرلـوب فيرجـين.

رفعـت ذراعـيَّ ببـطء، والزنبـوران عـلى مبعـدة بوصتـين مـن جلـدي، ولواسـعهما تتقـوس نحـو وجهـي وعنقـي.

شاهدتُ إبهاميَّ وسبابتيَّ ينغلقان بهدوء حول بطنيهما.

تلويـا، وهـما يطنـان بجنـون، ويمطـان جسـديهما كي يطعنـا يـديَّ، وأطـراف لواسـعهما عـلى مبعـدة ميلليمـترات مـن بـشرتي.

شاهدت الصدمة تجتاح وجه نادين.

وبينـما كانـت يدهـا اليـسرى ترتفـع لتفـك حـزام كتفهـا، قضمـت رأسي الزنبوريـن، ونفضـت بأصابعـي الجـزء الأسـاسي مـن جسـديهما عـبر الكبسـولة، وتنحيـت عـن الطريـق بينـما كانـت ناديـن تلقـي بنفسـها عـليَّ.

ارتطمـت بمقعـدي وحاولـت أن تعـدل وضعهـا، لكنـي كنـت فوقهـا بالفعـل، ويـدي اليمنـى تعتـصر حلقهـا، وعيناهـا تجحظـان، ويداهـا تخمشـان وجهـي.

قلت: "اهدئي..".

ظلَّت تقاتل.

- اهدئي!

هـدأت، خففـتُ ضغطـي حـول عنقهـا لكنـي لم أفلتهـا. ألقيـت نظـرة نحـو هاتفـي، وأنـا أدعـو أن يكـون إدويـن قـد أرسـل إليَّ القائمـة الجديـدة، كان قـد أرسـلها. سـبعة عـشر متنافسًـا.

"إيـه جـاي فاكسـينز" تفحصـت وجههـا عـن قـرب أكـبر مـما تفحصـت أي شيء في حيـاتي، "أليكسـيون، بيوكريسـت، إنوجـين".

تساءلتْ: "ماذا تفعل؟".

"إنجينكس".

أغلقـت عينيهـا وأشـاحت بوجههـا عنـي، ملـت نحوهـا أكـثر، مثبتًـا إياهـا في مقعـدي. "افتحـي عينيـك يـا ناديـن" لم تفتـح. اعتـصرتُ رقبتهـا، "انظـري إليَّ!" نظـرتْ إليَّ. تابعـت تـلاوة قائمـة الـشركات التـي أرسـلها إليَّ إدويـن. "كـورا هيلثكـير" لا، "لايـدن دلتـا" لا، "مـيرك، أوميجـا، فونيكـس لابـز".

كانت الدموع تسيل على وجهها.

- ريـدج فارمـا، سـتيرلينج آنـدرز، تيفـا فارماكوتيكالـز، تـور، أوندريـل سوليوشـنز، فيفـور، زنتيفـا.
- أعتقد أن عليك أن تقتلني.

جلسـتُ عـلى حجرهـا، وقبضـت عـلى حلقهـا بيـد، وعـلى وجههـا بالأخـرى، ذلـك الوجـه الـذي ضحكـتُ وبكيـتُ معـه. الوجـه الـذي واسـاني -في آخـر مـرة رأيتـه فيهـا قبـل أن تنقلـب حيـاتي- عندمـا تداعيـت أسى أمـام نصـب تـذكاري لعبـت أفعـالي دورًا في بنائـه.

"افتحـي عينيـك" قلـت الأسـماء بسرعـة أكـبر هـذه المرة: "إيـه جـاي فاكسـينز، أليكسـيون، بيوكريسـت، إنوجـين، إنجينكـس، كـورا هيلثكـير، لايـدن دلتـا، مـيرك، أوميجـا، فونيكـس لابـز، ريـدج، فارمـا، سـتيرلينج آندرز، تيفـا فارماكوتيكالـز، تـور، أوندريـل سوليوشـنز، فيفـور، زنتيفـا".

ومرة أخرى، أسرع...

"إيه جاي فاكسينزأليكسيونبيوكريستإنوجينإنجينكسكوراهيلثكيرلايدندلتا

ميركاأوميجا".

توقفتُ.

حدقت نادين إليَّ.

مرتعدة.

- هي أوميجا.

لم تقل شيئًا.

أفلتُ حلقها وارتميت عائدا إلى مقعدها، كنت واثقًا إلى حدٍّ معقول من أن مختبرات أوميجا استخرجت منها رد فعل؛ زاد نبضها المتسارع 5 نبضات في الدقيقة، وارتفع ضغط دمها الانقباضي، لكن النظرة في وجهها الملطخ بالدموع وهي تتراجع منهارة في مقعدي وتحدق خارج النافذة قالت كل شيء.

لقد فشلت.

أخرجتُ هاتفي وأرسلت إلى إدوين:

هي أوميجا، ابعث لي الرسومات الهندسية للمبنى بأكمله.

نظرتُ إلى نادين وقلت: "لو أكملتِ مساعدتك لكارا، لدمرك هذا".

- لعلك على حق.

تباطأت سرعتنا إلى 250 ميلًا في الساعة، ومن النافذة تمكنتُ من رؤية خط أفق مدينة نيويورك -أو ما بقي منها- يتوهج في الليل.

15

كانت شرطة نيويورك في انتظارنا عند البوابة في محطة جراند سنترال، وبينما كانوا يضعون يدي نادين في الأصفاد، خرج إدوين من كبسولته، التي كانت خلفنا ببضع دقائق.

سار نحونا، وتفحّص نادين من رأسها إلى قدميها بغضبٍ هادئ قال أكثر مما كان يمكن لكلماته أن تقول. وبينما كنت أراقبهم يقودونها بعيدًا، خشيت مما سيحدث لها. أسيأخذها إدوين إلى موقع أسود لدراستها مثلما فعل بي؟ يُخضعها إلى استجواب افتراضي؟ هي تستحق معاملة أفضل مما حدث معي. لم أستطع أن أصدق أن يكون هذا مآلها، لكن كان عليَّ أن أنحي بعيدًا ذلك الأسى في الوقت الحالي.

"سيادة المدير روجرز؟" التفتنا إلى الشرطية الشابة التي ظلّت وراءنا، "مفترض بي أن أصطحبك إلى فريق التدخل السريع".

تبعناهـا إلى خـارج نفـق جرانـد سـنترال، وصعدنـا عـبر البهـو الرئيـسي إلى جـادة بـارك، حيـث تركـت سـيارتها الكـروزر واقفـة صـف ثـانٍ.

عندمـا انطلقنـا جنوبًـا، تفحصـتُ الرسـومات الهندسـية التـي أرسـلها إليَّ إدويـن للمبنـى 140 بـرودواي، ناطحـة السـحاب التـي كانـت تـؤوي مختـبرات أوميجـا. كان أوميجـا مختـبراً للمراحــل التجريبيــة، يشــغل الطابقـين الثالـث والثلاثـين والرابـع والثلاثـين بأكملهـما. كانـوا يصنعـون فيـه لقاحـات الأنفلونـزا للتجـارب السريريـة، قبـل الدفـع بمنتَـج المرحلـة النهائيـة إلى الإنتـاج الضخـم لتوزيعـه في السـوق. بالطبـع، كان هـذا كلـه قبـل أن يغـرق الفيضـان مانهاتـن السـفلى.

قال إدوين: "ربما هذا خطأ..".

- ماذا؟ هذا الهجوم؟

- لا فكـرة لديـك عـما سـتدخل إليـه، سـيموت أشـخاص. ربمـا يمكنني أن أجعـل السـلطات تقـوم بهجـوم بالطائـرات دون طيـار، تـضرب المبنـى قبـل الفجـر، تدكـه تمامًـا.مكتبة .. سُر مَن قرأ

- سـمعت تقديـرات بـأن عـشرة آلاف شـخص يعيشـون في مانهاتـن السـفلى.

- ستكون هناك بعض الأضرار الجانبية.

- ولـن نعـرف يقينًـا أننـا نلنـا منهـا، أو مـن الفـيروس الـذي صنعتـه، أريـد أن أراهـا بعينـيّ.

كان 140 بـرودواي مبنـى عـلى الطـراز العالمـي مـن الزجـاج والفـولاذ الأسـود، اكتمـل بنـاؤه الأوليّ منـذ 101 عـام. تصفحـت بسرعـة كل طابـق مـن طوابقـه الواحـد وخمسـين، مودعًـا في الذاكـرة تخطيطاتهـا المختلفـة.

تهادينـا بجـوار متنـزه يونيـون سـكوير بـارك، ثـم سرنـا في بـرودواي حتـى انتهـى عنـد تقاطعـه مـع شـارع هاوسـتون، أحـد الحـدود الجنوبيـة

الجديـدة لمانهاتـن الصالحـة للسـكنى. لم تكـن منطقـة الفيضـان تمثِّـل خطًّا مسـتقيمًا عـبر الجزيـرة، بـل كانـت هنـاك تباينـات. غرقـت منطقـة سـوهو كلهـا تحـت المـاء، لكـن كانـت هنـاك مناطـق لم يغمرهـا المـد العـالي، مثـل أجـزاء مـن الحـي الصينـي.

عندمـا خرجنـا مـن السـيارة، اقتربـتُ مـن خـط حواجـز جـيرسي والسـياج المتصـل مـن السلاسـل الـذي يمنـع التحـرك لمسـافة أبعـد إلى الجنـوب. مـن بعيـدٍ، وراء الحاجـز، كان بمقـدوري رؤيـة الميـاه تتلاطـم عنـد الشـارع الـذي توقـف عنـده المـدّ.

خلفـي، توهجـت أضـواء المدينـة في ظلالهـا الأيقونيـة مـن الأبيـض والذهبـي. إلى الأمـام مباشرة، كان الـشيء الوحيـد الظاهـر للعيـان شريطًا مـن سـماء تضيئهـا النجـوم، مختنقـة بـين الأبنيـة السـوداء، كنـت قـد رأيت صـورًا لمدينـة الأشـباح هـذه ليـلًا، لكنـي لم آت قـط إلى هنـا.

ثمـة شيء مخيـف في غابـة القوالـب السـوداء عديمـة الملامح التـي صارت تشـكِّل الآن مانهاتـن السـفلى. بالطبـع لم تكـن مهجـورة تمامًـا، اسـتولى عليهـا المـشردون منـذ ثلاثـة أعـوام، أطلقـوا عليهـا فينيسـيا الجديـدة. مـن بعيـدٍ، اسـتطعت أن أرى مصـادر إضـاءة منبعثـة مـن النوافـذ المكسـورة، نـيران موقـدة في مخيـمات صعـدت إلى الأدوار العلويـة.

اقترب إدوين من ورائي: "يعرفون أن القيادة لك هنا".

- أتثق فيهم؟

- هـم فقـط قـوات تدخـل بيولوجـي سريـع تابعـة لشرطـة نيويـورك، يفعلـون ما يؤمـرون".

صعدت فوق الحاجز الخرساني وانزلقت عبر فتحة في السياج.

هتف إدوين من ورائي: "إيه!" التفت إليه: "احترس لنفسك".

في منتصف الطريق إلى المربع السكني التالي الطويل، رأيت ظلالًا وأضواءً كشافات.

أعلنت عن وجودي وأنا أقترب من مجالهم، ورؤيتي الليلية الأصلية تكشف التفاصيل باستخدام ضوء النجوم والمدينة المتاح.

رأيت أربع عوّامات ودستة ضباط تدخُّل سريع يقومون بفحصٍ أخيرٍ للأسلحة. أنهى شخصان يرتديان بدلات واقية للتمويه الليلي شحن المعدات داخل عوامة وسارا.

تبادلنا التعارف، كان قائد الفريق يُدعى بوب نويز، رجل ملتحٍ قوي البنية بدا قادرًا على إلحاق بعض الأذى بمن يعترض طريقه. إلى جانبه وقف رجلٌ أشيب جذاب اسمه آرون براندز، كان مشغولًا بدفع بطارية ليثيوم داخل طائرة من دون طيار.

نادى نويز الجميع: "فلنركز جميعًا!".

لم يكن أعضاء الفريق قد أسدلوا أغطية الرؤوس بعد، لذا تفحصتهم سريعًا، محاولًا أن تلتقي عيناي بعيني كل واحدٍ منهم، لأرى ما يمكنني قراءته في الضوء الكابي.

لم ألاحظ شيئًا يوحي بالخداع، رأيت إرهاقًا. وفي إحدى الحالات رأيت سُكرًا خفيفًا، حالتين من الاعتلال الاجتماعي، متعطشين للعنف. لكن قبل كل شيء، قرأت التردد والخوف، ولم يكن بمقدوري أن ألومهم. كلما زدت فهمًا للمبنى 140 برودواي، فهمت أكثر لماذا اختارته كارا؛ هناك بالأعلى في الطابقين 33 و34، كانت تملك وضعًا دفاعيًا مثاليًا، وضعًا سيجبرني على إتيان فعل مجنون.

"الهدف كارا رامزي" لم يسأل أحد إن كانت هذه أختي، شككت أنهم يعرفون من أكون فعلًا. "ستحصلون على رسم حديث لها، هي تعمل من 140 برودواي، بعد أربعة وعشرين مربعًا سكنيًا جنوب

موقعنـا الحـالي. يجـب أن تكـون الرسـومات الهندسـية قـد وصلتكـم قبـل قليـل".

تساءل نويز: "كم مقدار المقاومة التي تنتظرنا؟".

- عـدة حـراس مدربـين تدريـب قـوات خاصـة، لكنهـم ليسـوا جنـودًا عاديـين، لديهـم قـدرات لم تروهـا مـن قبـل.

- يعرفون أننا قادمون؟

- لا أعتقـد هـذا، لكنهـم سـيكونون مسـتعدين. أشـك في أن المختـبر في الطابـق الثالـث والثلاثـين أو الرابـع والثلاثـين، مـن الواضـح أنـه لا سـبيل للوصـول بالمصعـد. هنـاك أربعـة سـلالم، اثنـان منهـم يوصـلان إلى آخـر المبنـى. عندمـا نصـل إلى هنـاك، سأسـبقكم بعشريـن دقيقـة. اتخـذوا مواضعكـم خـارج مداخـل السـلالم في الطابـق الأرضي وانتظـروا إشـارتي. أربعـة سـلالم، أربـع فـرق. سـتكون هنـاك كامـيرات مراقبـة تنشـط بالحركـة، لـذا اسـتخدموا أجهزتكـم الشـخصية للتشـويش عـلى الإشـارة، أتوقـع متاريـس، نقـاط عبـور ضيقـة.

قال نويز: "ميادين رماية..".

- أسـاسي، والآن تعرفـون كل مـا أعرفـه، سـنتوجه جنوبًـا، ولتجعلـوا نقطـة التوقـف المؤقـت عنـد تقاطـع فولتـون لتحضـير طائـرة المراقبـة مـن دون طيـار والاتصـالات الأخـيرة، أي أسـئلة؟

عندمـا عـاد أفـراد الفريـق إلى عواماتهـم، ناولنـي برانـدز عتـادي. ارتديـت الـدرع الحديـدي وربطـت الأشرطـة المغناطيسـية، ثـم علقـت نظـارة الرؤيـة الليليـة في مقدمـة ياقتـي وفتحـت العلبـة الصغـيرة، وأخرجـت منهـا السـلاح الـذي طلبتـه - مسـدس إف إن فايف-سـيفين بلجيـكي الصنـع قليـل الارتـداد وسـعة خزانتـه عـشرون طلقـة. وضعـت في

جيبي ثلاثة خزانات، وأدخلت الرابعة في المسدس، وألقمت رصاصة في الماسورة.

أنهى أفراد فريق التدخل السريع رصَّ معداتهم، ثم سحبوا عواماتهم إلى حافة الماء. تبعتهم، وأنا أجر الزورق الجلدي خلفي إلى أن طفا ثماني بوصات فوق الخطوط المنقطة البيضاء التي كانت تشير فيما مضى إلى حارة حافلات فقط.

ركبت الزورق، واستقر بي المقام في حفرة القيادة، ثم قبضت على المجداف ودفعت نفسي إلى الماء الأعمق.

الساعة الآن الثالثة صباحًا.

طفت العوامات الأربع أمامي بمسافة قصيرة، وأصوات المدينة خلفنا تتردد أصداؤها في ممر الأبنية السوداء. السارينات والأبواق تدوي من بعيد كأنها تملأ العالم. والضجة المخمورة لمن يطلبون شرابًا أخيرًا تخرج متعثِّرة من الحانات، وكل هذا يخبو أكثر وأكثر.

بعد سبعة مربعات سكنية، صار كل ما كان بمقدوري أن أسمعه ضربات المجاديف وهي تغوص في الماء الأسود.

جدفنا إلى الجنوب من برودواي، والماء يزداد عمقًا. مررنا بالمتاجر الغارقة، دوين ريدرز، سيفورا، فوريفر 21، بلومينجديلز، ومصارف ومحلات بقالة غمرها الماء.

من وقتٍ إلى آخر، كنت ألمح ومضة من نور نار عبر نافذة مكسورة، وأشم اللسعة اللاذعة لدخان الحطب أو أيًا كان ما يُحرق طلبًا للدفء.

مررنا بمبنى البلدية وكنيسة سانت بول.

عاليًا من إحدى ناطحات السحاب، سمعت نغمات بعيدة لآلة كمان - شخص يعزف أغنية "الليلة" من فيلم (قصة الحي الغربي).

ترددت أصداؤها في الجادة المظلمة والغارقة، بين الظلال الثقيلة لما كانت فيما مضى أعظم مدينة في العالم. **الليلة، الليلة، كل شيء بدأ الليلة، رأيتك وغاب العالم.**

بعد ميلين تقريبًا من حيث بدأنا التجديف، ووراء تقاطع فولتون وبرودواي تمامًا، بدأت العوامات تنجرف إلى الجانب الأيسر من الشارع، متجمعة تحت اللافتات القديمة لمطعم (شيك شاك).

قضينا وقتًا طيبًا، ونحن الآن على مبعدة مربعين سكنيين فقط من 140 برودواي. أبطأت زورقي حتى توقف محاذيًا إحدى العوامات. رفع براندز طائرة من دون طيار من قاع عوامته، وأدارها، ثم فتح حاسوبًا محمولًا صغيرًا، ألقى بالطائرة في الهواء، ومراوحها تدور مبتعدة بها في الشارع.

بعد لحظة قال: "لديَّ صورة"، راقبته من زورقي، كان منحنيًا فوق الحاسوب الصغير الذي اتصلت بجانبه عصا تحكم.

سألته: "أي شيء يستحق الذكر؟".

- ليس بعد. مجرد... غنيمة... طويلة سوداء.

- ماذا؟

- معلوماتك كانت صحيحة، يبدو أن أحدهم أقام ألواح أشعة تحت حمراء حول طابق كامل.

كانت ألواح الأشعة تحت الحمراء دفاعات مدمجة في المبنى ضد المراقبة بالتصوير الحراري، عادةً في شكل جدران تضيء المختبر كله، لتجعل من المستحيل تحديد مكان وعدد الأشخاص العاملين، كما جعلت من المستحيل استهداف الأشخاص في الداخل بالبنادق ذات المناظير الحرارية.

قـام ببضـع لفـات أخـرى حـول المبنـى، مستكشـفًا البهـو والسـطح والمداخـل الثانويـة، قبـل أن يقـود الطائـرة الصغـيرة معيـدًا إياهـا إلينـا.

ناولني نويز سماعة أذن وجهازًا لا سلكيًا.

قال: "للتحويل إلى الاتصال، القناة الثانية".

***

لاح المبنـى هيـكلًا أسـود عـلى خلفيـة السـماء المرصَّعـة بالنجـوم عندمـا اقتربنـا مـن تقاطـع بـرودواي وشـارع لايـبرتي. ارتـدى أعضـاء فريـق التدخل السريـع أغطيـة رؤوسـهم، وانفصلـت عوامتـان مـن الأسـطول الصغـير، متوجهتـين نحـو لايـبرتي.

تبعـتُ العوامتـين الباقيتـين، اللتـين انسـابتا بخفـة عـبر السـاحة نحـو مكعـب إيسـامو نوجوتـشي، تلـك المنحوتـة التـي كانـت فيـما مـضى حمـراء زاهيـة، تصـدأ الآن وهـي مغمـورة تحـت المـاء بسـتة أقـدام، كانـت تحفـة المدخـل الرئيـسي قبـل أن تغـرق المدينـة.

تابعـت التجديـف إلى أن وصلـت شـارع سـيدار، بـين 140 بـرودواي ومبنـى إيكواتيبُـل المكتبـي. وبينـما كنـت أطفـو في الظـلام بـين ناطحـات السـحاب السـوداء، أتى صـوت نويـز عـبر سـماعتي: **"معـك الفريـق أ. نحـن نقـترب مـن مدخـل البهـو الرئيـسي، نشـغل أجهـزة التشـويش الشـخصية عـلى الإشـارات. لوجـان، أي سُـلَّم سـتأخذه؟ حـوِّل".**

قلت: "لا سلالم، حوِّل".

- **"هل هناك طريقة أخرى للصعود؟ حوِّل.**
- لا، سأتسلق. حوِّل.

سـاد صمـت قصـير وبعـد ذلـك: **"آسـف، اعتقـدت أنـك قلـت إنـك ستتسـلق. حـوِّل".**

- ما سمعته صحيح. حوِّل.

- **تتسلق المبنى؟ حوِّل.**

- نعم. حوِّل.

- **الفريق ج يقترب من مدخل شارع ناساو. حوِّل.**

جدفت بزورقي إلى جانب المبنى ورفعت رأسي محدقًا في جدار أسود تمامًا.

"الفريق ب في موقعه عند السلم الجنوبي الغربي. حوِّل".

فتحت حقيبة ظهري وأخرجت عبوة ناسفة للأبواب -قطعة محشوة بمادة سي فور شديدة الانفجار في حجم قالب حلوى بها جهاز لضبط الوقت وغطاء تفجير. دسستها في جيبي، ثم فككت أربطة حذائي، وربطت الفردتين معًا، وعلقتهما في حقيبة ظهري.

كنت أعرف أن السلالم -خاصة المداخل والطوابق الأدنى- ستكون تحت المراقبة ولعلّها مفخخة. في اللحظة التي يضع فيها أحدهم قدمه داخلها، ستعرف كارا. سيكون الوصول إليها سباقًا مجنونًا عبر جنبات مبنى مظلم أشبه بالمتاهة وكل أنواع المصائب القذرة تنتظر في الأركان. لكن لو استطعت الوصول إلى الداخل أولًا، والدخول من سلم عالٍ فوق الطوابق الأدنى، قد تكون لديَّ فرصة للوصول إليها من دون كشفي.

"الفريق د في موقعه عند السلم الجنوبي الشرقي. حوِّل".

ارتفع الماء إلى منتصف الطابق الأرضي. وقفت بحرصٍ على الزورق، الذي تأرجح تحت ثقلي.

رفعت ذراعيَّ، وقبضت على عارضة عمودية تفصل مقصورات النوافذ البارزة. كانت شريطًا عرضه ثلاث بوصات من الألمونيوم

الأسود الخشن، وهي العنصر الوحيد في البناء الخارجي الذي أمكنني الإمساك به فعليًا.

رفعت جسدي، قابضًا على العارضة العمودية بكلتي يديَّ، وقدماي الحافيتان متمركزتان على الزجاج البارد. مددتُ يدي اليسرى فوق اليمنى، وضغطت الدعامة، ثم اندفعت إلى المَقبض التالي.

بعد ثلاث حركات متطابقة، وصلت إلى أول مَقبض أفقي - حافة هزيلة عند قاعدة مقصورات نوافذ الطابق الثاني. لم تكن بالشيء الكثير، لكني استطعت أن أغرس أصابعي في فجوة عرضها نصف بوصة، ومنحت عضلات عضدي ثلاثية الرؤوس استراحة.

"الفريق أ في موقعه عند السلم الشمالي الغربي. حوِّل".

"الفريق ج في موقعه عند السلم الشمالي الشرقي. حوِّل".

قال نويز: **"كل الفرق مستعدة. حوِّل".**

تابعت التسلق، يدًا فوق يد، على قطعة المعدن العمودية. كنت أعرف أني قوي، لكني لم أكن قد اختبرت تحسيني إلى هذا الحد. في حياتي قبل ذلك، لم أكن لأنجح في تسلق طابق واحد من هذا المبنى، لكني الليلة تسلقت الطوابق الثلاثة الأولى بسلاسة ومن دون جهدٍ.

فقط عندما وصلت الطابق الخامس لاحظت أول رعشة إعياء عضلي في عضدي، كنت أعرف أنه سيكون بخيرٍ. كان الإجهاد الحقيقي يزداد في العضلة المقربة لإبهامي، والعضلات بين الأصابع، والعضلة المثنية القصيرة للإبهامين... أي عضلات الأصابع واليدين المنخرطة في القبض والضغط.

جاء صوت نويز عبر سماعة أذني: **"لوجان، كيف يسير بنا الحال يا صاحبي؟ حوِّل؟".**

سمعت التوتر في صوتي وأنا أجيبه: "صعدت خمسة طوابق، أحتاج إلى التركيز الآن. انتهى".

ألقيت نظرة سريعة إلى أسفل، مقصيًا إلى ضوضاء الخلفية ذلك الجزء من وعيي الذي أراد أن يصرخ لمرأى المسافة الباعثة على التقيؤ بيني وبين الزورق الضئيل. رفعت ذراعي مرة أخرى، قابضًا على العارضة العمودية، ومشطا قدميَّ الداخليان يزحفان على الزجاج بينما أصعد من الطابق السابع إلى الثامن.

كان العرق ينساب على ظهري وساقيّ ويقطر من كعبيَّ. تشبَّثت مرة أخرى بالحافة الفولاذية القاسية ذات النصف بوصة عرضًا، وعضلات سمانتيَّ ترتعش. كانت مستويات الجلوكوز لديَّ، التي تغذي عضلاتي، تنخفض بشكلٍ خطيرٍ، دافعة إياي نحو التداعي بفعل نقص السكر في الدم. ورغم أن عضلات عضدي وصدري كانت مشتعلة، فإنها لم تكن بالمشكلة الحقيقية، بل كانت أصابعي، كانت تقترب من نهاية قدرتها على إبقائي على هذا الجدار. ولم يكن الألم هو المشكلة، كان يمكنني أن أُقصي هذا الألم، لكن في النهاية -بالألم أو من دونه- ستنهار عضلات وأوتار أصابعي ببساطة.

نظرت إلى أسفل.

ستكون سقطة من ارتفاع 37 مترًا إلى عمق ستة أقدام من الماء. كان وزني أربعة وثمانين كيلوجرامًا، سأسقط في 2.75 ثانية. ستكون السرعة عند التصادم 26.93 مترًا في الثانية، 96.95 كيلومترًا في الساعة. 30.458 جول من الطاقة عند التصادم؛ النجاة غير محتملة لكن ممكنة، رغم أن ستة أقدام من الماء ليست شيئًا. لن تمنعني من الارتطام بسرعة كبيرة بالرصيف الغارق.

ساقان مكسورتان بالتأكيد - وربما أغرق.

رفعت رأسي ناظرًا إلى واجهة المبنى، التي بدت كأنها تمتزج بسماء الليل، كنت آمل أن أصل إلى الطابق العاشر، لكن أصبح الأمر إما الآن وإما لن يحدث أبدًا.

مددت يدًا في جيبي، وأنا متعلق بيدٍ واحدة الآن بالمبنى، محاربًا موجة أخرى من التقلصات العضلية وأنا أُخرج عبوة السي فور وأنتزع بحرصٍ الغطاء اللاصق بأسناني.

بيدٍ واحدة، ضبطت جهاز ضبط الوقت فوق غطاء التفجير على ثلاثين ثانية، كنت أود مزيدًا من الوقت كي أتسلق بعيدًا عن العبوة، لكني حسبتُ أن ما تبقَّى فيَّ من قدرة على التشبث بالمبنى 140 برودواي يكفي لأقل من دقيقة.

شغَّلت عدَّاد الوقت وألصقت العبوة بالنصف الأسفل من نافذة الطابق التاسع. حتى هذه اللحظة، كنت أمسك مخزوني من الأدرينالين، عارفًا أني سأحتاج إليه في النهاية، والآن سمحت للخوف بالتسلل إليَّ، قليل من الذعر الأعمى، ومعه ما أحتاج إليه من الأدرينالين كي لا أسقط.

نزلت أربعة عشر قدمًا إلى الطابق التالي، وأمسكت بقبضتيَّ الاثنتين العارضة العمودية.

كاد الانفجار يطيح بي من المبنى، لكني قاتلت كي أتشبَّث به، والزجاج ينهمر عليَّ، وقبضتي تنفلت.

مددت ذراعي نحو المَقبض التالي، ضاغطًا بكل ما في كياني، ضاغطًا بقوة شديد حتى إني خشيت أن أكسر أصابعي، وظللت أتسلق، والعرق يجري سائلًا على وجهي، لاسعًا عينيَّ، واستطعت أن أرى الثقب المفتوح الذي فجرته العبوة في جانب المبنى. كانت قد لوت بعض المعدن في الأشكال الأفقية التي كانت تدعوني إلى التشبث بها، ولم أثق بها.

ظللت على العارضة العمودية السليمة إلى أن صارت فتحة الطابق التاسع في المتناول. اعتمادًا على يدي اليسرى التي ضغطت بأقوى ما لديّ، قذفت نفسي إلى الطابق التاسع، والزجاج يحزّ في ساعدي الأيمن وأنا أتشبث بالحافة، وقدماي تتدليان في الفراغ المفتوح.

كنت سأقع.

دفعتُ ذراعي اليسرى داخل الغرفة، باحثًا عن شيء، أي شيء، وتشبثت بما بدا أشبه بساق مكتب.

كان أول مَقبض حقيقي منذ غادرت الزورق، ورفعت نفسي فوق الحافة وتدحرجت داخل غرفة مظلمة.

للحظة، رقدت ألهث على الأرضية - ساقاي وذراعاي ويداي كلها ترتعد من الإرهاق والإجهاد. بعد ثلاثين ثانية، اعتدلت في جلستي وفحصت الأضرار التي لحقت بذراعي، برزت ثماني شظايا زجاجية من عضلة عضدي الأيمن - اثنتان منهم انغرزتا بعمقٍ في عضلة الساعد. مددت يدي داخل حقيبة ظهري، وأخرجت لفة من الشريط اللاصق. اقتطعت قطعة طويلة، ألصقتها بالمكتب، وبدأت أنزع الزجاج، سال الدم على ذراعي. لاح الألم منذرًا، فأقصيته بعيدًا. وعندما أخرجت الشظية الأخيرة الأعمق، ضغطت الجروح معًا بحرصٍ ولففت ساعدي كله بالشريط اللاصق على أمل أن يلملم الوضع إلى أن أتمكّن من خياطة جروحي بشكلٍ صحيحٍ.

ارتديت جوربي وحذائي من جديد، متسائلًا إن كان أحد من الطوابق الأعلى مني قد سمع صوت الانفجار.

كنت جالسًا فيما بدت أنها مكتبة، محاطًا برفوفٍ مليئة بالمجلدات القانونية. نهضت واقفًا، ووضعت حقيبتي على كتفيّ، ودرت حول مائدة اجتماعات متربّة متجهًا إلى داخل رواق.

ارتديت نظارة الرؤية الليلية. أمامي مباشرة قام مكتب استقبال، مررت بصفٍّ المصاعد المعطلة إلى الجانب الشمالي من المبنى.

كنت في الطابق التاسع، وكان المختبر فوقي بخمسة وعشرين طابقًا، وكان لديَّ أربع مجموعات من السلالم كي أختار منها.

انعطفت يسارًا، واتجهت إلى السلم الشمالي الغربي.

انقضت سبع عشرة دقيقة وتسع وعشرون ثانية منذ بدأت صعودي، جذبت مسدسي عندما اقتربت من باب السلم.

فتحته ببطء.

ظلام تام.

دون ضوء محيط تعمل به، كانت نظارة رؤيتي الليلية بلا فائدة. اتجهت إلى أقرب مكتب، وعندما تناولت دبَّاسة أوراق من المكتب، أزَّ هاتفي في جيبي، أخرجته - إدوين يتصل.

قلت: "أهلا..".

"أين أنت؟" ثمة خطب ما.

- لماذا؟
- **هل أنت في المبنى؟**
- نعم.
- **هناك فريق ثان في الطريق.**
- لماذا؟
- **سيهبطون على السطح...**
- لا، لا يمكنك أن تسمح بهذا...

"أُبلغتُ فقط..." وخفض صوته. **"... لم تعد هذه العملية عمليتي".**

- كيف يمكن هذا؟

"**الفـترة التـي قضيتهـا في فيرجينيـا...**" كان يعنـي الفـترة التـي حبسـني فيهـا داخـل قفـص زجاجـي. "**كان هنـاك مقطـع فيديـو، اكتشـفه النـاس، أنـاس أعـلى بكثيرٍ مـن درجتـي الوظيفيـة والماليـة. ظننـت أننـا لـو تحركنا بسرعـة في هـذا الأمـر، يمكننـا أن نبقـى بعيـدًا عـن الـرادار، لكـن مـن الواضـح أني أسـأت حسـاباتي، كانـوا يراقبوننـي، ولم تكـن لـديَّ فكـرة**".

لا بـد أنهـا وزارة الدفـاع، هـل كانـوا يبحثـون عنـي أنـا وكارا طـوال هـذا الوقـت؟ إن التطبيقـات العسـكرية للبـشر المحسَّـنين كانـت دائمًـا مـن أحـلام وكالـة مشـاريع البحـوث المتطـورة الدفاعيـة، التـي هـي بشـكلٍ مـا أحـلام مرعبـة أكـثر مـن خطـة كارا، عـلى الأقـل أتـت دوافعهـا مـن منطلـق الرغبـة في مسـاعدة نوعنـا، أرادت أن تحسِّـن الجميـع، ولـديَّ حـدس بـأن حكومتنـا لـن تتخـذ هـذا المسـلك المتكافـئ.

- **هم على وشك الدخول بعنفٍ.**

"من؟" لم يجب إدوين. "إدوين، قل لي من سيواجهني".

"**قـوة جـي تي إف السـوداء**" اللعنـة! إنهـا وحـدة قـوة المهـام المشـتركة الداخليـة المكونـة مـن ضبـاط سـابقين في فـرق دلتـا، وفريـق سـتة مـن القـوات الخاصـة البحريـة، والعمليـات الخاصـة بالجيـش، وغـزاة البحريـة، وضبـاط إنفـاذ القانـون الفيدراليـين مـن مجموعـات مثـل فريـق إنقـاذ الرهائـن بمكتـب التحقيقـات الفيـدرالي، باختصـار هـم نخبـة النخبـة.

سألته: "استخلاص هدف عالي القيمة؟".

- **أعتقـد مـن الأمـن افـتراض أنهـم يريدونكـما أحيـاء، أنتـما الاثنـان، ومـا صنعتـه كارا أيًّـا كان. أريـدك أن تعـرف يـا لوجـان، أنـا لم أبعـك، لم تكـن لـديَّ فكـرة...**

- كم العدد؟

- **هم عادة يتحركون في فرق من ثمانية أفراد.**
- وماذا عن فريق التدخل السريع؟ بدوا بخيرٍ عندما..
- **لم يعودوا يعملون تحت إمرتك. أنا آسف. قوة جي تي إف السوداء على مبعدة ست دقائق، لذا أيًّا ما كنت تخطط له، افعله بسرعة واخرج من هناك.**

انقطع الخط.

بعد خمس ثوان، أتى صوت آخر عبر سماعتي.

"لوجان، معك نويز. هل دخلت؟ ما هو موقفك؟ حوِّل".

استطعت أن أميز الخداع في صوته، كان في صوته شيء يشبه السم في العسل، انتزعت سماعة أذني وألقيت بها مع جهاز اللا سلكي من وراء كتفي.

فتحت الباب المؤدي إلى السلم، ووضعت الدباسة عند عضادة الباب. عندما أضأت الكشَّاف وسلطته على مجموعة السلالم التالية، سمعت وقع أقدام وصوت نويز يتصاعد من تحتي بستة طوابق.

"أعتقد أنه كشفنا، كما أننا اصطدمنا للتو بـ..." فاتتني بعض الكلمات "... الطابقين الثالث والرابع، سنهبط لنجرب طريقًا آخر".

عندما بدأوا يتحركون من جديدٍ، أضأت الكشاف وانطلقت صاعدًا السلالم، محاولًا أن أمنع تردد صدى وقع أقدامي داخل عمود الخرسانة.

عندما عبرت بسطة الطابق الرابع عشر، اهتز المبنى، سمعت صوتًا يشبه رعدًا بعيدًا، وطفت ذرات الغبار في شعاع الضوء. ألقيت نظرة إلى أسفل، لم أرَ نارًا ولا سمعت أي صرخات. أيًّا كان ما انفجر فقد حدث في سُلَّم آخر، وإذا لم تكن كارا قد علمت بوجودنا قبل ثانيتين، فقد علمت الآن.

طرت صاعدًا السلالم.

.17

.18

.19

.20

أربع دقائق وتهبط قوة جي تي إف السوداء على السطح، لن يهم كم يحملون من عتادٍ، لن تكون أمامهم أي فرصة أمام رفاق كارا من القوات الخاصة المحسَّنة. الأسوأ من هذا، أن كل هذه الفوضى القادمة لن تساعد إلا على إبطائي وتوفير غطاء لهروب كارا.

.24

.25

.26

شممت رائحة غريبة في الهواء - أكان هذا قطران؟

.27

لمع شيء في الضوء أعلاي. أبطأت حركتي إلى هرولة، وتوقفت أخيراً عند البسطة بين الطابقين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين.

كانت الرائحة أقوى هنا.

لفات من الأسلاك الشائكة امتدت من درابزين إلى درابزين ومن الأرض إلى السقف، مثل زينة للكريسماس في الجحيم، والتمعت أمواس في الظلام. مما استطعت رؤيته، كانت تمتد صاعدة مجموعة كاملة من السلالم.

عرفت ما كنت أشمه، مادة سي فور شديدة الانفجار المعبأة داخل الغلاف الأخضر الزيتي للغم الأفراد، على مبعدة ستة أقدام فقط من مكان وقوفي، على البسطة، لغم يجثم على حامل وأسلاكه تمتد تحت الباب المؤدي إلى الطابق التاسع والعشرين. في مواجهتي الجسم الأساسي للغم الذي يجري التحكم فيه عن بُعد. كان يضم ما يقرب من 1.5 رطل من مادة سي فور و700 كرية فولاذية. بعرض واجهته، استطعت أن أقرأ تلك الكلمات: مُوجَّه نحو العدو.

استدرت وجريت، هبطت قافزًا إلى البسطة التالية وتابعت نزولي عدوًا إلى أن وصلت باب الطابق السادس والعشرين.

موصد.

أخرجت عبوة أخرى ناسفة للأبواب من حقيبتي، وألصقت العبوة قرب المقبض، وضبطت عدَّاد الوقت على عشرين ثانية، وجريت هابطًا إلى الطابق الرابع والعشرين.

بعد الانفجار القابض للصدر، عدت إلى الطابق السادس والعشرين. كان الباب قد أطيح به لمسافة خمسة عشر قدمًا داخل الطابق التالي. خطوت عبر الحطام، وعيناي تدمعان من رائحة السي فور الثقيلة المكونة من القطران وزيت المحركات.

كان بمقدوري هنا الرؤية من دون كشَّاف. كان الطابق في أغلبه مساحة مقسمة إلى مقصورات، به بضعة مكاتب وغرف اجتماعات على طول الجدران الخارجية. أسرعت إلى السلم الشمالي الشرقي، وفتحت الباب. أضاء الكشاف عبر طبقة كثيفة من الدخان، وكانت هناك رائحة أخرى في الهواء: الرائحة الحلوة المثيرة للغثيان للحم متفحم.

أعلاي بأربعة طوابق، رأيت التماع المزيد من الأسلاك الشائكة.

عدت جريًا عبر صفٍّ من المقصورات.

لم يكن هناك دخان في السلم الجنوبي الشرقي، لكنني سمعت أصواتًا بعيدة بالأسفل ورأيت المزيد من الأسلاك تسد السلم أعلاي بعدة طوابق.

عندما جريت نحو السلم الأخير، تعجبت من تخطيط كارا. لقد شيدت حاجزًا مهلكًا بينها وبين أي خطر، لكن كي تخرج من هذا المبنى، سيتوجب عليها أن تشق طريقها نزولًا على هذه السلالم، وتقاتل المهاجمين على طول الطريق. ولا شك أن وزارة الدفاع -أو أيًّا كان من أرسلوه لمطاردتنا- سيكون لديها تعزيزات تحرس المداخل أيضًا. على الأقل، سيكون هناك قناصة من فرق التدخل السريع رابضين يراقبون.

حتى لو مضت كل الأمور بخيرٍ معي، سأواجه نفس المشكلة.

أراهن أن كارا لديها سبيل للهروب تخفيه في جعبتها، فتحة مصعد؟ سُلَّم سري ما لم يكن موجودًا في الرسومات الهندسية؟ إذا لم يكن لديها -أو إذا لم أستطع تصوره في الوقت المناسب- ستكون هذه مهمة انتحارية.

دقيقتان -لو كان ما أخبرني به إدوين هي الحقيقة- قبل وصول قوة الجي تي إف السوداء.

خطوت إلى السلم الجنوبي الشرقي.

لا دخان. لا ضوضاء. لا أسلاك أعلاي مباشرة.

طرت فوق السلالم، شاقًّا طريقي عبر الطابق 28.

.29

.30

انفجـرت طلقـات نارية في مـكان مـا مـن المبنـى، ضجـة إطـلاق نـار مـن بندقيـة آليـة، ثـم انفجـار آخـر، لا أعـلاي ولا أسـفلي، بـل في موضعـي حرفيًـا.

تابعت الصعود.

عبر الطابق 31.

.32

أنـا عـلى مبعـدة طابقـين فقـط، وكنـت أفتـش بدقـة، لكنـي لم أرَ خطـرًا - لا أثـر لأسـلاك أو متفجـرات.

تـسرب الضـوء مـن حـول شـقوق البـاب المـؤدي إلى الطابـق 34. أكان مجهـزًا للانفجـار؟ ضغطـت وجهـي عـلى حـواف البـاب واستنشـقته - لا أثـر لتلـك الرائحـة لزيـت المحـركات.

ستهبط فرقة الجي تي إف السوداء خلال دقيقة.

أمسكت مقبض الباب، وحاولت أن أديره.

موصد، وستكشف عبوة نسف الأبواب وجودي.

لكـن هـذا السـلم هـو سُـلَّم الحريـق، يمكـن أن تكـون الأبـواب موصـدة مـن الخـارج، لكـن مـن الداخـل لا بـد أن تكـون سـهلة الفتـح في حالـة حـدوث أي طـارئ. عـادةً، كان هـذا يتحقـق بواسـطة مستشـعر ريكـس (طلـب الخـروج) عـلى الجهـة الداخليـة مـن البـاب، الذي يسـتخدم الأشـعة تحـت الحمـراء السـلبية لكشـف التغـيرات في درجـة الحـرارة بالقـرب مـن البـاب. إذا كشـف المستشـعر تغـيرًا في درجـة الحـرارة -بسـبب اقـتراب شـخص مـا- ينقـل رسـالة لفتـح قفـل البـاب.

كلمة السر إذن هي **التغير** في درجة الحرارة، وليس بالضرورة زيادتها.

نبشت في حقيبتي، وعثرت على أسطوانة الهواء المضغوط. مزّقت غلافها، وأدخلت الشفاطة في الفوهة، ونزلت على الأرضية، آملًا أن يكون هناك فراغٌ كافٍ بين أسفل الباب والعتبة لتمرير الشفاطة عبره.

وجدت كسرة صغيرة في العتبة، اتسعت لمرور الشفاطة، وأمسكت بالعلبة مقلوبة. لو رششتها معتدلة، لن ينطلق إلا بخار الفلوروكربون في أعلاها. لكن عند قلبها، يُجبر السائل على الخروج. وهذا السائل، تحت الضغط الكبير، يتبخر بسرعة وينتشر ليصبح غازًا في درجة حرارة الغرفة.

والأمل أن تبرد العملية الديناميكية الحرارية للتبريد ثابت الحرارة تلك المنطقة المباشرة على الجهة الأخرى من الباب و-إذا كنت محقًّا في كل هذا- تخدع المستشعر كي يعتقد أن شخصًا ما يقترب من الجهة الأخرى.

ضغطت الزر، واستمعت لصوت السائل وهو يفح خارجًا في الناحية الأخرى، والعلبة تبرد في يدي.

خلعت نظارة رؤيتي الليلية، ومددت يدي، وأمسكت بمقبض الباب.

دار هذه المرة.

خطر لي أنه ربما يكون هناك أيضًا مستشعر ثانوي في الباب نفسه، بحيث إنه لو فُتح ينقطع الخط بينه وبين مستشعره الآخر على جدار مواجه ويطلق إنذارًا - شيء في بساطة رسالة هاتفية لكارا وفريقها الأمني.

لا شيء يمكنني أن أفعله حيال ذلك، لا وقت لديَّ.

عندما فتحت الباب ببطء، سمعت إطلاق نار من بندقية آلية في مكان مرتفع بالأعلى، تبعته تلك الضجة المكتومة المتواترة لرشاش آلي.

وبعد ذلك صوت انفجار مزلزل.

اندفعـت إلى الضـوء، رافعًـا مسـدسي، ومصابيـح الفلورسـنت تتوهـج عـبر ممـر أبيـض، وشيء مـا يجـذب انتباهـي إلى اليسـار...

التفـت في الوقـت المناسـب تمامًـا لأرى مروحيـة بـلاك هـوك محترقـة تسـقط أمـام جـدار مـن النوافـذ، ومراوحهـا مـا زالـت تـدور، قاطعـة واجهة المبنـى في طوفـان مـن الزجـاج المتفجـر والمعـدن المشـقوق، والطيـارون يصرخـون في مقصـورة القيـادة - ثـم اختفـت.

بعـد 3.8 ثانيـة، هـزَّ انفجـار المبنـى بينـما المروحيـة تتهشـم في شـارع سـيدار.

وانطلقـت مهـرولًا في الممـر مـارًّا بحجـرات مليئـة بـالأسرَّة النقالـة والمعـدات الطبيـة، متسـائلًا إن كان هـذا هـو المـكان الـذي أعطـت فيـه كارا لمجموعتهـا التجريبيـة الفيروسـية تحسـينها التجريبـي لأول مـرة.

عـلى الناحيـة الأخـرى مـن المصاعـد، رأيـت مفاعـلًا حيويًـا مـن الفـولاذ الـذي لا يصـدأ.

أعمدة زجاجية.

أجهزة طرد مركزي.

تسـللت داخـل مختـبر ممتـد شـغل النصـف الشرقـي مـن الطابـق الرابـع والثلاثـين، غـير قـادر عـلى الفـكاك مـن فكـرة أن كارا قـد رحلـت بالفعـل.

بامتـداد الحائـط البعيـد كلـه، كانـت الرفـوف الحاملـة للخـوادم تطـن بهـدوء. خلـف بـاب معـدني، اسـتطعت أن أسـمع الطنـين المكتـوم الأعـلى للمولـدات التـي تمـد المختـبر بالطاقـة.

مـررت بجـوار ثلاجـة درجـة حرارتهـا -80 درجـة مئويـة، ثـم مجمِّديـن بمعـدل خاضـع للسـيطرة.

مـن خـلال رائحـة المذيبـات القويـة، التقطـت رائحـة مألوفـة - نفـس رائحـة الشـامبو الـذي كانـت كارا تسـتخدمه في بيـت أمنـا في كولـورادو.

سـمعت شـيئًا وراء المنعطـف التـالي: طقطقـة معدنيـة ناعمـة، مـن حقيبتـي أخرجـت عبـوة أخـرى ناسـفة للأبـواب وضبطـت عـداد الوقـت عـلى ثـلاث ثـوان.

استرقت النظر من وراء الزاوية.

كانـت كارا تقـف أمـام خزانـة أمـان للاختبـارات الحيويـة الدقيقـة، وظهرهـا لي، وهـي تعبـئ بجنـون مـا بـدا أنهـا محاقـن ذاتيـة في حقيبـة ظهـر صغـيرة. إلى جوارهـا كانـت مادلـين أورتيجـا، تمسـك رشاشًـا خارقًـا للـدروع يسـتدير في اتجاهـي بالفعـل، التقـت أعيننـا، وومضـت عيناهـا بالدهشـة.

لكن كانت لها الأسبقية.

لم أتمكن من رؤيتها قبل...

اندفعـت عائـدًا وراء الزاويـة بينـما الرصاصـات المخترقـة للـدروع عيـار 4.6×30 ملـم تمـزق الجـدار بمعـدل 950 طلقـة في الدقيقـة. كانـت لغـة جسـد مادلـين تـدل عـلى أنهـا سـتأتي ورائي، لـذا شـغَّلت عـدَّاد عبـوة نسـف الأبـواب، وألقيتهـا وأنـا أجـري.

ثلاثة.

اثنان.

عندما اقتربت من المصاعد، ألقيت نظرة ورائي.

واحد.

رأيت مادلين تستدير عند الزاوية، وترفع رشاشها.

ثـم اختفـت في انفجـار سـاطع مـدوٍ، والتفـتُّ إلى صـف المصاعـد بينـما كانـت كارا تنطلـق كالسـهم عـبر الممـر إلى جهـة الشـمال.

إلى أين هي ذاهبة؟

لا يمكـن للسـلم الشـمالي الشرقـي أن يوصلهـا إلى الطابـق الأرضي. ولا يسـتطيع ذلـك السـلم الجنـوبي الغـربي أو الشـمالي الغـربي. كلهـم بهـم حواجـز بـين الطابقـين الثلاثـين والثـاني والثلاثـين. سـيتوجب عليهـا أن تأخـذ السـلم الجنـوبي الشرقـي إلى الطابـق السـادس والعشريـن، ثـم تقطعـه إلى السـلم الشـمالي الغـربي، وتهبـط إلى الطابـق السـادس، ثـم تقطعـه إلى السـلم الجنـوبي الغـربي، الـذي كان السـلم الوحيـد بـلا أسـلاكٍ ولا ألغـامٍ في أول سـتة طوابـق.

إذا كانـت متوجهـة إلى أسـفل، سـأحتاج إلى انتظارهـا في السـلم الجنـوبي الشرقـي، الـذي سـيتوجب عليهـا أن تمـر منـه، لكـن لم يبـدُ هـذا صحيحًـا. حتـى لـو تجاوزتنـي، سـيكون مـن السـهل للغايـة عـلى القـوات أن تحيـط بمخـارج المبنـى الأربعـة في الطابـق الأرضي.

لكنهـا لـو صعـدت إلى أعـلى، سـتضع نفسـها في المصيـدة فقـط ... أليـس كذلك ؟

لا. اللعنـة، طبعًـا. كانـت تتوجـه إلى أعـلى، كل شيء يبـدو منطقيًـا الآن. عرفـت إلى أيـن هـي ذاهبـة، ومـا كانـت تحـاول أن تفعلـه، ولم يكـن لـديَّ وقـتٌ طويـلٌ لمنعهـا.

اسـتدرت، واندفعـت عائـدًا عـبر الممـر نحـو الزاويـة الجنوبيـة الغربيـة مـن المبنـى، قافـزاً فـوق مـا تبقـى مـن مادلـين أورتيجـا.

على مبعدة عشر ثوان من السلم، انفجر الباب.

ميـزت نويـز وبرانـدز عـبر واقيـي وجهيهـما، كانـا واقفـين في المدخـل، وكنـت أسـتوعب كل شيء في نفـس اللحظـة:

عينا نويز تتسعان في الدخان المنقشع.

براندز يرفع بندقيته الهجومية.

دماء مادلين تسيل على الجدران.

كل شيء تتباطأ سرعته.

كان يمكنني أن أرديهما أرضًا في أقل من ثانية، لكني لم أرغب في قتلهما؛ هذان شرطيان أوقظا من سريريهما في منتصف الليل، ولا فكرة لديهما عمَّا تورطا فيه.

كنت ما زلت أجري نحوهما، وقد مرت نصف ثانية منذ فجَّرا الباب وخلعاه من مفاصله، وتخطيط الطابق الرابع والثلاثين يتوهج في بؤرة عين عقلي - أمامي مباشرة، يجب أن يكون هناك رواق يقطع الطابق.

أسند براندز بندقيته إلى كتفه بإحكامٍ، وصوَّب -مترددًا- نحو ساقيَّ، وجذب نويز مسدس إكس 30 من خاصرته، سلاح عسكري بذخيرة غير فتاكة يطلق رصاصات شبيهة بالصواعق الكهربائية.

انحرفت يسارًا -في أقل مراوغة ممكنة- ورأيت براندز ونويز يستجيبان بصورة مبالغة، وميض الفوهة ينفجر من البندقية الهجومية في وردة من نار، والطلقات تخدش الجدار، وعندما دفع الارتداد كلا الرجلين ليخل بتوازنهما قليلًا، اندفعت يمينًا في الرواق الآخر.

ضيِّق.

مصابيح الفلورسنت ترتعش.

أربعة مداخل إلى اليسار، أربعة إلى اليمين.

أول بابين ينفتحان على مكتب وخزانة تخزين، بالترتيب، والثالث حجرة استراحة، غطست داخلها.

منضدتـان دائريتـان، مطبـخ صغـير، مُـبرِّد ميـاه، رائحـة قهـوة قديمـة محروقـة وشيء يتعفـن في صفيحـة قمامـة.

وقفت عند العتبة تمامًا. ووقع أقدامهما يقترب.

انفتح باب وانغلق.

ثم باب آخر.

نويـز يقـول: "وجدنـا لوجـان في الطابـق الرابـع والثلاثـين، اصعـدوا إلى هنـا إذا اسـتطعتم، نحـن مشـتبكون".

بدلتاهما الواقيتيان تخشخشان.

اقتربا الآن.

قـال برانـدز: "غـطِ هـذا البـاب، سـأفتحه.." ومـن الأسـلوب الـذي حملـه صوتـه، اسـتطعت تمييـز أنهـما يهاجـمان حجـرة في الجهـة المقابلـة مـن الـرواق، مـا يعنـي أن ظهريهـما الآن سـيكونان في مواجهتـي.

اندفعتُ خارجًا من حجرة الاستراحة.

وانقسم وعيي...

أخذتهـما عـلى حـين غـرة، التفـت نويـز نحـوي بإيقـاعٍ زاحـفٍ، وأنـا أسرع نحـوه، مـادًا يـدي -ليـس نحـو السـلاح- وإنمـا نحـو إصبـع نويـز عـلى الزنـاد، لأكسره بينـما كان هـو يصـوب نحـوي، وبرانـدز متخلـف عنّـا بدهـورٍ - اسـتطعت أن أرى الرعـب البـازغ ببـطء في عينيـه عندمـا أدرك أنـه خُـدع خدعـة بذيئـة. صرخ نويـز بينـما كنـت أخطـف منـه الإكـس 30، وأنحنـي لأراوغ لكمـة سـاحقة، وأُطلـق النـار عـلى سـاقه مـن مسـافة شـديدة القـرب لأتجنّـب أي درع للجسـد. وإذ ينحنـي ألمًـا ويتعـثَّر سـاقطًا، أتجنَّـب بخفَّـة طلقـة برانـدز الطائشـة وأُطلـق النـار عـلى سـاقه أيضًـا. التـوى الرجـلان بعنـفٍ عـلى الأرض، والطلقـات المكهربـة تقطـع التيـار عـن نظـام جسـميهما. أنتـزع قيـودًا بلاسـتيكية لاصقـة مـن حقيبـة خـصر نويـز،

وبسرعة أقيد رسغي وكاحلي كل واحد منهما، آملًا أن يكون ما زال لديَّ وقت كي أوقف كارا.

كان السُلَّم الجنوبي الغربي مضببًا بالدخان.

أضأت الكشاف وأسرعت صاعدًا الدرجات.

عندما وصلت البسطة بين الطابقين السادس والثلاثين والسابع والثلاثين انفتح بقوة الباب المؤدي إلى الطابق الثامن والثلاثين، أي أعلى مني بطابقٍ ونصف. أخفيت كشافي، ولمحت ضوء كشاف آخر يمسح الجدران بخطوطه، وسمعت طقطقة وقع خطوات أختي في سرعة البرق تندفع نحو السماء.

تبعتها بحرصٍ.

سمعت بابًا ينفتح مصدرًا صريرًا.

واختفى ضوؤها.

شعرت بالثقة بأنها غادرت السلم في الطابق الأربعين، وعندما وصلته، فتحت الباب بهدوءٍ وانزلقت عبره، بالضبط في الوقت الذي انغلق فيه باب السلم الشمالي الغربي بصوتٍ مجلجلٍ.

جريت عبر الطابق الأربعين.

تعرَّقت مرة أخرى، ومررت بمكاتب مهجورة، وحجرة نسخ أوراق، ودورات مياه، إلى أن وصلت باب السلم الشمالي الغربي.

جذبته لأفتحه على صوت وقع أقدام تصعد أعلاي. أضاءت الجدران ومضاتٌ متقطعة من كشاف أختي، لكنني لم أطاردها هذه المرة، أنصتُ فقط وأنا أحسب الطوابق بينما هي مستمرة في الصعود.

.42

صغتُ صورة لتقدمها في صعود الدرجات بناء على سرعة وقع أقدامها.

.43

.44

سمعت بابًا ينغلق ويوصد بقفلٍ؛ لقد غادرت السلم في الطابق الرابع والأربعين، وعرفتُ أنها لن تصعد أكثر من هذا، لم تكن بحاجة إلى هذا.

جريت بطول المبنى كله، عائدًا إلى السلم الشمالي الشرقي، وبينما كنت أصعد نحو الطابق الرابع والأربعين، سمعت وقع أقدام حذاء ثقيل على الدرجات أعلاي وصوتين مختلفين يحملهما الهواء إلى أسفل.

هل نجح بعض أعضاء قوة الجي تي إف السوداء في الخروج من المروحية؟ لأن هذا كان شيئًا يمكن التعامل معه. لكن لو كان هذان من رجال كارا...

أرهفت أذناي لسماع الصوتين.

أحدهما يقول: "... آمنًا، سنراك هناك، نعم، سنكون بخيرٍ".

عرفت ذلك الصوت، وافق الصوت الذي سمعته في أثناء تصفح وسائل التواصل الاجتماعي الليلة - فيديو لديشوان براون قبل عام في حفل عيد ميلاد ابنته الأصغر، وهو ما يجعل الشخص الآخر رودني فيانا، الشرطي السعيد في زواجه القادم من أوهايو، كلاهما من القوات الخاصة بعد التحسين.

كنت أحاول أن أفكر كيف سأتخلص منهما. كانت الفرص أكثر من متكافئة، لكن ليس كثيراً، في جميع الاحتمالات، سأقتل واحدًا منهما وسيقتلاني، فتدريبهما الأصلي يمنحهما ميزة هائلة.

لذا لن أحاول التخلص منهما.

أطفأت كشافي، وأنا في حاجة إلى تسريع كل شيء الآن أكثر من أي وقت مضى.

وقـع الأحذيـة الثقيلـة، إيقاعـان مختلفـان، الرجـل الأخـف وزنًـا والأقـصر قامـة في المقدمـة.

رائحتهـما تسـبقهما: ملـح وأضعـف آثـار عطـر مـا -أولـد سـبايس؟- والرائحـة النفـاذة للنتروجلسريـن نتيجـة إطـلاق نـار منـذ قليـل.

أشعة كشافيهما ترسم خطوطًا على الجدران.

وقفـت عـلى البسـطة تحـت الطابـق الثالـث والأربعـين تمامًـا، واسـتطعت أن أرى المسـاحة كاملـة في عـين عقـلي،

كانا على مبعدة خمس عشرة ثانية.

في السـواد الدامـس، صعـدت الدرجـات إلى الطابـق الثالـث والأربعـين، وقفـزت فـوق الدرابزيـن، وتدليـت حتـى تعلقـت في الدرجـة الثانيـة مـن أعـلى - بعيـدًا عـن نظـر أي شـخص يهبـط.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كانا أعلاي بطابقين.

يمرّان الآن بالطابق الرابع والأربعين.

والآن البسطة بين الرابع والأربعين والثالث والأربعين.

ثـم الثالـث والأربعـين، فـردة مـن حذائيهـما تمـر عـلى مسـافة ملليمـترات مـن أصابعـي وأنـا أتشـبث بحافـة الدرجـة. كانـا يهبطـان رأسًـا إلى البسـطة بـين الطابقـين الثالـث والأربعـين والثـاني والأربعـين، وعندمـا وصـلا البسـطة جذبـت جسـدي إلى أعـلى، وأرجحـت سـاقيَّ بنعومـة مـن فـوق الدرابزيـن وابتعـدت تمامًـا عـن خـط رؤيتهـما عندمـا انعطفـا، وقطعـا البسـطة في صمـتٍ، ثـم هبطـا الدرجـات مسـتمرين في نزولهـما عـلى مجموعـة الدرجـات التاليـة.

تأرجـح شـعاع مـن الضـوء نحـوي، عـلى مبعـدة ثانيـة واحـدة، هـل سـمعني أحدهـما؟

انزلقتُ من دون صوتٍ على السلم، مراقبًا الضوء وهو يمر فوق الدرجات التي كنت متمددًا عليها تمامًا، واحتضنت الجدار ملتصقًا به قدر ما استطعت، بلا أنفاسٍ، بلا حركة، ووقع حذائيهما ما زال يهبط.

بعد لحظة، لم يعد بمقدوري أن أرى الأضواء.

انتظرت، متخيلًا تقدمهما، راغبًا فقط في رحيلهما قبل أن...

اندلع صراخ، وومضات فوهات بنادق تضيء الممر تحتي بثمانية طوابق، لقد اشتبكا مع شخصٍ ما. نهضت وجريت صاعدًا إلى الطابق الرابع والأربعين، كان الباب موصدًا، أخرجت عبوة نسف أبواب، وضبطتها على عشر ثوان، وجريت هابطًا إلى الطابق الثالث والأربعين.

انفجر الباب.

اندفعتُ عائدًا إلى الطابق الرابع والأربعين وأسرعت عبر المدخل المفتوح.

كان الطابق مفتوحًا على اتساعه، لا شيء غير المصاعد والسلالم. لقد هُجِر خلال عملية إعادة بناء، تركت وراءها مواسير تكييف الهواء مكشوفة، والأسلاك الكهربائية متدلية من السقف.

رأيت هيكلًا منحنيًا في الطرف الأقصى من المبنى.

ألقيت نظرة ورائي نحو المدخل المنزوع الباب حديثًا للسلم الشمالي الشرقي - خاوٍ.

إحدى عشرة ثانية لأصل إلى كارا.

كانت جاثية تؤمِّن شيئًا ما إلى ظهرها، وعندما رأتني، قفزت واقفة وبدأت تجري، على مسافة ثلاثين قدمًا فقط من نافذة فقدت لوحًا كاملًا من الزجاج.

توقفتُ عند صف المصاعد، على مبعدة ثمانية وتسعين قدمًا، تاركًا وعيي ينقسم والوقت يتباطأ وأنا أسجل الألم في أصابعي، وطلقات الرصاص التي ما زالت تتردد أسفلنا بعدة طوابق، والريح الباردة التي تهب عبر النافذة المفتوحة قادمة من مرفأ نيويورك، وأضواء مدينة جيرسي من بعيدٍ، وشلالًا من انكسارات القلب تجاه ما أنا موشك على فعله، والتي أقصيتها على الفور.

رفعت مسدسي، مركزًا على ساق كارا اليمنى، التي كانت تتحرك الآن ببطء شديد بحيث لم يعد لديَّ شكٌ في هدفي.

أطلقت النار، وسقطت -منزلقة على الأرض نحو النافذة المفتوحة- وبعد ذلك كنت أعدو نحوها مرة أخرى وهي تنقلب على ظهرها، وتواجهني الآن، وفي يدها سلاح، وإصبعها على مبعدة كسر من الثانية من الضغط.

أطلقت النار مرة أخرى، أصبت مركز كتلتها، وراقبتها ترتد إلى الوراء، وذراعاها تسقطان إلى جانبيها، والمسدس يقع من يدها اليسرى مجلجلًا على البلاط.

كانت تمد يدها نحو المسدس عندما وصلتُ، وركلته عبر البلاط الخرساني المصقول ليسقط من إطار النافذة المفتوحة.

كانت ساق كارا تنزف، واستطعت أن أسمع في صوت تنفُّسها أن رئتها اليمنى اختُرِقت؛ مع كل نَفَس كانت تصدر صفيرًا. سال الدم من زوايا فمها، وأجبرتُها على فتح يدها اليمنى. كانت تقبض على صرة قماش أسود، اتصلت بشريطٍ مطويٍّ على شكل حرف S اتصل بالحقيبة التي وضعتها على ظهرها.

كانت عيناها مفتوحتين، تراقبانني، وقد تفصد منهما ألمٌ عميقٌ، ولم أستطع أن أترك هذا الشعور يمسني.

سألتها: «أما زالت هناك بقايا للتحسين الفيروسي في مختبرك؟ شيء يمكن أن تستولي عليه الحكومة و...».

«نعم، لكن المختبر لن يبقى هنا وقتًا أطول كثيراً».

- متى؟

ألقت نظرة نحو ساعة يدها: "اثنتان وتسعون ثانية".

فككتُ شرائط ساقها وصدرها، وكارا تئن بينما أقلبها وأحرر كتفيها. ناورتُ بطريقة خرقاء كي أستل الصديرية كلها من تحت ساقيها. كانت ترتدي حقيبة ماركة تومي على ظهرها، وقد حزمتها إلى صدرها. مزقتها، وفتحتها، وحدقت إلى ما يقرب من مائة محقن ذاتي.

تفحصت الصديرية والحقيبة بحثًا عن آثار دمار بسبب الرصاصة، لم أرَ شيئًا. كانت ما زالت داخل كارا. ارتديت الصديرية، ووضعت الحقيبة على كتفي أخيراً، وأحكمت إغلاق شرائط الساقين، وشددت على شريط الصدر. انعقد الحبل الموصل بين الباراشوت الصغير والحقيبة، وخطوت بعيدًا عن كارا، تاركًا اللجام ينفك ببطء.

"هكذا إذن؟" تساءلتْ، وهي تجاهد بقوة كي تتحدث: "ستتركنا فقط لندمر أنفسنا؟".

بدأت أطوي اللجام من جديدٍ، لا خبرة لديَّ تتجاوز ما رأيته في يد كارا ومقطع فيديو شاهدته مصادفة عن القفز الحر بالمظلات في ليلة ثلاثاء مملة منذ سنوات كثيرة.

رفعت الحقيبة التومي، وحزمتها إلى صدري، وقلت: "لا يمكنك أن تقتلي البشرية لتنقذي البشرية، البشر ليسوا وسيلة لغاية".

أخذت كارا نَفَسا بصعوبة: "لوجان".

- ماذا؟

- لا أستطيع أن أرى شيئًا.

ثمة أصواتٌ في السلم الشمالي الشرقي، كنت بحاجة إلى الذهاب، وبدلًا من ذلك، جلست خلف أختي وجذبتها نحوي، مطوقًا إياها بين ذراعيَّ.

قالت: "لا تتذكرني على هذا النحو.." كانت ترتعش بعنفٍ، واستطعت أن أشعر بدفء دمها الذي يسيل على ساقي، شممتُ رائحته النحاسية. "كنَّا أكثر من هذا".

- أنا لا أراكِ في هذه اللحظة فقط، أراكِ في كل لحظاتك، كل لحظاتنا، كانت لنا بعض اللحظات الطيبة.

قالت: "ثماني عشرة..".

- ماذا؟

سعلتْ دمًا، "كانت لنا ثماني عشرة لحظة مثالية".

فكرت في هذا.

- تسع عشرة.

- كيف نلتَ التاسعة عشرة؟

- بهذه اللحظة، لكني آسف لأن أنالها.

كانت كارا تبكي، كانت تموت وقد تركت دفاعاتها تنهار، واستطعتُ أن أشعر بدفاعاتي تترنح.

أردت أن أقول شيئًا في لحظتنا الأخيرة معًا، شيئًا عميقًا، قالته كارا بدلًا مني، كان أبسط الأشياء لكنه كان كل شيء.

مدَّت يدها إلى الوراء، ولمست يدها وجهي.

- لا يمكنك ألا تفعل شيئًا يا لوجان.

أردت أن أخبرها كم سأفتقدها، كم كنت آسفًا على كل مرة كدت ألتقط فيها سماعة الهاتف لأتصل بها ولم أفعل، آسف لأني لم أكن موجودًا بشكلٍ أكبر في حياتها، لكن الكلمات علقت في حلقي.

انفلتت يدها بعيدًا.

- كارا؟

شعرت بشيء يخرج منها.

أيًا كان هذا الذي أمسك به فهو لم يعد أختي.

أرحتها على الأرض الخرسانية، وأغلقتُ عينيها الخاويتين. رأيتها، ليس في صورة هذه القشرة الجسدية، بل في ذكرى مثالية: في الثانية عشرة من العمر، تركب أمامي على دراجتها عبر الطريق الترابي خارج بيت جدَّينا، كان الوقت أصيلًا، وفي الضوء الذهبي، التفتت إليَّ أنا وماكس، ساخرة منَّا وهي تقول: الحقا بي! تحركا أسرع!

نهضت واقفًا، ومسدسي في يدي، ويدي الأخرى تمسك بالباراشوت الصغير، سرت نحو حافة النافذة عديمة الزجاج ونظرت إلى أسفل.

لقد جاءت كارا إلى هذا الجانب من المبنى لأنه الجانب الوحيد الذي لا تلاصقه ناطحة سحاب أخرى. تطلعت نحو الساحة وبرودواي، وما كان فيما مضى متنزه زوكوتي بارك - واحة على مساحة 33000 قدم في قلب حي المال. أما الآن فهو مجرد بقعة من الأشجار الميتة الغارقة.

كانت ريح قوية ما زالت تهب قادمة من المرفأ، أحتاج إلى بعض السرعة كي أغادر المبنى.

هرولت إلى الخلف أربعين قدمًا من النافذة، وعندما التفت لأواجه مدرج إقلاعي، مرق شيء ما بجوار أذني.

***

كان طوفان من أشخاص يرتدون بدلات واقية يتدفق من السلم الشمالي الشرقي، ارتطم شيء بحقيبتي. انتزعت سهم التخدير، وألقيته جانبًا، وأطلقت اثنتي عشرة طلقة في أقل من ثانيتين، تناثر الجميع، وبعد ذلك جريت.

ثلاثون قدمًا تفصلني عن النافذة.

عشرون قدمًا.

ضرب سهمان آخران الحقيبة.

عشرة.

اندفعت بجوار كارا مفكرًا: هذه هي الصورة الأخيرة التي ستكون لديَّ لأختي إلى الأبد.

قدمان من الحافة، قفزت، خارجًا من المبنى بأقصى سرعة، ووعيي ينقسم...

كان أغرب إحساس في حياتي، أسقط بربع السرعة، معدتي ترتفع في جوفي، الأرض تلوح متجهة نحوي، الريح تسفع وجهي، وبطرف عيني اليمنى، رأيت ضوءًا ينفجر من سطح ناطحة السحاب (وان لايبرتي بلازا). قناص.

كنت قد قطعت ثانيتين فقط من الثواني الـ 6.18 التي سأستغرقها لأصطدم بالأرض عندما ألقيت الباراشوت الصغير أمامي. اختفى، والساحة ما زالت تتسارع نحوي وشريان أساسي من الذعر الحيواني ينتفض داخلي وأنا أنتظر كي ينفرد الباراشوت، متسائلًا إن كانت السهام قد مزقته.

انقلبت إلى أعلى - وأنا ما زلت أهبط، لكن بعد ذلك الجزء الصغير من السقوط الحر بدا كأني أتحرك أفقيًّا إلى الأرض. دوَّت

الطلقات من خلفي، وومضت بندقية القناص مرة أخرى وأنا أنزلق فوق برودواي وأشجار متنزه زوكوتي الغارق.

رفعت ذراعيَّ، وأمسكت بمقبضين. عندما جذبت الأيسر، انحرفت إلى اليسار. صححت مساري بالأيمن، وعدَّلت نفسي في اتجاه أبحر بي فوق مركز المتنزه.

انفجر شيء ما ورائي في سلسلة من الفرقعات المكتومة المتتالية، وألقيت نظرة ورائي عندما كان جدار من اللهب المتصاعد يلعق نوافذ الطابق الرابع والثلاثين.

حتى من هذه المسافة، شعرت بالحرارة على وجهي والزجاج ينهمر كالمطر فوق الساحة الغارقة. تمنيت ألا يكون شخص آخر قد قُتل في الانفجار، لكن على الأقل لن تخرج الحكومة بأي من نتاج عمل كارا.

أجدتِ اللعب يا أختاه!

كان هناك مبنى إلى الأمام مباشرة. اتجهت إلى اليسار رويدًا، وأنا الآن أعلى من الأرض بأربعمائة قدم وأنزلق فوق شارع سيدار بين ناطحات السحاب، وريح الشارع تعيث فسادًا في المظلة.

طفوت فوق مساحة أخرى مفتوحة، ولمحت قبة كنيسة من بعيد، وأعمدة الإنارة والأشجار الميتة في متنزه لايبرتي، وخلف كل هذا، الظل الأسود العملاق لمركز التجارة العالمي رقم واحد.

فوق الماء بعشرة أقدام، أخذت نفسًا عميقًا وجذبت مقبضًا في شبكة الرفع الرئيسية في مشد الصدر.

غصت مرتطمًا بماء مالح متجمد، محاولًا بشكل غريزي أن أسبح نحو السطح، لكنني غرقت كصخرة - ومعداتي أثقل مما يجب، وكل أجهزة جسدي ترسل إشارات إنذارها.

لمس حذائي الرصيف؛ غمرني الماء بالكامل.

أسكتُّ الذعر.

استغرق الأمر مني دقيقة كاملة كي أحرر كتفيَّ. في ظلام تام، أنزلت مشد الصدر من ساقي، مجاهدًا كي أجذب حذائي عبر الفتحات بينما الشرارات الأولى لحرماني من الأكسجين تنقدح في مجال رؤيتي. أخيرًا، مزقت سترتي ودرعي، وثنيتُ ركبتيَّ، وقفزت من الشارع.

صاعدًا إلى السطح، وأنا أشهق.

كنت في شارع ويست، قبالة واجهة متجر في فندق (ماريوت) مهجور.

سبحتُ داخل بهو الفندق، نحو سلم انحنى صاعدًا إلى الطابق الثاني. جررت جسدي من فوق آخر درجة غارقة، وتمددت فوق البسطة.

أرتعد منقطع الأنفاس، شاعرًا بالألم في كل مكان.

وفكرة واحدة تتكرر في ذهني.

لقد قتلت أختي.

ترددت هذه الكلمات في رأسي، وحاولتُ أن أتجنبها، لكن ضغطًا طاحنًا كان يتراكم في صدري. لم أعرف لكم من الوقت سأستطيع أن أعزل نفسي عن محيط انفجار موتها أكثر من ذلك.

كانت الصرخة قادمة.

***

أيقظني نور الفجر.

عدت إلى الوعي لأجد نفسي متكومًا لصق الحائط، وقد نمت ما يزيد على الساعة فقط، وعلى حافة انخفاض درجة حرارة الجسم لأقل من معدلها الطبيعي.

اعتدلت في جلستي، وشغّلتُ هاتفي - ثماني عشرة مكالمة فائتة من إدوين.

أجاب بعد أول رنّة.

- أنت حي.

"ليس كثيراً" لم أكن متأكدًا من يتنصت علينا، أو إن بدأ تعقب موقعي بالفعل.

قال إدوين: "لا جدوى من الهروب" بدا صوته جامدًا، كان يمثّل وليس من أجلي "لدينا صور لوجهك، توجد نشرات موزعة في كل مكان، لن تتمكن أبدًا من الخروج من المدينة".

فهمت، كان يعرف أن هذه المكالمة مراقَبة، أنه لا يمكن أن يجعلهم يرونه مساعدًا لي، لكنه كان يحذرني أيضًا: **احترس، إنهم يبحثون عنك.**

قال إدوين: "فلنلتق في مكان ما، سأساعدك على أن تصبح شاهد ملك".

قلت: "عليّ أن أخبرك بشيئين، وبعد ذلك سأغلق الخط. أولًا: من الأفضل لك أن تتعامل مع نادين بشكلٍ صحيحٍ، عاملها جيدًا، عاملها بعدل. ثانيًا: أتذكر تلك المادة التي حقنتك بها؟"

- نعم؟

- لم تكن إلا محلولًا ملحيًا.

***

نزلت إلى الماء مرة أخرى، وانتابتني الرعدة من جديد على الفور. سبحت خارجًا في نور الصباح، تسلقت شجرة ميتة، ووجدت مكانًا مريحًا كي أجثم عليه وسط الغصون، متلهفًا أن أدفئ نفسي في الشمس.

عاليًا في الجانب الشرقي من الأبنية، كان الزجاج والفولاذ يلمعان في شمس أول النهار، وعلى مسافة قريبة من شارع ويست سمعت أصواتًا.

للحظة، اعتقدت أنها قد تكون مجموعة بحث، لكني رأيت بعد ذلك تجمعًا من القوارب بالقرب من مركز التجارة العالمي رقم واحد. كانت مجموعة من الزوارق المتداعية. بعضها كان محمَّلًا بفاكهة طازجة. وبعضها بالكتب والمجلات وأشياء متنوعة. أحدها يبيع البيرة والسجائر. من زورق آخر تصاعدت دوائر من الدخان؛ ثمة امرأة عجوز تشوي الكباب. تعالت الموسيقى صاعدة من الحشد؛ أحدهم يعزف الجيتار. ترددت أصوات الحوار والضحك من جنبات المباني.

كان إغواء السباحة في اتجاههم قويًّا. المقايضة بشيء مقابل الإفطار. مناقشة إمكانية الحصول على قارب. لكن الفوضى في 140 برودواي ليلة الأمس لا بد أنها بدت مثل معركة هرمجدون. أي شخص في الجوار لا بد أنه سمعها، وظهوري فجأة وسطهم لن يثير إلا شعورًا بالخطر. لذا استقررت على مراقبتهم من بعيد، تلك الشذرة المنسية من الإنسانية وأفرادها يصنعون الحياة معًا في أكثر الأماكن غير المضيافة في العالم.

بدوا سعداء حقًّا، وجعلتني مراقبتهم سعيدًا - ألف مظهر صغير للطف بين أناس لا يملكون شيئًا يمنحونه.

***

ظللت طوال النهار في الماء، أشق طريقي نحو الطرف الجنوبي من مانهاتن، مبتعدًا عن 140 برودواي.

كان التقدم بطيئًا.

مضيت من مربع مبانٍ إلى آخر، بصبرٍ، وبحذرٍ.

عندما كنت أسبح فوق شارع فرانكلين روزفلت، لاحت أولى حرائق المساء في ناطحات السحاب المحيطة، وتهادى كوكب الزهرة في السماء، بينما الغلاف الجوي للأرض يحني ضوءه.

خرجت أخيراً متعثرًا من الماء، إلى الأرض الجافة للمنحدر المؤدي إلى جسر بروكلين.

كان الصمت غريبًا ومخيفًا.

لا أحد في الخارج.

سرت على الجسر، قاطعًا حارات السيارات الخالية، وعندما وصلت أعلى نقطة -127 قدمًا فوق سطح الماء- لمحت تمثال الحرية. في ذلك المساء الشتوي، كانت المرأة حاملة الشعلة تقف كظلٍّ مشؤوم على خلفية سماء حمراء بلون الدم - أقرب لكبسولة زمنية منها لرمزٍ.

فتحت حقيبة كارا، وأخرجت محقنًا ذاتيًا، كان خفيفًا في يدي، متواضعًا. من الغريب الاعتقاد أن قليلًا فقط من هذه الأشياء يمكن أن تغيِّر مسار نوع كامل.

أخذت وقتي متمهلًا وأنا ألقي صنع يد أختي واحدًا واحدًا في المياه السوداء للنهر الشرقي، وقد عاودني ذلك الضغط الفظيع، وصرخة الأسى تتوسل باحثة عن صوت.

أكان هذا آخر أثرٍ لإنسانيتي، يزعق فيَّ كي أحس؟

كان بمقدوري أن أوقف الشعور، لكني لم أفعل. بدا عدم الشعور بأي شيء حيال موت أختي أشبه بعبور حدٍّ لا يمكنني العودة بعده.

جاءت الدموع.

الصراخ.

وتركت نفسي أنهار.

مفكرًا في تلك اللحظات الثماني عشرة المثالية، ولحظتنا الأخيرة - ويدها تلمس وجهي قبل أن تموت مباشرة.

للحظة، شعرت كأني لوجان القديم، متسائلًا إن كان يمكنني بطريقة ما أن أمزج الرجل الذي كنته ذات يوم بالرجل الذي صرت إليه.

ألقيت نظرة ورائي نحو مدينة الظلام، مدينة الضوء.

ووجدت نفسي أسير من جديدٍ، متحركًا نحو أضواء بروكلين، وأفكاري تتسارع، وذهني متقد بوميض تصوُّر مجنون، واستطعت أن أشعر بالأمل الطيب الدافئ لفكرة جديدة تتنفس أولى أنفاسها.

نحن نوعٌ وحشي، مفكرٌ، أناني، حساس، مخيف، طموح، محب، بغيض، متفائل. نحتوي بداخلنا إمكانات لشرٍّ عظيم، لكن لدينا أيضًا إمكانات لخيرٍ عظيمٍ. ونحن قادرون على ما هو أكثر بكثير من هذا.

كانت أختي محقة في أمرٍ واحدٍ: لا يمكنني ألا أفعل شيئًا.

الخاتمة

"ستكون الطبيعة البشرية آخر جزء من الطبيعة يستسلم للإنسان. عندئذٍ سيتحقق الفوز بالمعركة، سننتزع خيط الحياة من يد كلوثو[1] ونكون أحرارًا من وقتها فصاعدًا في أن نجعل نوعنا على حسب ما نريده أن يكون. سيتحقق الفوز في المعركة، لكن من -بالتحديد- سيفوز بها؟"

ـ سي. إس. لويس (إلغاء الإنسان)

(1) واحدة من المويراي، وهن في الميثولوجيا الإغريقية ثلاث أخوات يُجَسدن القدر. كلوثو (الغزالة أو الناسجة)، لاشسيس (الموزعة)، وأتروبوس (حرفيًا «التي لا يمكن تفاديها»، أي الموت).

بعد ثلاثة أعوام

أنهت الطالبة المتفوقة للتو خطبتها، وأنا جالس في أعلى صف في المدرجات المطلة على ملعب كرة القدم والمنصة المقامة على خط المنتصف.

تبدأ الناظرة في مناداة الأسماء.

هي في مكان ما هناك مع الخريجين الآخرين، في بحرٍ من الأزرق الملكي، رغم أني لم أحدد موقعها بعد. رأيت بِث وأنا أصعد الدرجات الخرسانية إلى المستويات العليا من الاستاد - جالسة مع الرجل الذي رأيتها تتناول العشاء معه منذ عدة سنوات في مطعم لا فلور. اسمه جون، بروفيسور اللغة الإنجليزية في الجامعة الأمريكية، حيث ما زالت بِث تعمل بالتدريس، وتخصصه هو الأدب البريطاني من عام 1485 إلى 1660. قرأت كل كتاباته المنشورة، كتابات جيدة.

"آڤا. جراي. رامزي.".

بينما أشاهد ابنتي تصعد إلى المسرح، تدمع عيناي.

متى بدأت تستخدم اسمي؟

***

بعد الاحتفال، أنتظر قرب سيارة بِثِ في ساحة انتظار السيارات الخاصة بالمدرسة الثانوية.

حلَّ المساء الآن، وأنا أراقب العائلات تمر مع أبنائها من الخريجين، والهواء يمور بالبهجة والحماس.

يسير جون بين آڤا وبِث، وكل واحدة منهما تمسك بذراعٍ. يرتدي بدلة زرقاء، وحذاؤه حديث التلميع، أنا مسرور لأنه تأنق من أجل يوم آڤا، هذا ينبئ عنه خيراً.

يتوقف عندما يراني.

يعتدل في مشيته.

تحس بِث بالتغير في لغة جسده، ترفع عينها إليه، وإذ ترى حدة نظرته، تتبعها إليَّ.

لا يوجد تكبير ملامح يمكنني أن أصنعه سيخدع زوجتي وابنتي.

عندما تشهق بِث، ترفع آڤا عينيها عن هاتفها. كنت مستندًا إلى صندوق سيارتهم، أقف الآن وأسير نحوهم حاملًا باقة من الزهور الوردية وعلبة صغيرة. تُسقط آڤا هاتفها وشهادتها وتجري إليَّ، تلقي بذراعيها حول خصري، وهي تبكي بطريقة لا إرادية. بينما أحتضنها، أتطلَّع إلى بِث. دموع كبيرة تسيل على وجهها على خلفية من تعبير عن صدمة كاملة.

يتصدع قلبي الحجري.

يقول جون: "أنا جون..".

- أعرف.

ينظر إلى بِث.

"أنا بخير.." تقول وهي تمسح عينيها، "هل يمكن لثلاثتنا أن نحظى بلحظة معًا؟".

- طبعًا، سأقوم بتمشية قصيرة.

ينظر إليّ جون بعينيه الطيبتين، غير واثق إلى حدٍّ كبير من الموقف.

أقول: "ليس لديك ما تقلق بشأنه؛ أنا سعيد لأنك في حياتهما".

***

هي أول مرة نلتقي فيها بعد أربع سنوات، وأشعر بانفصالنا عميقًا حادًا، أنا متطفل على حياتهما الآن، نغمة نشاز.

نجلس في السيارة - بِث خلف عجلة القيادة، أنا وآڤا في المقعد الخلفي. تفوح السيارة من الداخل بأريج الزهور وعطر بِث، ماركة جديدة لم تكن تضعها قط عندما كنا معًا.

أقول: "آمل ألا أكون قد أفسدت يومك".

تهز آڤا رأسها، وعيناها حمراوان ومتورمتان من البكاء.

تتساءل بِث: "هل وجودك هنا آمن؟".

"ليس تمامًا" كنت قد عطلت نظم المراقبة في حيز مربعين سكنيين من المدرسة، لكن الذكاء الاصطناعي سيشتمُّ رائحة الفيروس ويزيله خلال الخمس عشرة دقيقة التالية، سأكون قد رحلت قبلها.

أنظر إلى ابنتي: "الثالثة على دفعتك".

"هذا ممتاز.." تقولها بعد أن عثرت أخيرًا على صوتها: "كان لا بد أن يلقي الاثنان الأوليان خطبة، وأنا أكره الحديث أمام جمهور".

وجودنا معًا في مكان واحد أشبه بحلم، لا شيء وكل شيء يمكن أن يقال. عن قرب، يمكنني أن أرى الأثر الخفي الذي خلفته السنوات الأربع الماضية على بِث: معمقةً خطوط الضحك وتاركة ثقلًا في العينين لم يكن موجودًا في المرة الأخيرة التي نظرت فيهما... مقام الأسى.

وفي غيابي، تغيَّرت آڤا، أراها أقرب بكثيرٍ إلى المرأة التي ستكونها من الطفلة التي كانت عليها.

تقول بِث: "لا أستطيع أن أصدق أنك هنا..".

بعد نيويورك، كتبت لها رسالة - أصعب كلمات وضعتها في حياتي على الورق. حاولت أن أشرح كل شيء. اتساع تحولي، خطة كارا، وما اضطررت إلى أن أفعله كي أوقفها، أخبرتها أني بقدر ما أردت أن أكون زوجها فإن وجودي في حياتهما لن يكون إلا عائقًا، شجعتها على أن تتجاوزني وتبحث عن السعادة، أخبرتها أني سأحبها دائمًا.

أناول بِث العلبة: "هذه لكما أنتما الاثنتين".

- ماذا تكون؟

- عندما كنت أبحث عن كارا، احتفظت بيومياتي. أحيانًا كنت أكتب لكما رسائل لم أعتقد قط أنكما ستتمكنا من قراءتها، ربما ستساعدكما هذه على فهم ما صرت إليه. توجد أيضًا رسالة في العلبة، لكما معًا. لا يمكنني البقاء طويلًا بما يكفي لإخباركما بما كنت أفعله طوال هذه السنوات القليلة الماضية. هذا ليس آمنًا، اقرآها لاحقًا، بعد أن تحتفلا".

تحدق بِث إلى العلبة، مترددة. رغم أني لا أملك بالفعل وقتًا كي أتلكأ، إلا أني خائف أيضًا مما ستقولانه عندما تعلمان بما فعلته.

تقول آڤا: "سنقيم حفلًا صغيرًا في البيت..".

- لا يمكنني يا حبيبتي، سأعرِّض كل ضيوفك للخطر، أنا آسف.

تومئ برأسها، وهي تمسك الدموع.

أقول: "استخدمتِ اسمي..".

- لست خجلة منه، أما زلت تخجل منه؟

- لا.

- رائع، لا ينبغي لك أن تكون، أقصد أنك أنقذت العالم بطريقة ما.

يتطلب الأمر مني بذل كل ما في وسعي كي لا أنهار، كنت قد توقفت عن استخدام قفص فارادي لعواطفي منذ شهور؛ كي أنقذ الإنسانية، كنت بحاجة إلى إنسانيتي.

أميل إلى الأمام، ألمس يد بِث: "هل يجعلك سعيدة؟".

تبتسم من خلال الدموع، "كثيرًا جدًّا، لكني أفتقدك، كنت أفضِّل أن أحظى بك".

أحدق عبر الزجاج، متنفسًا من بين مشاعر الألم، الخسارة، كل اللحظات التي لن نحظى بها أبدًا، كل أدوار الشطرنج التي افتقدتها مع آقا، العشرة آلاف عشاء مع بِث، الانغماس آخر الليل في حوض الاستحمام، للحديث فقط. كنت لأتحمَّل رصاصة بهذا الألم، كنت لأعيد عقلي الجميل وأعود إلى لوجان صاحب معدل الذكاء 118 في لحظة واحدة.

الدافع إلى تحصين نفسي من الوجع قوي، لكني أريد أن أشعر به. لو فقدت القدرة على الشعور بالألم، سأفقد أيضًا قدرتي على الفرح، تلك اللحظات القصيرة من الرضا التي تجعل الوعي يستحق عناء الرحلة.

تقول بِث: "كان يمكنك أن تترك هذه العلبة عند الباب الأمامي".

- جئت من أجل آقا، وكي أراكِ.

- ربما انتقلتَ إلى مستوى أعلى من الوجود، لكني ما زلت أعرفك، لذا سأجرِّب أن أسألك مرة أخرى: لماذا جئت فعلًا؟ لماذا جازفت؟

أقول: "ينبغي لي أن أدعكما تعودان إلى احتفالكما..".

تنظر في عينيَّ مباشرةً.

أتردد.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- لوجان.

أحدق فقط إلى بِث.

تقول: "أعلم أنهم قد لا يسمحون لك أبدًا بالعودة إلينا، وحتى لو فعلوا، فقد تغيرتَ بطرائق لا يمكنني فهمها".

- أنا آسف جدًّا.

"أنا لا أقول إن الأمر لا يؤلم -بشدة- لكننا سنتمكن منه، لذا أيًّا كان ما أنت بحاجة إلى فعله، اذهب وافعله. سنكون بخيرٍ" تنظر إلى ابنتنا، مشيرة إلى رداء تخرُّجها، وخلف الدموع، ألمح ومضة من السعادة المتحدية، المرونة: "لأنه بقدر ما كان الأمر صعبًا، سارت الحياة".

أنظر إلى ابنتي.

عيناها تمتلئان بالدموع، لكنها تقول: "أحبك يا بابا".

- أحبك أيضًا.

صمت، مزيد من الدموع. لنا جميعًا.

أخيرًا أفتح الباب، نخرج من السيارة، وأمضي إلى ابنتي وأحيطها بذراعيّ. تنضم إلينا بِث ويحتضن بعضنا بعضًا في ساحة وقوف السيارات، ومصابيح الصوديوم في أعمدة الإنارة تطنُّ بنعومة فوقنا.

أريد أن أخبرهما أني ما زلت أحبهما، وأيضًا كيف تغيَّر ذلك الحب وتعمَّق، صار أكثر تعقيدًا بلا حدودٍ من خلال حميمية كوني قادرًا على معاودة عيش كل ذكرى لهما بالتفصيل الكامل.

لكني لا أملك الكلمات، أو لا توجد كلمات كافية.

وهكذا أستقر على تقسيم وعيي وإبطاء سرعة إدراكي للوقت إلى أبطأ زحف ممكن، متذوقًا على مهلٍ كل ثانية مطولة من لمستهما، ودفئهما، ورائحتهما، ووجودهما.

وإذ أسير عبر ساحة وقوف السيارات، مبتعدًا عن أهم شخصين في حياتي، أشعر أني أكثر وحدة مما شعرت به من قبل.

لكن أيضًا... أشعر بسلامٍ أكبر.

***

حبيبتي بِث.

حبيبتي آڤا.

اعتقدت كارا وأمي أن بإمكانهما منع الإنسانية من تدمير نفسها عن طريق زيادة ذكائنا ومنطقنا الجمعي؛ أنشأتا تحسينًا لزيادة هذه القدرات، ورغم ذكاء كارا الهائل، كانت مستعدة لقتل مليار إنسان.

لكن أختي كانت محقَّة في أمرٍ واحدٍ، سنموت في القرن القادم إذا لم يتغير شيء. وأعتقد أني اكتشفت لماذا يبدو أن نوعنا مستعد هكذا لأن يسمح بحدوث هذا.

يموت طفل في بئر، يشاهد العالم ويبكي. لكن عندما يزداد عدد الضحايا، يميل تعاطفنا إلى التناقص. في حالة الأعداد القصوى من الإصابات -الحروب، موجات تسونامي، الأعمال الإرهابية- يصبح

الموتى إحصاءات لا وجوه لها. يسمون هذا بانخفاض التعاطف، لكن في الواقع، هو ميراثنا الجيني - تكيفات قديمة من أسلافنا مستمرة في حمضنا النووي.

في أواخر القرن العشرين، قدَّم عالم أنثروبولجي وعلم نفس تطوري اسمه روبن دنبار نظرية تقول إن البشر العاقلين يمكنهم أن يتعرفوا ويحافظوا على علاقات مستقرة مع 150 شخصًا. يرتبط هذا العدد بحجم الجماعات الاجتماعية في ماضينا التطوري. عندما كنَّا في مرحلة الإنسان المنتصب، عشنا في مجموعات صغيرة تعمل بالصيد وجمع الثمار وتربطها روابط اجتماعية. وقتها، كان من المفيد الاهتمام فقط بجماعتنا المباشرة. كان هذا يساعدنا على الدفاع عن قبيلتنا. كان يساعدنا على التقدم والبقاء.

لكن هذه المحدودية انتقلت إلى تصنيفٍ آخر. اليوم، في مأساة ما، يمكننا أن نميز من وجوه عائلتنا وأصدقائنا وزملائنا 150 شخصًا فقط. ما وراء ذلك، ينخفض التعاطف، لكن ليس لأننا أشرار. المسألة أن تركيبنا العاطفي لا يستطيع التعامل مع ذلك. نحن نعيش في مجتمع عالمي يتكوَّن من عشرة مليارات إنسان، بأدمغة لا يمكنها أن تشعر بالتعاطف إلا مع عشيرتنا المباشرة.

ثمة عوامل أخرى تلعب دورًا، مثل المسافة. من الصعب أن نشعر بتعاطف تجاه مأساة ما في ناحية أخرى من العالم أكثر مما نحسه تجاه مأساة في منطقتنا. التحدي الأكبر هو أن نتعاطف مع أشخاص ليسوا مثلنا.

وإذا كانت لدى نوعنا مشكلة مع اللا مبالاة والشعور بالتعاطف تجاه آلام الآخرين في الحاضر، كيف يمكننا أن نتوقع من أنفسنا أن نستحضر التعاطف تجاه مأساة لم تحدث حتى إلى الآن؟ إن ضحايا نهاية البشر العاقلين لم يولدوا حتى، ما هو الحافز العاطفي الذي

نملكه لصنع التضحيات التي ستنقذ الأجيال المستقبلية، إذا لم تكن أدمغتنا قادرة على الاهتمام بها إلى درجة كافية؟

افترضت أمي ذات مرة أننا لسنا كائنات عقلانية. نقرأ عن كل المخاطر الوشيكة في الجرائد، نشاهدها في الأخبار، وبعد ذلك نكمل يومنا. وبعض هذا -نعم- يحدث بفضل قدرتنا على الاختباء من الواقع بالإنكار، بالتنافر المعرفي، بالتفكير السحري.

لكن أمي نسيت أهم شيء: في غياب التعاطف، تكون الأنانية هي أكثر استجابة عقلانية من بين كل شيء،

إن القوى العظمى لنوعنا لا تبالي، نحن نمارس فقط هذه القدرة.

ليست لدينا مشكلة ذكاء، لدينا مشكلة تعاطف، وهذا، أكثر من أي عامل فردي آخر، هو ما يقودنا نحو الانقراض.

بعد موت كارا، قضيتُ عامًا منهمكًا في مطالعة بيانات أمي الجينية التي جمعتها من تطبيق (ذي ستوري أوف يو)، مع التركيز على النظم الجينية المرتبطة بالتعاطف. وجدت نظامًا يبرمج مقدار المناطق الفرعية الأساسية لقشرة فص الجبهة، التي تحدد مهارات الفرد في التفكير، التي تحدد حجم جماعتنا الاجتماعية، والتي تتحكم بطريقة مباشرة في القدرة على الشعور بالتعاطف. وجدت أيضًا نظامًا يتحكم في الأجزاء الظهرية من قشرة فص الجبهة الوسطى، التي تضيء عندما يشعر الناس بالعطف على الغرباء. تطورت أدمغتنا لتساعد أعضاء مجموعتنا لسببٍ وجيه جدًّا، لكن ما نحتاج إليه للبقاء كنوعٍ هو القدرة على الاهتمام بالغرباء، خاصةً الأشخاص الذين لم يولدوا بعد.

لذا صنعتُ تحسينًا تعاطفيًّا.

لقد مرَّت مجموعتنا التجريبية بزيادات في التعاطف والفضول، أبدوا اهتمامًا متزايدًا بالغرباء، واحتياجًا شبه إجباري إلى فهم أحدهم للآخر.

منذ عشرة شهور، بعد اختبارات مكثفة، أرسلتُ مائة شخص إلى أطراف الأرض، كلهم مصابون بناقل فيروسي يحمل تحسيني.

ينشر موزعي الفائقون الفيروس وهم يطيرون عبر المحيطين الأطلنطي والهادي. وهم يسيرون وسط الحشود في مطاري شارل ديجول وهيثرو. وهم يستمعون إلى أرقى موسيقى في العالم داخل تياترو كولون في بوينس آيرس. وهم يطوفون بين أكشاك التسوق في منطقة مونج كوك في هونج كونج، في معبر شيبويا، في ميدان تايمز سكوير، في استادات كرة القدم من مدريد إلى مانشستر، في الميدان الأحمر والمدينة المحرَّمة.

حتى الآن، تلقى أكثر من خمسين في المائة من سكان العالم تحسيني، ونحن نشهد بالفعل تغييرات متواضعة في السياسة العامة والخطاب عبر الإنترنت، بل يمكنني أن أشعر به يضبط التأثيرات الأسوأ لتحسيناتي الأسبق.

قررنا ألا نعلن عن التحسين، لكن من المهم لي أن تعرفا أنتما الاثنتان ما فعلته.

هل سيصيبكما الرعب من غطرستي؟ ألا أبدو مثل أمي أو كارا، حيث أظن مثلهما أن ذكائي يعطيني الحق في تقرير مسار البشرية؟

لا أعرف الإجابة عن هذا السؤال. تمامًا كما أني لست واثقًا إن كان تحسيني سيقوم بما أتمناه أو من ماهية العواقب غير المقصودة التي قد يتسبب فيها.

ما أعرفه يقينًا أنك يا آفا سترثين عالمًا على حافة الانهيار. جئت قبلك، وهو ما يجعل هذا غلطتي. لم أستطع ألا أفعل شيئًا.

ربما لا يهم كل هذا. ربما فقط آن أواننا.

لقد قضى البشر 300.000 سنة على هذا الكوكب، عشنا من العصر الحجري إلى عصر الفضاء، شطرنا الذرة وسلسلنا حمضنا النووي وبنينا آلات يمكنها التفكير.

لكن رغم كل تقدمنا، يموت عشرة ملايين شخص من الجوع كل سنة، لدينا شبكات هايبرلوب وانتشار لمفهوم الأهلانية[1]. لدينا هواتف أقوى من الحواسيب التي أخذتنا إلى القمر، لكن لم تعُد لدينا شعاب مرجانية.

وسنة بعد سنة، لا شيء يتغير في الحقيقة.

لو أن هناك حلًّا، فلا بد أنه يكمن في إنقاذنا من ازدواجيتنا، من لا مبالاتنا.

مهما كان ما سيحدث بعد ذلك، فقد حاولت بأقصى ما لديَّ. تركت كل شيء لم يؤخذ بالفعل مني، وخرجت أخيرًا من تحت ظل أمي الطويل، الطويل.

بينما تقرآن هذا، سأكون منطلقًا بسيارتي غربًا، لم أنته من العمل في جلاسجو، مونتانا.

أريدكما أن تعرفا أنه لو كان بمستطاعي أن أجعل الأشياء تعود إلى الوراء بالطريقة التي كانت عليها، سأفعل هذا في لحظة. لكن، للأسف، لا توجد تروس عكسية في الحياة.

---

(1) الأهلانية هي نهج سياسي يقوم على حماية مصالح أهل البلاد الأصليين وتقديمها على مصالح المهاجرين. في الدراسات العلمية، تعد الأهلانية مصطلحًا تقنيًا. لكن أولئك الذين يحملون هذه النظرة السياسية، لا يقبلون عادة بهذه التسمية.

عندما أتذكر لوجان القديم، يشبه الأمر التفكير في كائن منفصل تمامًا، وفي اللحظات التي أختار ألا أتحكم فيها، أشعر بخسارتي الحادة له. أظن أنه لو امتلكنا جميعًا ذاكرة مثالية، سنأسى جميعًا على النسخ الأقدم مما اعتدنا أن نكونه بنفس الطريقة التي نأسى بها على أصدقاء راحلين.

لكن حتى على الرغم من أني تغيرت عن لوجان الذي تعرفانه، فإن الجزء الذي أحبكما مني باقٍ بجنونٍ.

بينما أنهي هذه الرسالة، أنا جالس في سيارة أمام مكان اعتدت أن أسميه بيتي، إنها الليلة السابقة على تخرج آڤا، وعبر النافذة الأمامية، يمكنني أن أراكما أنتما الاثنتين ومعكما جون في غرفة المعيشة. أعتقد أنكم تلعبون لعبة، يوجد بالقطع كثير من الضحك، ولا يمكنني الهروب من فكرة أنكم تبدون كأسرة.

يؤلمني هذا بعمقٍ، ويجعلني سعيدًا.

بمَ تسميان قلبًا يمتلئ طمأنينة وانكسارًا في ذات الوقت؟ ربما لا توجد كلمة لوصف هذا، لكن لسببٍ ما، يجعلني هذا أفكر في مطرٍ يسقط والشمس ساطعة.

شكر وتقدير

ساعدتني مجموعة استثنائية من الأشخاص في مراحل مختلفة خلال كتابة هذا الكتاب، وأود أن أتوقف لحظة لشكرهم.

عن كل خط أحمر، عن كل ملحوظة، عن كل وقت قاطعت فيه ما كنتِ تفعلينه لأخرج منكِ بفكرة، أشكرك يا **جاكلين بن زكري**، محررتي وشريكتي في كل شيء. نزلتِ معي إلى الخنادق وأنا أحاول أن أصارع (تحسين) كي تصعد إلى السطح - في الأيام الطيبة، لكن أيضًا وخاصةً في الأيام القاسية عندما تشككت في كل شيء، لم أكن لأتمكن من إنهاء هذا الكتاب من غيرك.

عن بقائها على إيمانها في أصعب كتاب في مسيرتي، شكر خاص جدًّا **لجوليان بافيا**، محررتي الآن لثلاثة كتب وسبع سنين، آراؤك الثاقبة وغرائزك أكثر حدة مما كانت أصلًا. أنتِ الضغط الذي يصنع الماسة.

عن المشورة والصداقة (والوجبات الملحمية دائمًا!) أشكرك يا **ديفيد هيل سميث**؛ وكيلي الأدبي لأكثر من عقد الآن. يا لها من رحلة يا صديقي!

وشكرًا للجماعة في وكالة **إنكويل لإدارة الأعمال الأدبية** وبشكلٍ خاصٍ **ريتشارد باين، أليكسيس هيرلي، ناثانيال جاكس، ناعومي آيزينبيس.**

عن التعامل مع مشاريعي السينمائية والتليفزيونية برباطة جأش خالصة، شكرًا **لأنجيلا تشينج كابلان وجويل فاندركلووت.**

عن دعمكم الذي لا يمكن الاستغناء عنه، والذي يسمح لي بالتركيز على الكتابة والحفاظ على ترتيب تفاصيل حياتي، شكرًا **لتايسون بيم، براندون كلاين، موللي فيكس، كاريسا جايلورد.**

عن كونهم محرك الصاروخ في كتبي، شكرًا لكل فرد في دار نشر **بنجوين راندوم هاوس وبالانتين بوكس**، لكن بشكلٍ خاص **جينا سنتريللو، كارا ويلش، كيم هوفي، جينيفر هيرشي، كوين روجرز، كاثلين كوينلان، سيندي بيرمان، كارولين ويشون.**

عن عملك الذي لا يكل لصالحي، وعن كونك أفضل خبيرة دعاية عملت معي، أشكرك يا **ديانا ميسينا.**

عن أغلفتي الجميلة في روايات المادة السوداء واستدعاء ذاتي، والآن تحسين، أشكرك يا **كريس براند.**

عن نشري في المملكة المتحدة، حضن كبير **لواين بروكس** الذي لا يبارى، ولكل فرد في **بان ماكميلان.**

عن قراءة المسودات الأولى البشعة لتحسين ومشاركتي آراءكم، التي حسَّنت هذه الصفحات بما لا يمكن قياسه، شكرًا لقرَّائي الأوائل: **تشَك إدواردز، باري إيسلر، جوي هارت، تشاد هودج، مات آيدن، ديفيد كوب، ستيف كونكولي، آن فوس بيترسون، ماركوس ساكي.**

تحية كبيرة، حيث لم يكن من الممكن حرفيًّا كتابة هذا الكتاب من دونك، إلى عالم الوراثة الجزيئية الذكي والبارع **دكتور مايكل ف.**

وايلـز . تعلمـت كثيراً جـدًّا منـك. شـكرًا عـلى صبرك ووقتـك وبئر معرفتـك العميـق. أنـت المقيـاس الذهبـي لخـبراء هـذا الموضـوع. كنـت محظوظًـا جـدًّا بـأن ألاقيـك.

عــن اسـتقطاع لحظــة مــن وقتــك للحديــث معــي عــن تطبيقــات الحوسـبة الكموميـة في مقابـل اسـتغلال مجموعـات البيانـات الجينيـة، شـكرًا **دكتــور هومــان محســني**.

عـن الحـوارات الملهمـة حـول تقاطـع العلـم والفلسـفة في أثنـاء كتابـة (تحسـين)، شـكرًا **فيـل وايـزر**، **برايـن جونسـون**، **دكتـور ج. بيـير دي فريـز**.

عــن مسـاعدتي في العثـور عـلى أعظـم خـبراء الموضوعـات في رواياتي الثـلاث الأخـيرة، شـكرًا مـن القلـب لبرنامـج (**تبـادل العلـوم والترفيـه**) وبشـكلٍ خـاصٍّ **سـاشي سي**. **جيربـين**، **ريـك لافـرد**.

وعـن كونـه ليـس فقـط متجـري المحـلي العظيـم للكتـب لكـن واحـدًا مـن متاجـر الكتـب المسـتقلة العظيمـة في العـالم، ألـف تحيـة لـكل فـردٍ في **متجـر ماريـا للكتـب**، وبشـكل خـاص **إيفـان شـيرتز**، **أندريـه أفانتجيـو**، **بيـتر شـيرتز**.

عـن حبكـم ودعمكـم بينـما كنـت أعمـل عـلى هـذا الكتـاب الـذي بـدا كأنـه لـن ينتهـي أبـدًا، شـكرًا لأسرتي الرائعـة: **جاكلـين**، **مامـا**، **بابـا**، وأخـي **جـوردان**، وأطفـالي الثلاثـة الموهوبـين والطيبـين والرائعـين **آيـدان**، **آنسـلي**، **آدلـين**. وشـكر خـاص **لآيـدان** عـلى كل الحـوارات الفلسـفية السـاحرة، وبشـكل خـاص عـلى توجيهـي لكتـاب **إلغـاء الإنسـان لـسي إس لويـس**، الـذي صـار غـذاءً أساسـيًّا للفكـر خـلال الجـزء الأخـير مـن الكتـاب.

عــن منحــي حيــاة مدهشــة تســمح لي بفعــل مــا أحبــه، أشــكركم يــا **قــرائي المذهلــين**، خاصــة هــؤلاء الذيــن كانــوا معــي منــذ البدايــة.

أخيرًا، في عام 2019، فقد صديقي الأعز وأقدم أصدقاء الطفولة **براين روجرز** ابنه **إدوين أليخاندرو روجرز**. شخصية إدوين روجرز مهداة لذكراه.

بليك كراوتش

مكتبة
t.me/soramnqraa

نبذة عن الكاتب

بليك كراوتش Blake Crouch

كاتب وسيناريست أمريكي من مواليد 1978. يُعد كراوتش من الأسماء المعروفة في قائمة أفضل الكُتَّاب مبيعًا؛ تضم رواياته تحسين، استدعاء ذاتي، المادة السوداء، وثلاثيته *The Wayward Pines* التي صدرت ما بين 2012 و2014، وتحوَّلت إلى مسلسل تليفزيوني من إنتاج شركة فوكس عام 2015. كما شارك كراوتش أيضًا في كتابة مسلسل تليفزيوني لقناة تي إن تي بعنوان سلوك حسن Good Behavior اعتمد على روايته القصيرة ليتي دوبيش، يعيش في كولورادو مع زوجته جاكلين بن زكري وأطفالهما الثلاثة.

نبذة عن المترجم

عبد الرحيم يوسف

شاعر ومترجم مصري من مواليد 1975. صدر له سبعة دواوين بالعامية المصرية، وسبعة وعشرون كتابا مترجما، نشر عددًا من الترجمات الأدبية في عدد من الدوريات المصرية والعربية وشارك كمحرر مساعد في مجلة (مينا) الثقافية التي صدر منها ثلاثة أعداد في الفترة من 2005 إلى 2009.. ترجم عددا من التقارير لمكتب اليونسكو بألمانيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان وموقع مدى مصر. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية عام 2017 عن ترجمته لكتاب (ثلاث دراسات حول الأخلاق والفضيلة) لبرنارد ماندفيل.

مكتبة

telegram @soramnqraa

تحسين

أريدكما أن تَعرِفَا أنه لو كان بمستطاعي أن أجعل الأشياء تعود إلى الوراء بالطريقة التي كانت عليها، سأفعل هذا في لحظة. لكن، للأسف، لا توجد تروسٌ عَكسيَّة في الحياة. أظنُّ أنه لو امتلكنا جميعًا ذاكِرةً مِثاليَّة؛ سنأسى جميعًا على النُّسَخ الأقدم ممَّا اعتدنا أن نكونه، بنفس الطريقة التي نأسى بها على أصدقاء راحلين.

"عمل غامض، فاتن، ومُؤثِّر بعُمق. يستكشف الطبيعة ذاتها لما يعنيه أن تكونَ إنسانًا".

أليكس مايكلايدز، روائي وسيناريست بريطاني

"هنا أنتَ لا تتعاطف مع الشخصية الرئيسية بقدر ما تعيش بداخلها".

ديانا جابالدون، كاتبة أمريكية

تصميم الغلاف: [illegible]

ISBN 978-977-313-921-6

9 789773 139216

المحروسة